

دعاء عبد الرحمن

رواية

# وَقَالَتْ لِي!

دعوة لفهم العالم الآخر



# وقالت لي

رواية

دعاء عبد الرحمن



توزيع: دار النور

إهداء

إلى كل من لا يعتقد أنه يمتلك الحقيقة الكاملة وحده

افتتاحية

قد تعتقدونها مجرد حكاية

وقد ترونها دعوة لفهم العالم الآخر!



## وصية بين القبور

ما الذى جاء بها إلى هنا ؟

مضت سنة أشهر على وفاته في حادث سير مروع، بعد أن اختزقت حنجرته أسياخ حديدية كانت مُحملة فوق الشاحنة التي تسبق سيارته ونفذت للإتجاه المقابل. إلى متى ستظل تُقرع نفسها لتقاعسها عن حضور جنازته ؟، هاهى وكما تفعل أسبوعيًا، تأتي إليه وتجلس على حافة قبره بالحناءة مبالغة إلى الأمام، ملابسها السوداء الطويلة كقامتها مُتغيرٌ ذيلها بغبار المقبرة، وتعتذر .. تعتذر عن كل شيء .

كيف تحضر جنازته وهي التي قتلتها ؟، ألم تكن هي التي أصرت على أن يقلّها إلى حفل زفاف زميلتها في العمل. ماذا لو كانت أطاعت والدتها ولم تذهب إلى الحفل، هل كان هذا كافيًا لبقائه حيًا بمأوى البيت دفنًا وحيًا كما هي عادته دومًا، هل تستطيع أن تنسى جحوظ عينيه، وهو يرتعش ودماءه تنزف حول الأسياخ التي أصبحت هي وجسده الطويل قطعة واحدة. لماذا لم تمت هي الأخرى لترتاح أسرتها من شؤمها ؟، هذه هي عبارة والدتها دومًا منذ أن وقع هذا الحادث المشنوم، نسمعها إياها كل ليلة وهي تصرخ محتضنة صورته المظورة، وهل تحتاج

إلى صورته ؟، ملامحه منقوشة بداخلها على الدوام، عيناؤ شتوتان تبرق  
كلما ابتسم، شعره الرمادي بفعل السنين لم يزد سوى جاذبية في عيني  
شريكة عمره، وابنته التي تعشق حنانة النادر وهو يناديها باسم جدتها  
المُحِب لها .

تحسنت رؤى ترى القبر الندي بأناملها وهي تمس بألم:

- أبى، صدقنى لو عادت تلك اللحظة لما خرجت إلى ذاك الحفل  
أبدًا، لكنتُ أطمعُ والدتى، أبى أحتاجك، أحتاج مساندتك، منذ  
رحيلك وأمى تكرهنى، بيتنا لا يُطاق بدونك، أنا لا ألومها، أنا ..

قاطعتها نحنة متحشجة مرتبكة آتية من خلفها، التفت عاقدة  
حاجبيها متوترة بتوجس فاصطدمت عيناها بامرأة نحيلة تقف عند باب  
المدفن ورغم المشقة البادية عليها إلا أنها تقف باستقامة واعتزاز وكأنها  
قد حازت للتو نصراً ما، تُعبد وضع نظارتها الشمسية القاتمة بتلك  
وليب حرارة الصيف جعل جبينها يتفصد عرقاً وهي تمسحه بمحرمة  
ورقية بيضاء. تحضت رؤى من مجلسها بجوار القبر تنفض ثوبها وتقدمت  
نحوها بارتياح، صعدت المرأة درجة السلم التي فصلت بينهما  
وتحننت مرة أخرى قائلةً بحدوء، لا تعرف كيف تبدأ حديثها:

- ائمم، اعتذر عن تطفلى، ولكن ..

صمتت مرة أخرى وقد نال من نبرتها بعض الارتباك قبل أن تحسم  
أمرها وهي تُشد كفيها قائلةً بحسم:

- آنسة رؤى أعرفك بنفسى، أنا هالة

انعتقد حاجبا رؤى أكثر وهى تنظر إليها بشك، من هذه؟ وكيف تعرفها ١٢ نظرت إلى كف هالة الممدود نحوها ثم عاودت النظر إليها  
مساءلة:

- هل تعرفينى ١٢

سحبت هالة كفها بتفهم وقالت بابتسامة مرتعشة وهى تنزع نظارتها  
ببطء:

- لدي طفلتان توأمان فى دار الروضة التى تعملين بها، جنى و  
لجين لو تذكرينهما، تتكلمان عنك بحروفهما المتعشرة تلك طوال  
الوقت، معى ١١

لا تعلم رؤى لماذا قالت المرأة الكلمة الأخيرة بنبرة خاصة وهى  
تضغط حروفها وكأنها تؤكد وحدتها مع طفلتيها لوقت طويل، ولكن  
كيف عرفت بتواجدها الآن عند قبر والدها ١٢ ورغم اضطرابها حركت  
رأسها بتذكر محب وهى تقول:

- نعم، بالطبع أذكرها، فلديهما ابتسامة خلوة تُذهب عنى غناء  
مشاكستهما التى لا تنتهى .

ضحكت هالة بخفوت ضحكة صغيرة ثم ربت على مرفقيها بتودد  
قائلة:

- أعاذك الله حبيبى، فانا العملهما بصعوبة في المنزل، لا أعلم كيف  
تحمّلين التدريس لكل هذا العدد من الأطفال، وحسبنا أن  
منهم عددًا كبيرًا لديهم صعوبة في النطق مثل جنى و الحين .

فكنت فيها بحماسة لتكلم عن شعورها بالفخر بما وهى تدرّسها  
على نطق الحروف نطقًا صحيحًا ولكنها صمتت في اللحظة الأخيرة  
ونظرت للخلف نحو القبر وهى تؤنّب نفسها بقوة. كيف تلفّ لبسم  
هكذا بعد أن كانت تحفظها العرة والذب منذ قليل؟، هل سمعها؟، هل  
هو غاضب؟!

لاحظت حالة شرودها وصمتها الذى طال وشحنات التوتر البادية  
على حركات كفيها وهى تتركها ببعضهما البعض، فجمعت شئنا  
نفسها قليلًا وتوجهت نحو الدرج الحجرى المرتفع بعض الشيء بجوار  
مجموعة أزهارٍ ذابلة مُلقاة بإهمال وجلستُ بأريحية وقد قررت الكشف  
عن سبب وجودها في هذا المكان. تقدمت رؤى باتجاهها وهى تفكر في  
كيفية صرفها بلباقة، فهى مازالت تود مصاحبة والدها بعض الوقت،  
ولكن حالة فاجأتها بأن أشارت إلى المساحة الشاغرة بجوارها وهى تقول  
بنبرة حملت رجاءً من نوع خاص:

- هل من الممكن أن نتحدث قليلًا، من فضلك؟ .

أصابها بعض الترم وهى تجلس بمجدع منحني للأمام قليلًا، تكاد  
تلامس الدرج الحجرى لمّا مستندةً إليه بكفيها معتمدةً عليهما وكأنها

مناهبةً للقفز واقفةً في أية لحظة. رفعت هالة نظارتها فوق حجاب رأسها الرمادي، ملأت رئيتها بالهواء بقوة والذي حمل لها نفحةً من رائحة الليمون المنعش، ثم زفرت ببطء واضعةً جميع انفعالاتها في تلك الزهرة ثم التفت إليها، وبخفوت، وبسرة لفحتها الرعشة رغماً عنها، قالت:

- أعرف، أنا متطفلةٌ وفضولية في نظرك الآن، ولو كان الوقت يبدى لكنت تركت باب صداقتنا موارباً تفتحها الأيام والمناسبات بروية، ولكنني مضطرةٌ للقفز فوق كل تلك الاعتبارات، فأنا أسابق لحظاتي الأخيرة.

التفت روى بحركة حادة نحوها وقبل أن تُعلق متسائلةً تابعت هالة وهي تنظر في عينيها بثبات:

- عندما رأيتكِ قدراً منذ شهر تقريباً عند بداية منعطف المدافن تعرفتُ عليكِ بسهولة وحاولت التحدث معكِ ولكنني خجلت، وبشكل غير مقصود سرت خلفكِ، فمدفنا الخاص بعائلتنا في المنعطف التالي مباشرة، وشاهدتك وأنت تدلفين هنا، فعلمت بأن هذا المدفن يخص عائلتك.

صمتت مجدداً تلتقط قوتها مع أنفاسها ورؤى تتجاذب أطراف الصمت معها تنتظر التهمة لهذا الحديث المريب بالنسبة لها ولتعلم كيف عرفت هالة بمكانها الآن، بينما أردفت هالة بشرود:

- حاولت أيضًا فتح أي حديث معك عندما كنت أذهب  
لاصطحاب بناتي من دار الروضة، ولكن شحوبك الذي يزيد  
يومًا بعد يوم جعلني أتراجع، و..

تخرج صوتها وقد خفتها غصة مُسننة وهي تستطرد:

- و خفت أن أبكى منهارة أمام بناتي فأفرعهما

مدت رؤى كفها لترت على كفها بتعاطف فما استطاعت سوى أن  
تلمس ساعدها بأناملها وهي تقول بخفوت:

- هوني عليك

شعرت من داخلها بتصدع كلمتيها ولكن ماذا بيدها أكثر من هذا،  
إنما حتى لا تفهم لما اختارتها تلك المرأة لتفرغ أمامها ما يجعبتها من  
أحزان، لماذا يسلك الهم دومًا درجها مهما اختلفت بهما السبل  
قاطع سيل أشجانها صوت هالة وهي تمس مطرقةً برأسها:

- أنا آتي إلى هنا أسبوعيًا، أتفقد قبرى!

إسعت عينها دهشةً وانقبض صدرها وهالة تتابع دون توقف:

- لاحظت أنك تحضرين إلى هنا أسبوعيًا أيضًا، وفي كل مرة كنتُ  
أمرُّ بك ولكنك لم تلحظيني وأنت غارقة في أحزانك، تتحدثين إلى  
والدك

وقفت رؤى وهى تشد على حزام حقيبتها فوق كتفها مصدومة. هل  
ستمعت إليها أم هو مجرد تخمين؟! ثم ما حكاية قبرها ذاك. امرأة غريبة  
ربكتها بشدة. تبعها هالة ناهضة هامة بعبارات متفرقة برحاء:

- سامحني. لم أقصد التلصص عليك، وجدت بك ضالتي. أرجوك  
استمعني للنهاية



كانت رؤى تنظر إلى الطريق في جلستها بجوار النافذة في سيارة  
الأجرة التى استقلتها منذ قليل للعودة إلى منزلها بعد أن ودعتها هالة  
وانصرفت منكسة الرأس منتظرة ردها ببأس! الهواء يلفحها تاركة العنان  
لدموعها التى تغطل كأقطار غزيرة بلا توقف يذكر، لماذا قالت لها "   
سافكر "؟! لقد كان طلب هالة منطقياً في مثل حالتها تلك ولكن ردها  
هو الذى أذهلها حقاً. المرأة مصابة بمرض خبيث وتعلم أنّ مُكوّنها بين  
الأحياء الآن أمر مؤقت، تسعى لتأمين آخرتها بكل تلك الأعمال  
الصاخة التى انغمست فيها منذ علمها بمرضها بما فيها زيارة قبرها  
لتزود به فتعلو همتها للإكثار من الطاعات قدر استطاعتها. كما تسعى  
لتأمين أم حنون لبناتها الصغار. وكما أخبرتها لقد وجدت بها كل ما  
كانت تشده في تلك الأم. لقد كانت هالة صريحة إلى أبعد مدى عندما  
سألها رؤى لماذا ظنت بأنها ستوافق على عرضها ذاك وقد كانت  
باحثها وافية وهى تمس بخجل من نفسها:

- في المرة الأولى عندما استمعت إليك رغبنا عن أنت تتحدثين  
 في والدك. طست بالك عود فداة حربة على رجل أمها. وكس  
 في كل مرة أتى لأحدث إليك أترجع في آخر خطه. فاسمع  
 إليك وأنت تكررين نفس الحديث. تؤسين نفسك وتشتكين من  
 سوء معاملة والدتك لك. تتحدثين عن نفسك بأني وعن زهد  
 الخلف بك وعن كرهك لتلك الحياة. وكأنك اكتفين منها.  
 فحدث بك صائتي. بناتي يحونك للغاية وأنا وحيدة وليس لي  
 عائلة غير زوجي وصفتي. فلمن سأترك بناتي إلا لامرأة أطمئن  
 عليها بصحتها. ثم أن زوجي ليس له سوى أم عجوز وشقيقة  
 كبيرة بالنس ونعيش مع عائلتها الصغيرة في منزل بعيد عن منزلنا.  
 فما طبع رفق بعض الشيء ولن تتحمل تربية صغاري. وفي كل  
 الأحوال سيبحث زوجي عن زوجة و أم بديلة. فلماذا لا تكون  
 أنت ؟

ثم تستطيع رؤية تحمل نظرة الرجاء المتوسلة من عيني حالة الخنقة  
 بالدمع وهي نفس بسرة اختلط بها الحزن بالواقعية التي تعيشها حالة  
 الآن:

- ما أسمع من بناتي عنك يوميًا، يجعلني لا أرى لهما غيرك. أرجوك  
 لا تغدلي. لا تخدلي شيخ امرأة مثلي على مشارف الموت. أخشى  
 على صغاري الضياع أو راحة أب قاسية. إن وافقتي ستقابل هنا



الأسود القادم. وكل أسود سيأتي حتى نعين خطي. وسأحرك  
بكل ما أريد من معرفته عن بيني وعائلتي لنستطيع العيش معهم  
سلامة من بعدى. وسأخبر أم زوجي عنك. فهي في كل الأحوال  
تبحث له عن زوجة أخرى منذ أن علمت مرضي !

سكنت حواس رؤى عندما ناداها السائق بأنها قد وصلت إلى  
وجهتها المشودة. فتحركت باضطراب وهي تنزل من السيارة. نادت  
السائق أجرتي والذي تلقاها بتدمر وهو يقفها بنظرة حائرة قبل أن  
يطلق نهيمها بكلمات لم تسمعها بوضوح بل لم تهم لساعها من  
الأصل. استدارت لتدخل البناية القديمة التي تقطن بطابقها الأرضي  
والتي تحتل منتصف ذلك الشارع العتيق تمامًا فاصطدمت عيناها بصورتها  
المعكوسة على زجاج سيارة كانت تقف أسفل البناية تنتظر صاحبها.  
رغم عدم وضوح الصورة جيدًا إلا أنها عكست ما تراه دائمًا في مرآتها  
الخاصة. عطينا خديها واضحتان للغاية من شدة تحول وجهها. شعرها  
الخفيف التي تجمع شق غرته الطويلة للخلف مع بقية شعرها بينما تترك  
الشق الآخر مسدلاً فوق نصف وجهها الأيسر لعلها تداوى ذلك  
الحول الظاهر عليها. عيناها الباهتان الرماديتان الشبهتان بعيون  
الأموات! لا حياة فيهما مهما جملت حولهما بالأصباغ

استندت إلى مقدمة السيارة وهي تفكر بشروء رافعة رأسها لأعلى قليلاً. تركت بصرها على نافذة غرفة والدها الالامعة وكأنه لم يبحر يوماً. ومواجهة مروعة بداخلها تضح أنوثتها بغير هوادة.

- واجهى نفسك يا رؤى. هل قلت خا " سأفكر " لنفسيها فقط وتجعلنيها تنصرف. أم أنك قد وجدتها فرصة للهروب من هنا. من ذكرى والدك الذي قتله عمادك أيتها الخشياء. فرصة للهروب من والدتك. بل من أملاكها التي مارالت تسفن قريك تذكرك بفعل حبسها وزوجها كل يوم وكل دقيقة أيتها القائلة. فرصة للهروب من عزوف الرجال عنك أيتها الدميمة .

صرخة أخرجتها من كل هذا. صرخة تعرفها جيداً. وقبل أن تعود برأسها للأسفل كانت جميع النوافذ فتحت وأطل منها جيرانها. سكان الطوابق التالية في بناتها وفي البناية المقابلة لها. ألم يملوا بعد؟ لقد حفظوا تلك الصرخة الصادرة عن والدتها التي أصبحت يلقونها بالجنونة والمبلوسة. وقبل أن يغلقوا نوافذهم عاندين إلى الداخل انطلقت الكلمات الخائفة من حناجرهم متداخلة مختلفة ولكنها جميعها بمعنى واحد " الأمزبات غير محتمل ". " لا بد وأن ترحل تلك الجنونة من هنا هي وابنتها تلك ". " شقنهم تلك مسكونة لا محالة " .

خطت ببطء وتلكؤ داخل البناية وهي تبسم بسخرية بانسة مهمة:

- تدمروا كما شئتم، هل ستقاطعوننا مثلاً؟! نعيش وحدنا لا يزورنا  
أحدًا ولا يسأل عنا عابر، نعيش كالعناكب!

ومع أول خطوة لها بداخل البناية لاحظت إحدى جاراتها قبض  
السلم مسرعةً وهي تلف وشاخًا قائمًا كبيرًا حول رأسها بطريقة غير  
مهندمة وجسدها الضخم يهتز بشدة بداخل جلاب الباب المنزل الفصفاض  
اخالك مع سرعة خطواتها الثقيلة وصوت سلسلة أساورها الذهبية  
الكثيرة حول يديها لحدث رنًا مسويًا ومبًا عن هوية صاحبتها مما  
جعل روى تسرع الخطى نحو شقتها. ولكنها لم تكمل خطواتها التالية بعد  
عندما تسمرت قدماها وهي تسمع صياح المرأة بصوتها الغليظ منادية:

- انتظري مكانك

ابتعدت روى عن شقتها وهي تعلم ماذا ستطرحها على يد جاراتها تلك  
التي لم يرحبها عندما أوفعتها الأسوء الماضي. وما هي تعاود كركها  
ولكن يبدو أن هذه المرة أكثر غصًا من سابقتها. حاولت أن تبدو  
مستسكة وهي تسير نحوها ببطء. وقبل أن تكمل استدارتها شعرت  
بشخصية المرأة تلف حول ساعدها التحيل وتديرها لتواجهها هاتفةً بحق:

- ماذا فعلت فيما التفتا عليه الأسوء الماضي؟

تلك روى شقتها بطرف لسانها وهي تسرع ساعدها بخذر من  
فمسة المرأة وهي تحبها ما اضطراب

- خالي، نحن لم نتفق، أنت أمرتني بأن أخلى الشقة، وأنا ليس لدي  
بديل، ماذا يبدو أن أفعل ..

قاطعتها المرأة صائحة وقد اشتدت عقدة حاجيها وتطاير الشرر مع  
تطاير نظراتها الحادة:

- أنا لست بخالتك أينما البانسة، ولا تنحجني بالبديل، فلقد  
عرضت عليك شقة أخرى تؤجر فيها في مكان آخر، ولكك  
تعاطلين

فتحت روى فيها لتكلم ولكن المرأة لم تسمح لها وهي ترجعها بلا  
رحمة:

- أم ثراك سعيدة بأحفادي الصغار وهم يحرون إلى السلم جرياً  
برعب، خوفاً من شفتكم والصراخ الصادر منها مرة بعد مرة

أثقلت برأسها والاحساس بالذنب بلمتئها التهاما مسجلة الصغار  
وهم يهرولون من باب البناية وحتى درجات السلم بخوف، ولكن من  
يضمن لها إن قبلت عرض المرأة وانتقلت إلى الشقة الأخرى التي  
عرضتها عليها أن لا يضجر منها جيرانها الجدد هناك ويفكرون بطردها  
هم أيضاً، لماذا سيتحملون صراخ أمها وهم لا يعرفونها بينما من تربت  
بينهم وكبرت لم يستطيعوا تحملها، من كانوا يضافحون والدها بابتسامة  
ود وترحاب عند اللقاء، ويرتون على شعرها وهي في يده، تخلوا عنها  
وصدقوا أن شفتهم مسكونة بشبحه وأن والدتها ملبوسة، فكيف يجيران

الحرص. ماذا يفعلون فيما؟ ووجدت نفسها مضطربة على تكرار نفس  
الكلمة للمرة الثانية في هذا اليوم العرب فأومات برأسها متعبة  
- سأفكر

رفعت المرأة ساكنها في وجهها محذرة وهي تذف الكلمات بوجهها  
وكأنها رصاصات مخترقة:

- اسمي. لقد فقد صري. ومن الواضح أنك لا تعرفيني حيناً بعد.  
إن لم تفعلني ما أمرك مسجدي أمك مثلاً في مشفى للمجانين من  
يوم وليلة، و..

- فتحية !!

لذا حلق جعلتهما يلتصقان نحو مدخل الباب. شفت فتحية يديها  
فوق صدرها سرور وهي تنظر إلى زوجها القادم نحوها بحسد الضحك  
وعصامته التي يرمي طرفها البشري دائماً على كتفه مسيلاً وهو ينظر نحو  
زوجته معانداً وما أن وقف قبالتها حتى رفع يده وابت على كتف روى  
قائلاً بخنق:

- ادخلي بيتك يا بُنتي الآن

تنفست روى الصعداء وهي تستدير بسرعة الخطى نحو شفتها  
تلتقط أذناها أطراف حديث الزوج الخائق وهو يؤنب زوجته على ما  
تفعله بالفتاة اليتيمة ورد زوجته الأكثر حقاً وهي تحاول إقناعه بعدم

الدخل. ولجت إلى شقتها واستندت بظهرها إلى الباب بعد أن أغلقت  
خلفها مغلقة عينها براحة، تستعد للجولة القادمة لتتلقى نصيبها اليومي  
من صراخ أمها، وشح والدها !

الشفة هادئة أكثر من اللازم، أمر مفلق بالفعل، الشفت تنظر نحو  
غرفة مكتب والدها فوجدتها مغلقة لا تظهر أي إضاءة من أسفل بابها.  
توجست بعض الشيء وهي تخر قدميها إلى غرفتها، ووقع أقدامها  
تذكرها بأن تلعب حذاءها قبل أن تتوغل أكثر فيناها ما ينالها دومًا  
سسه. فخلت عن حذاءها جانبًا وتقدمت لتضج باب غرفتها وعندما  
فعلت وأظلت برأسها للداخل برقب مستعدة إلى صوت فساش يتمزق  
غلت له بحصها قبل أن تراه السعت عيناها وهي تنظر إلى والدتها  
التي تمسك بأحد المقصات الخادة وتفصل إزار للدوران الجديدة عن  
فساشها بعد أن عرفت السحابة واخوة الذي يليها، فهولت للداخل  
وهي تفتل على قبل أن تحزن جلد السورة من بين يدي والدتها :

- ماذا تفعلين غلاسي يا أمي، أرجوك أركبها

ففتت والدتها بشفتها المكسرة المتحدين والذين تخران قليلًا  
فوق فساش السورة الزرقاء الطويلة ثم رفعت وجهها المستدير التي  
توسطه عيناها الخادتان. ونظرت إليها نظرات مهتزة مشتتة يدفع  
فيها نظارة ذات حافات معدية سوداء قائمة وتفحصتها بنظرات جمعت  
من خسة والاضطراب مساللة.

- هل نفصت قدميك قبل أن ندخل البيت؟

حاولت رؤية جذب تنورتها مجدداً وهي قنفت بصفي ونكده نكدي

- نعم فعلت. والآن من فضلك أتركها. ليس مجدداً. ليس مجدداً  
أمي.

وكان قبضي والدتها تقولت إن كلاتين منشبتين بالصورة ونحمت  
عينها وهي مازالت تتفحص عيني رؤية نكده سافر ونحبت من ربي  
أسنانها التي تطحنها بقوة:

- مازالت تخططين خلج السواد أينها الفبيحة. وغدت لعطرك  
المحرف والمقرز مثلك. لن تنالي ما تريدن أبداً وأنا على قيد الحياة

انصرفت دمعاتها فوق وحنينها بغير وهي ترى النورة تصرق بالفعل  
بينهما فتركها لرغبة والشارت فوق فراشها صانحة بالفعال:

- لقد مزقت جميع ملابس أمي. لم يعد لي شيء سوى السواد  
لأرتديه منذ شهور. إنها فقط تنورة أمي. مجرد تنورة جديدة لا  
أكثر

جاءتها الإجابة على شكل صوت قزبي آخر قضى على آخر أمل  
لها في إصلاحها وارتدائها ولو لمرة واحدة. منذ أسبوع ابتاعتها وخبأها  
جيدا أسفل فراشها حتى لا ينالها ما نال سابقتها ولم تتجرأ من يومها  
على إخراجها من مخبأها. وما هي تراها مُهلهلة أمام ناظرها لا حول لها

ولا قوة. رفعت عينها إلى والدتها التي تخرج من غرفتها بانتصار وانشاء  
وعندما التفت عينيها أعادت والدتها خصلتها بيضاء اشتعلت بالنار  
خلف أذنها وعدلت من وضع نظارتها معصمة:

- لا أعلم لم لا ثوبين وبنّاح من شؤمك هذا ؟

التفت عليها نظرة متفردة وهي تخرج من الغرفة بقدميها الخافيتين  
التي ساهمت في إبراز قصر قامتها وصفت الباب خلفها بعنف. وماهى  
إلا لحظات حتى دوى الصراخ في جميع أنحاء المنزل. صراخ تكاد الجدران  
تتصدع من عنقه وقوته. الصراخ يعلو ويعلو بشكل خفيف. خافت أن  
تخرج من غرفتها. اكتفت بأن وقفت خلف الباب مسندة إليه بظهرها  
وصدرها يعلو ويهبط بجنون والخوف يشل أطرافها. وبحركة غريزية مدت  
يدها وأوصدت الباب من الداخل فحسبة به من تلك الموجة التي تكاد  
تضم أذنيها على الجانب الآخر من الباب جرت نحو فراشها تضم  
ساقها لصدرها وتضع كفيها فوق أذنيها وتضغطهما بقوة. لا تريد أن  
تسمع. لا تريد أن تشعر. بل لا تريد أن تحيا. ولكن هل تركها تصرخ  
هكذا؟ ماذا لو حدث لها مكروه، ماذا لو اختنقت وماتت من فورها؟  
لا .. لابد من أن تسرع إليها مهما كانت العواقب التي تعلم عنها  
نسفا وعن تجربة كم هي موجهة، وقبل أن تهب من فوق فراشها بلحظة  
واحدة سكنت كل شيء. لم تندم في شيء تعلم بأن والدتها قد انتهت  
كالعادة من تفريغ شحنة جنون قمر بها يوما ثم تهدأ تماما إلى أن يحدث



ما ينفذها مرء أخرى بأي شكل من الأشكال ليعود العاصفة تضرب  
وحينها وأديتها مرء أخرى. خطبات أخرى وسمعت طرقات حديدية على  
الباب يصحبها صوت والدق هادئاً بشكل طهرني. فهي (ربما) من  
شبابك.

- والدك يُريدك في غرفة مكتبه !!

تهدت بضحك وهي تتهنى بعب من قرائنها مسجونة نحو باب  
غرفتها. لقد تصحبها أحد الأطباء الذين أحببت على رؤوفهم عن حادثة  
والدقها أن لا تسلم وتضام طلائع أمها التي تسجل والدقها مراراً  
على قيد الحياة. ولكنها مسجونة لم تستطع. شيء ما بداخلها يعجز  
وجود أيها الوهمي بينهما. يربط بتصدق بقاءه. أنه لم يرحل وبذلكها.  
ذاك الشيء العاصف بكراً بداخلها كان يوم ورنما هو من جعلها تنوي في  
الإصرار على علاج والدتها !

وفي طريقها للخارج موت يعرفه يوم والديها والفد كان الباب  
مفتوحاً. الطلاء الذهبي أصبح قاتمًا. الفرائش مازال في منتصف الغرفة  
قائمًا. الاتجاه الذي كان ينمو فيه والدها دائماً مرتب بمالعة. والعل  
المنزلي الزيتوني اللون أسفل يقع على الأرض ينظر قدمي صاحبه  
الدافئين. عطر والدها الرجولي يعبق الغرفة ويتسرب خارجها بقوة  
لخت والدتها وقد بدلت ملابسها بأخرى ملونة بشكل فاضح وتظلي

شفتيها بلون قرمزي يتمهل غريب وكأنها تذوق اللون أولاً. مطت رؤى  
شفتيها بجلل وقبل أن تكمل طريقها سمعت والدتها توقفها قائلة:

- لا تُغضي والدك فهو في مزاج رائق !!

حركت رؤى رأسها بسأم مرهق وتوجهت نحو غرفة مكتب والدها  
منصاعة. ولدهشها وجدت نفسها تتصرف بتلقائية وطرقت الباب بخفة  
وكانه بالداخل بالفعل ثم فتحت الباب وولجت وهي مطرقة برأسها  
للأسفل. رفعت رأسها ببطء وعيناها تسبقها نحو أركان الغرفة. تستقر  
في كل ركن منها جزء من الثانية وكأنها تصافحها بنظرها السابحة. وقفت  
للحظات أمام مكتبه الخشبي المطلي باللون البني القاتم وببطء شديد  
تحرك جسدها. دارت حول المكتب إلى أن وصلت للمقعد الضخم  
الدوار خلفه. مررت أناملها فوقه وهي تمسح بعض الغبار الطفيف الذي  
علق به. هنا كان يضع ساعديه ويستند بمرفقيه. وهنا يعود بظهوره  
للخلف ضاحكاً. وتلك المكتبة الضخمة البنية اللون هناك والتي تملأ  
جداراً كاملاً من جدران الغرفة الأربعة. معظم الكتب بما عن الطب  
النفسى والعلاج الروحاني والتي كان يستعين بها كثيراً لمساعدة والدتها  
لتخطي أعراض الوسواس القهري والحلاوس التي تعتربها أحياناً .

سقطت عيناها سهواً على الأصيص المشروخ من المنتصف قائما  
والموضوع على الأرض بجوار المكتبة. لاتعلم لماذا ظل والدها محتفظاً  
بهذا الأصيص الغريب المصنوع من الطين المخفف والمنحوت على شكل

وجه رجل جامد العينين ويداعل الأصمى سيقاناً ناثات حيازة كاهها  
بعض من شعر الرجل ليكمل صورة الوجه الفزع من شيء ما. ربما  
احتفظ به والدها لأنه كان هدية من والدها في ذكرى يوم ميلاده.  
تذكرت عندما حاولت مراراً وتكراراً إقناع والدها بأن تعيده إلى المكان  
الذى ابتاعته منه وتستبدله بشيء أكثر رفقةً وجمالاً ولكن والدها أخبرني  
بأنها ابتاعته من رجل مرّ بياهم يحمل عدداً منهم خلف ظهره وجميعهم  
بنفس الشكل ولم يمر بعدها أبداً وكأنه جاء من أجل منحهم هذا  
الأصمى بشكل حصري ثم يختفي بعدها للأبد.

أكملت رؤى دورتها حول المكتب الحشوي حتى عادت إلى المقعد  
الصغير المقابل له فجلست فوقه خفية واستدارت بجسدها كله تواجه  
المقعد الضخم خلف المكتب وكأنها تنظر إلى من كان يجتله يوماً بجسده  
العريض القوي البنية وبللت شفتيها بلسانها بتوتر وهي تستشعر أنفاسه  
حولها في كل مكان فأغمضت عينيها بألم قبل أن تكس:

- ليتك هنا بالفعل

ارتعشت إضاءة المصباح الصغير البرتقالي قليلاً وكأنه يخبرها سراً ما  
! . وقد كان المصباح الوحيد الذي يضيء الغرفة، فسرت في جسدها  
قشعريرة لا تعرف مصدرها ولكنها أجبرتها على النهوض لمغادرة المكان  
في الحال. تنحنحت بخفوت وتوتر وهي تنهض واقفة متوجهة نحو باب  
الغرفة ولكنه فتح فجأة وضرب وجهها فصرخت وهي تتراجع للخلف

خطوات مُسَكَّةً بِأَنْفِهَا الْمَكْدُومَ قَبْلَ أَنْ تَطْهَرَ وَالدُّعَا وَهِيَ تُلَحُّ لِلدَّاعِي  
حَامِلَةً قِسْطاً مِنَ الْقَهْوَةِ السَّادَةِ وَيَقُولُ عَاقِدَةً حَاجِبِهَا بِأَسْهَانِ

- اسْمِي لِفَسْكَ أَنْفِهَا الْبُلْهَاءُ هُوَ جِهَتِكَ لَا يَفْقَهُهُ نَشْوَاهَا آخِرُ

وَتَابَعَتْ وَهِيَ تَضَعُ الْقِسْطَ فَوْقَ مِطْحِ الْمَكْبَرِ وَبِأَسْهَامَةِ حَبْلٍ

- هِيَ عَوْدِي لِعَرْفِكَ يَا صَغِيرَتِي لَا نَعْبُ أَنْ نَسْمَعِيَ لِأَحَادِيثِ

الْكِبَارِ

زَهْرَتِ رَوْيَ شَوْفَةٍ وَهِيَ تُدَلِّكُ طَرَفَ أَنْفِهَا بِرِعْوَلَةٍ وَخَرَجَتْ مِنَ الْعُرَّةِ

وَقِيلَ أَنْ تَعْلُقَ الدَّبَّ وَحْدَتِ وَالدُّعَا تَعْلِقُ عَلَى مِطْحِ الْمَكْبَرِ عِدْعَهَا

وَهِيَ تَنْظُرُ لِلْمَقْعَدِ الصَّخِيمِ فَتَقُلُّ بِأَسْهَامَةِ مُشْرِفَةٍ

- قَهْوَتِكَ عَزِيزِي !

\*\*\*

- لِمَاذَا تَبْكِينَ؟!

اعْتَدَلْ هِنَاهُ فِي فِرَاشِهِ عَلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ يَنْقُلِي لِحْوَ هَالَةِ الْمُسْتَلْقِيَةِ

يَحْوَاهُ وَهِيَ تَوَلِيهِ ظَهْرَهَا وَلَكِنِّهَا لَمْ تَجِدْ كِنَادَ أَنْ يَشْكُ بِنُومِهَا وَلَكِنَّ

مِتَاكِدَ مِنْ سَمَاعِ كَنَفِهَا تَحْتَاطِلُ مِنْذُ نَوَابٍ فَأَعَادَ سَوَالَهُ مُجَدِّدًا وَهُوَ

يَتَلَمَّسُ كَنَفَهَا فَاعْتَدَلَتْ مُسْتَلْقِيَةً عَلَى ظَهْرَهَا وَأَدَارَتْ رَأْسَهَا نَحْوَهُ فَتَقُلُّ

بِصَوْتِ تَحَنُّنٍ

- لا شيء، غدا لنومك

نيرة صوتها المنقطعة أكدت له بكاءها فتهدد بقوة قبل أن يمسح أثر النوم عن وجهه بكلتي يديه ثم قال بنيرة يشوبها الحنو:

- تعلمين أنني لا أستطيع النوم وأنت تبكين هكذا؟

خجل إليه أنها ابصمت ساخرة وقالت بصوت حزين شارد:

- منذ متى وبكائي يبعثك من النوم يا هشام؟!

زفر حائفاً وهتف فجأة وقد اختفى كل أثرٍ للتعاطف معها:

- وهل النوم جريمة هذه الأيام، ألن تنتهي من تلك الاسطوانة أبداً

غطت أذنيها بكفيها يساً أعاد هو زفرته بقوة وهو يحك ذقنه الخليفة بأصابع مضطربة ويعود ليلسقى على ظهره ناظلاً لسقف الغرفة واضعاً كلتي يديه أسفل رأسه يهتف:

وقتها لم تكن تعلم هي أن سكونه كان ظاهرياً فقط ولكن بداخله صراع عتيد. لماذا لا تستطيع حناع صوته؟! كلما أراد ضمها دفعته بكلماتها، لماذا ترحل بأفكارها البائسة بعيداً عن نيتي الطيبة نحوها، إنه يهتم. ولكنه لا يستطيع أن يظهر اهتمامه كما يجب ولا يعلم لماذا، كلما حاول تراجع وكأن هناك ما يدفعه بعيداً عنها، هل لأنها هي من تطلب الاهتمام؟، تطلبه بشغف يجعله يخشى التقصير!، تقصير صاحبه لسنوات زواجهما منذ بدايته لا يعرف أسبابه ولا كيف يتخلص منه

صن صمته ولم يخذ هالة ما عشت أن تجده، فسأل دمعها بغزارة أكثر  
ووصف أكثر وعادت توليه طهرها، والهوة بينهما تنسع أكثر فأكثر.  
وكان كلاهما العزل ثامنا في جزيرة نائية عن الآخر. هو حتى لم يكرر  
لمسه. وكان لمسه الأول لم تكن سوى حركة روتينية لا روح فيها، إنه  
لا زال يسمعها تكى. فلماذا لا يخرجها من عذابها ويجذبها رغما عنها  
بين ذراعيه لتستكين. مؤكدا لها بأنه لا يسأل عن مكانها من باب  
الواجب وفقط كما تظن. لماذا لا تبصر؟. إنها تستظر إصراره لشعر  
بأهيتها لديه. نعم سندفعه ونهتف بعدم رغبتها في الاقتراب منه، لكن  
بداخلها تصرخ فيه أن لا يستمع إليها. أن يضمها ويمسح شعرها فلعنا  
جده وملكيته هذا. لماذا لا تتحرك يا هشام؟. لماذا. إن لم أخبرك بسبب  
بكاني تركني وتصمت؟.

أنا لا أريد الحديث فلربما لا أعرف سببا حقيقيا لدموعي. فقط أريد  
أن أشعر بدفء فريك. بلهفتك على ضمي ولو بالقوة. أريد أن أنام  
على ذراعك لا أكثر. أنتظر فقط أن تصر. فما الذي يدفعك بعيدا  
بكل هذا البرود؟!

شعرت بكلماتها التي تدور بداخلها تتعاضم أكثر فأكثر مع تواصل  
صمته. تحننها وتنع عن رثيها الهواء، بدأت تتنفس بصعوبة واحتقن  
وجهها وكان هناك من ينفث بوجهها نيرانا مشتعلة، الحنق يغلي بصدرها  
يكويها والقصة المستنة تتلوى بحلقها كالحية، وبدون مقدمات خفضت

جالسة في محاولة ضعيفة للتنفس بسهولة أكثر، لحظات أخرى مرّت وهو يكتفى بالنظر نحوها دون أن يتحرك ساكناً مستمتعاً لأنفاسها العنيفة غارحاً. كل ما فعله أن قال برتابة وهو مازال قابلاً في مكانه:

- هل أفتح لك النافذة؟

صقيع كلساته رمى بها بين ثلوح عدم أكثراته بعنف فتجمدت للحظات قبل أن يتفجر بركاناً بأسها بوجهه كالعادة. وجدت نفسها تحنّ باكية بلا مقدمات وهي أقوى من فوق الفراش على ركبتيها:

- لا. لا أريد منك شيئاً، غداً لأحملك السعيدة. غداً لصمتك المطلق هذا. لا تنعب أحلامك الصورية لأحلى

ما إن انتهت حتى شعرت بدمع لها عذبة مؤلمة مما دفعها للسكون ثماناً لعل الأم هذا في نفس الوقت الذي هب فيه هشام جالساً وهو يستنفر بصوت مزيج وتمسح وجهه بعنف ثمراً أنامله فوق شعره القصير للغاية عدة مرات، لا يعلم ماذا يفعل. لقد سأها وهي لم تجبه فلماذا تصرخ هكذا؟!

طُفأت صغيرة على باب الغرفة جعلها تتحمل آلامها وتنهض مسرعة لتفتح الباب لتجد خلفه ابنتها تفركان عينيها بقبضتيهما وقد استقيظتا فرعتين على أثر صوت صراخ أمهما الذي عبرت حملاً إلى غرفتيهما كما يحدث دائماً. ضمتيها في صدرها وغادرت معهما لتقضي الليلة بينهما تاركة خلفها زوجها جالساً مكانه دافئاً رأسه بين كفيه وقد

شدت طافد هذا اليوم. خطت قبلة موت قبل أن يصلها صوت  
شجرة الموصل وكان شيا لم يكن. يا لفرجال !

- لماذا نكين ؟ هالة هالة !

انقضت هالة من شرودها لنجد دموعها غداً وجهها وهشام يهرى  
قليلاً وهو يسألها عن سبب بكائها، انقضت بعق وهي تغلق عينيها  
وتضع عليهما شوفة. لقد شردت في مشهد تكرر كثيراً فيما مضى، نكي  
فيسألها - إن كان مستيقظاً - عن سبب بكائها ماذا أباهما تعاطفاً  
روئسيا متكرراً. فيجدادلاً ثم صراخاً ياكيا يكاد ينع عينا الهواء وأجراً  
تذهب لسان مع الأطفال ليعود هو ويسأل وكان شيا لم يكن وعندما  
يستيقظ صاخاً يذهب لعله سريها دون أن يكاف نفسه عاء  
الاطمئنان عليها. هذه هي عادته عندما يتساجرا. تنحسها حتى يعود من  
عمله ثم يبدأ بمصاقتها معتاداً ويوعده بقطعة على نفسه بأنه لن يكرر ما  
حدث وسيهتم في المرة المقبلة. وسرى !

أما الآن وبعد أن اكتشفا مرضها الخبيث تغير الوضع قليلاً. أصبح  
يهتم. يحاول تعويضها عن إهماله لها لسنوات وهو يعلم أنها ستفارق  
للأبد. التفتت نحو تعلق شفتيها ابتسامة شاردة لتجيب مطمئنة إياه.

- لا شيء، أنا بخير

ضمها قليلاً وهو يتساءل بقلق وإلحاح:



- لقد كنت تكيّن بقوة ولا تستحي لداياتي المتواصلة!

راقبت نظرة الشفقة المشوبة بالقلق في عييه وسؤال متحرر يدور بقلبيها. أجب أن أموت يا هشام لنبدي اهتماماً في<sup>٢</sup>. ولكنها معه بقوة وهي تطبق فكيتها بارتعاش قبل أن ينطلق لسانها به. ومادام يفيد العذب الآن؟! لا وقت لديها لتفضيه في تعذيب نفسها ومن حوفا يعتب أجوف منتظرة أعداءاً واهية قانسة على الشفقة فقط

وجدت يدها ترتفع تلقائياً لترت على يده الساكنة فوق كفيها بتسامح قائلة:

- ربما كنت أحلم. لا عليك غداً لئولئك. سأخص لأصلي قليلاً

نحضت متهدلة الكتفين وقبل أن تصل لباب الغرفة سمعته يقول من خلفها:

- لا تتأخري. سأنتظرك

أومات برأسها دون أن تجيب وخرجت من الغرفة مغلقة بانحائها خلفها موقنة بأنه لن يفعل!

\*\*\*

استيقظت هالة صباحاً وهي تشعر بإرهاق بالغ يسري بجميع أنحاء جسدها ورغم ذلك نحضت بصعوبة لتستعد لتجهيز طفلتيها لتذهب معها لدار الروضة كما هو المعتاد يومياً. بحثت عنه في أرجاء الشقة فلم

تجده. لقد غادر إلى عمله باكراً جداً. وفي طريقها إلى الطريق الذي تربط  
وهي تُسك بطفلتيها بعناية وحدث حماما العجوز نخرج من شفتي  
وتنمو على غلق الباب جيداً ثم تسحب وشاحها المثلق ذلكا لتعطي  
مقدمة شعرها بعناية ثم تخرج بحفظة جلدية سوداء من جانب حمام  
المسندل على جسدها باستقامة لتدس بها الحشاح وتعلق سحاما خرم  
وكان بداخلها كبر ثمين. ألقت عليها حالة تحية الصباح فالتفت إليها أم  
هشام وهي تغيب باعتبارية وتنحن بصعوبة لقبل الطفلين بخنو مربة  
على شعريهما قبل أن تعتدل بصعوبة أكبر وهالة تسألها عن وجهيها  
باكراً هكذا. فقالت أم هشام وهي تضرب الأرض بخطة بعكازها:

- ياسين جارنا أخيراً منذ أيام عن مركز للعلاج الطبيعي. فيه طيبة  
تعالج الحشونة بالحجامة ولكنها لا تعمل إلا صاخاً فقط

- ياسين الممرض؟!

أومات أم هشام برأسها بإيجاب قبل أن تقول مردفة:

- نعم هو. إنه يمدح فيها بشدة وفي زوجها الدكتور بلال، وأكد لي  
بأن شفاء ركبي على يديها بإذن الله

مطت هالة شفيتها بتفكير وهي تعرض خدماتها قائلة:

- ما رأيك أن تنتظري حتى أعود لأصطحبك إلى هناك؟

نسبت أم هشام وهي توافف الأوصاف والمرضى اليائسين على مزاج  
هالة الملعبة ثم قالت:

- لا داعي بالبيتي، المركز لا يعد عن حد كثير، فقط صعد دقاس

تفعلت هالة رفض حمامها بسعة صدر فهي لم تكن مفحصة من  
الأساس، نعم هي لود مساعداً ولكن تلك المشاعر الجسدية التي  
ربطتها بحمامها لم تعد عليها بعد. لقد كانا كقط وفار منذ شهرين فقط  
فقط، ولكن فجأة بعد أن علمت حمامها تعرض هالة انصبت ليدلت حمامها  
وصارت لها أمها رؤوفاً، أغدقت عليها من حمامها وكألمها لودعها، وبعد أن  
كانت نظراتها لها في السابق تحمل عداوية في طياتها، صارت نظرات  
مشفقة رحيمة. فجأة تذكرت أمها بسعة وأن لا أهل لها نظرات أن تكون  
هي أمها وتحيطها بختان العانة! لماذا لا يرحمهم إلا بعد علمنا بموعد  
ذهاجم؟! وكان الموت يحتاج إلى تحديد موعد لتناق!

\*\*\*

تنهدت والددة هشام بارتياح وهي تضيق عينيها بتركيز وتعديل من  
وضع نظراتها السميكة القابعة فوق عينيها وقد انتهت للتو من قراءة  
اللائحة الكبيرة لمركز العلاج الطبيعي الذي لا يعد كثيراً عن منزلها، هو  
بعد تقريباً في نفس الحي البسيط. دلفت من باب المركز وقد وجدت ما  
أبلغها به ياسين من قبل متجسداً أمامها، صالة استقبال كبيرة مزدحمة  
بالنساء اللاتي يرغبن في العلاج بالحجامة في هذا الوقت من الصباح

وذهبت عرفت خلف ثلاثة أبواب لا تعلم أنهم وجهتها ومكتب عتيق في  
مواجهة الباب ثامنا يتألف خمسة مع الدفتر الوحيد الموضوع فوقه  
والقد استسحت والددة هشام أن هذا المكتب له ياسين بدون يد أحد،  
المريض كما هو الحال. تلقت بحبة ويسرة واحدة بعينها عند حتى  
وجدته عائداً من حجرة حامية صغيرة لم تلاحظها من قبل ويده كوب  
من الشاي الساحي تتصاعد أخرته يساقى لا ينتهي. وما إن رآها حتى  
أقبل عليها باسمامة مريحة قائلاً بخفوت

- اخمد الله أنك قد أنيت باكراً يا أم هشام. لقد حشرت لك أول  
كشف. الدكتورة غير وصلت ودخلت حجرة لها

أخرجت والددة هشام حافظتها الكبيرة وهي تسأله عن ثمن الكشف  
ولكنه وضع يده سريعا على حافظتها ليعنيها قائلاً

- الدكتورة غير لا تأخذ أجراً على عملها هذا يا حاحدة. فهي تهب  
ثوابه لحنانها ورحمتها الله

رفعت والددة هشام حاجبها بدهشة متعجبة قبل أن يشير إليها  
ياسين بالدخول وهو يتقدمها بخطوة واحدة. وعندما دلفت داخل  
حجرة الكشف وأغلق ياسين الباب خلفها بحرص. استقبلتها غير  
ناهضة تجاهها من خلف مكتبها الصغير القابع في زاوية بعيدة عن باب  
الحجرة باسمامة مشرفة لتأخذ بيدها لأقرب متعده أمامها .

عاينت والدة هشام عبير وغطاء وجهها الذي ألفت به خلف رأسها بانافة وهي تقدر عمرها بأنها لم تتجاوز العقد الثالث بعد من عمرها وتتمت بفضول:

- أنتِ الدكتورة عبير؟!

ضحكت عبير ضحكة صغيرة خافتة وهي ترى نظرات الفضول المصحوبة بالدهشة التي تطل بضراوة من عيني المرأة وقالت بتفهم:

- نعم أنا هي، ولكنني لست بطبيبة

وعندما رأت حاجتي والدة هشام ينقدان وتغضنت زوايا عينيها بأنعام. قالت شارحة:

- زوجي الدكتور بلال طبيب وهو في الأصل صاحب هذا المركز للعلاج الطبيعي ولكن عمله هنا لا يبدأ إلا بعد صلاة المغرب بقليل، وقد منحني دورات عدة في العلاج بالحجامة وأجازني فيها.

تنفست والدة هشام الصعداء وقد اطمأنت بعض الشيء وهي تسترخي قليلاً ثم بدأت في شرح ما يؤلمها وهي تستند بكفيها على ركبتها وعبير تستمع إليها بانصات، وهي تشرع في العمل على الفور بأصابع مدبرة خيرة، بينما والدة هشام تطلق العنان لذكرايتها وهي تحكي لها باستفاضة عن شبابها وصحتها التي ولت في تربية ولدها وابنتها التي تقطن بعيداً عنها مع زوجها، وكيف جاءت زوجة ابنها لتأخذه منها

هكذا دون تعب، وأخذت تقص عليها وكأنها تعرفها منذ زمن طويل  
المشاكل التي دبت بينهما حتى اضطر هشام إلى تأجير الشقة الصغيرة  
في الطابق الذي يعلوها لفصلهما عن بعضهما البعض .

استثقت عير من حديث المرأة عدم تفضلها لزوجة ابنها فقالت  
وهي تتابع عملها بتلقائية:

- أعلمين يا خالتي، زوجي الدكتور بلال وحيد أمه، وكنت أريها  
في البداية ولا أعرف كيفية التعامل معها، ولكنها احتضنتني كأبنة  
لها وصارت لي أما ثانية، هي من علمتني كيف أعمل لخدمة الناس  
دون انتظار مقابل وساعدتني في تربية أولادي الأربعة بكل حب  
وصبر، وعملت معي هنا ودرستني كثيرا حتى أصبحت خيرة في  
هذا المجال. وعندما توفاه الله افتقدتها كثيرا وبكيتها أكثر من  
ولدها نفسه، وكلما أسجد بين يدي الله في صلاتي أتذكرها في  
دعواني أكثر من والدتي الحقيقية .

تهددت والدة هشام وهي تقمص شفيتها وتزحم على الفقيدة ثم  
قالت وهي تحرك رأسها وكأنها تدافع عن نفسها:

- والله يا ابنتي لقد عاملتها بالحسنى، لولا تأخر حملها لسنة كاملة  
ورفضها الذهاب للطبيبة لمعرفة سبب تأخر الحمل، فصارت  
العلاقة بيننا سينة للغاية، وحتى بعدما حملت بطفلتها لم نقصافي

أبداً إلا بعد أن علمت بحرميتها المبيت وبأنه موشكاً على نصر  
ربها .

رفعت غير وجهها مضدومة. سبطل الموت هو الخليفة الوحيدة في  
حياتها. تؤمن به وتنتظره. وبالرغم من ذلك بضدما عندما تشتم راحته  
حولنا. أطرفت برأسها. ترقق صدور. وتحرك عصفها بمنة وبسرة بلطفة وهي  
تتخيل كيف ستفارق أما ما أطفافا في مثل هذا السن المبكر جدا وهي  
على علم بذلك. فهي لم وتدرك كيف هو شعور الأم عندما يعرض  
الأمر بتسقيط أطفافها. لانت ملامح غير تسليم لقدر الله. مسنة

- لا حول ولا قوة الا بالله. عافها الله من كل سوء. وحفظها  
لأطفافها

تهدت والدة هشام ومسنت للحظات ولكن ضمتها لم يدم طويلا  
وعادت لتستكمل حكيها حتى كادت غير أن تنتهي من غسلها. لم  
يوقفها إلا رنين هاتف غير الذي أصر أن نجيبه بالخاص. رافقتها المرأة  
بانصات فضحه تركيز ملامحها الشديد معها وهي تتحدث إلى زوجها  
بخفوت ووجهها يتلون باللون الوردي الغيب. وما أن لاحظت غير  
تصفتها عليها أخت المكاملة سريعا هامسة له بخفوت:

- سرى حكاية ضميرك هذا فيما بعد. لدي غسل الآن. مع  
السلامة .

أنهت المكالمة وهي تحيد بنظرها عن والددة هشام التي رفعت حاجبًا واحدًا بإدراك مصطنع وكأنها علمت ما دار بينها وبين المتصل من تورد وجهها، وقبل أن تعاود عبير إنهاء عملها قالت بابتسامة موضحة:

- إنه زوجي

عادت المرأة تنهد مجددًا وهي تهر رأسها بثقة في تخمينها السابق ثم عقت وهي تعتدل في جلستها بحكاية أخرى عن إحدى مشاكل ولدها مع زوجته بسبب عدم مهاتفته لها ليطمئن عليها خلال فترة عمله الذي تدوم اليوم كله وضيقها بمكالمته الوحيدة التي يفعلها فقط وهو عائد من عمله ليسألها عن المشتريات الضرورية للمنزل

ضحكت عبير بخفة وهي تنهي عملها وتنهض قائلة:

- أنا وزوجي حالة عاطفية خاصة، من الظلم القياس عليها، ولكن أصدقك القول مكالمته تلك تمنحني دفعة قوية جدًا لاستكمال مهامى اليومية بحماس متدفق

ارتكرت والددة هشام على عكاظها ناهضة وهي تُتمتم غير معجبة بما سمعت للتو:

- بنات آخر زمن

احتضنت عبير كتفيها مودعة إياها وهي تذكرها بالتعليمات الواجب اتباعها بعد الحجامة، ثم تحركت والددة هشام نحو باب الحجرة ببطء



مطرقة براسها وكأنها تفكر بأمر هام وما أن أمسكت بمقبض الباب حتى  
انفتحت فجأة تجاه غير متسائلة:

- ألا تدلينني على عروس مناسبة لظروف ولدي هشام

اتسعت عيني غير بدهشة مأخوذة وهي تئنف غير مُصدقة:

- ماذا ؟!

\*\*\*

أدخلت حالة طفلتيها إلى دار الروضة. عند الباب الخارجي تشير  
إليهما بابتسامة وعندما نساقتا إلى رؤى ومعلمة أخرى كانت تقف  
بجوارها. انحنى رؤى إليهما مُنصبة جسديهما الصغير بين ذراعيها  
وعندها استمعت إلى بدار حالة لها وهي مارلت واقفة عند باب أولياء  
الأمر الخارجي:

- رؤى !!

انفتحت رؤى والمعلمة الأخرى نحو الصوت. وخطفت رؤى نظرة  
مرتبكة إلى حالة التي كنت تشير إليها بابتسامة صامتة متسائلة عن  
تجاهلها فأشاحت بوجهها وكأنها لم ترها. هاربة مما تتوق إليه!. بينما  
أخذت المعلمة الأخرى الأطفال إلى الداخل. تبعتهن رؤى مُغلقة الباب  
الداخلي للدار خلفها وكان شيئاً لم يكن !.

تلاشت ابتسامة هالة وزاغت نظراتها مفكرة، هل قررت رؤى الرضى  
لذا لا تريد أي تواصل معي ولو حتى بنظرة؟!، تفضت الفكرة عن  
رأسها سريعا وهي تضع خيارات أخرى، ربما انشغال رؤى في بداية  
يومها بالأطفال هو السبب في تجاهلها لها !!

وعندما ذهبت لإصطحاب الأطفال في نهاية اليوم فعلت رؤى نفس  
ما فعلته في بدايته، فتجبت الحديث معها مصرفة بخطوات مضطربة  
بعيدة عنها عابثتها هالة من الخلف وهي تلاحظ مشيتها المتوترة ونحوها  
الشديد وملابسها الغير مهذمة حائرة يداخلها عن تلك الحالة المذوية  
الواضحة على رؤى، ترى هل تعاني من اكتئاب ما، وما السبب؟، هل  
هو عرضها الذي عرضته عليها بين المقامر "أمعصلا هو إلى هذا الحد؟

ولكنها لم تبال، ظلت منتظرة بالحديقة الصغيرة الداخلية التابعة  
لروضة الأطفال حتى رأت رؤى تخرج من الدار تعلقة حقيبتها فوق  
كتفها، متشبثة بحزامها الجلدي كأنها توازن منكبيها، تخضت هالة على  
القوز وهي تنادى على طفلتيها لتأبيا إليها وهما تصانعان لهوا مما جذب  
عيني رؤى إليهما فتوقفت خطواتها دفعة واحدة وقد أيقنت بأن هالة  
مازالت تنتظرها بإصرار، تلك المرأة لا تستلم أبدا، حتى الوهن والضعف  
الباديين عليها لم يجعلها تتراجع عما تريد، هل معرفة موعد الموت كاف  
ليمتنع الإنسان بقوة لم يكن يملكها من قبل وكأنه لم يعد يهاب شيئا

بعدد. بل يصح الخوف في حالة كلمة واحدة لا حدة فيها. انتهى من  
المعاني أمامه ولا يبقى سوى انتظار مواجبه وحيا لوجه

تصحت رؤى وهي قرب بوحبها من حالة التي عذب بها  
بالمسامة ضعيفة وحطوت وهذه. لم نستطع صد تلك الأسلة في  
عينها. ولم تكن تلك الأحداث. لا تعلم ماذا تعطرب ولا من قرب  
رما لأنه لا ج لها أمل حميد في نهر حياتها سببا إذا وقعت والدقا على  
الانتقال لشدة أخرى حالة من ذكريات معدية كما أحررها النظم  
تسعر أن الملاح جلدور شجرة صحنه فدانته هو أحوال بكثير من حمل  
والدقا على ترك منزلهم !

- حسد. لو كان غرضي الذي غرضه عليك من قبل هو سب  
تحاشيك لقائي فاعتبره كأن لم يكن

رفعت رؤى عينها وقد صدمتها عبارة حالة القوية ولعل أن عيناها  
تغيرت نبرة حالة وأطل الخفاء من نظراتها الطويلة وهي تقول مستدركة  
بحر:

- لكنني لن أتنازل أبدا عن صداقتنا التي لم تبدأ بعد

سارت رؤى بجوار حالة والمضول يكاد تنطق به خطواتها المتوعدة.  
وفجأة قررت البوح بما يعتل بصدرها بتلقائية ودون تحطيط فبوقفت  
واستدارت نحو حالة متسائلة بقضول:

- هالة، التعب والوهن يظهران عليك بوضوح ورغم ذلك صممت  
على المشي معي حتى منزلي فلماذا؟!

رفعت هالة كتفها وهي تستكمل سيرها فتجبر رؤى على اللحاق  
بها وهي تقول بلامبالاة:

- لاشيء، أود أن أتعرف على مكان سكنتك فقط ونتحدث قليلاً  
أثناء سيرنا، أما التعب والوهن فهما يلزاماني دائماً لعدة أيام بعد  
جلسة العلاج الكيميائي فهي مرهقة جداً .

زمت رؤى شفتيها بتعاطف ثم تابعت بفضول أكبر على غير عادتها:

- هل حقاً ليس لك أخوة أو أقرباء كما قلت من قبل

ظهر شبح ابتسامة على شفتي هالة وأطرقت براسها قليلاً قائلة  
بشروع:

- الأقرباء والأخوة يا رؤى هم من تجدينهم دوماً متى احتجت  
إليهم، أما من لا يدرون شيئاً عن عذابك، عن معاملة زوجك  
لك، عن حاجتك إلي عائلة، إلى وجودهم حولك ليشدوا من أزرك  
إذا مالت بك الدنيا، عن شكوى تودين أن ترميها بحجر أحدهم  
ليحتويك بعدها بتفهم فتعودين بعدها لحياتك وكأن المعاناة لم  
تكن، من لا يفعلون ذلك يا رؤى حتى لو علموا بموتك فلن

يفعلوه مع أطفالك، هم ليسوا بأقرباء. هم فقط رحم. لا تقطع  
صلتنا به، فقط ابتغاء مرضاة الله .

شغرت رؤى بكل كلمة ألقينها هالة للنو على مسامعها. لا لم تشعر  
فقط، بل تعايشت معها بكل جوارحها حتى الغصة التي تخفق كلمات  
رفيقها تذوقتها واستشعرت وخزتها بخلفها. وتسانلت بداخلها، ترى هل  
تواجد أقرباء من حولنا له أهمية كبيرة هذه الدرجة؟ هل لو كنت  
أمتلك أحدهم كنت سأستعين به على علاج والدتي وربما تغيير حياتي؟



استندت هالة إلى ضريح زوجها وهو يأخذها إلى أحد المقاعد الخشبية  
المتهالكة بجانب ذلك الطوار القوية هذه بداخل تلك المشفى الحكومي  
في انتظار دورها بطبعا علاج كسبائية أخرى كما حدد لها الطبيب.  
حاولت هالة كنم انفسها قدر المستطاع فالمقعد بجواره كومة من نفايات  
المشفى التي تلتفي في ساحبها الخارجية بإهمال دون مراعاة لهدف المشفى  
المنطقي وهو علاج المرضى لا جلب الأمراض إليهم. أخذ هشام  
يتفحص تذكيرة العلاج مجددا بينما ركزت هالة بصرها وسمعتها من تلك  
المجموعة التي تقف بجوارهم وقد تباينت أعصارهم ما بين عجوز وشاب  
في مستقبل العمر وآخر ما زالت بمنصفه. جذبا حديثهم وكل منهم يحكي  
وجعه وآلامه. وكان مشاركة الآلام تخفف بالفعل من شدة وطأنا.  
عكس السعادة التي تزداد وتكبر عندما نتشاركها مع الآخرين. كان

الرجل العجوز بشد على كف زوجته بداحل كفه وكأنه يدعسها ويوكه.  
لها أملة أحبل نظرانه دوماً وهو يتحدث إلى المرأة الأربعينية التي تقف  
مواجهة له قائلاً لها وهو يشير لزوجته:

- لا تبتأسي وتعلمي الصبر من زوجتي. هل رأيت يوماً امرأة مصابة  
بذاك المرض وفي قصة الصبر والنيات مثلها. أشعر أن المرض  
سيبأس منها ويرحل دون رجعة. كيف له بمواجهة تلك المخاربة!

ابتسمت زوجته العجوز وهي تنظر له بامتنان وتنتفس بمجهود بالغ.  
ربما هي تعلم أنه يسعى إلى ابتسامتها أكثر من غلته عن علاج مريض في  
ذاك السن الطاعن.

راقبت حالة البسمة التي علت وجه الشاب الأحمر الطويل الذي  
يقف بجوارهم والأمل الذي رسم خطوطه في مثلثيه وهو ينظر إلى الرجل  
وزوجته بتساؤل وكان لسان حاله يقول:

- لو كانت تلك المسنة قادرة على هزيمة المرض فليس باب أولى أن  
أفعل أنا

عادت حالة بعينها إلى زوجها المنشغل بالنظر إلى نحو المشفى  
الظاهر أمامه وانخفضت نظراتها إلى يديه المعتقدتين فوق صدره ثم  
تحركت ببصرها إلى يديها الخارجتين فوق قدميها وهي تصانل عن ماهية  
الدفء الذي يسري الآن بكف المرأة العجوز. ترى ماهو شعور الدفء  
ذاك، ماهذا السر الذي سخطل دوماً تجهل معناه، لماذا يظن هشام بأن

الاهتمام فقط في مصاحبتها لجلستها العلاجية. وهو صامت. متقاعد.  
شارداً في الفراغ، متجنباً الوجه. خاوي النظرات وكأنه يتبع منها صرخة  
ليضع عوضاً عنه يأسه وخوفه من المستقبل. ألقت همام إليها فحاة  
وشاهد نظراتها متصكة فوق يديه بشرود. اقترب منها قليلاً. راقبت  
هالة يده وهي تتجه نحوها. هل فهم أخيراً ماذا أحتاج. هل سيدعني  
الآن؟. سيمسك بيدي. لا .. سيقوم كفي بساعده إلى صدره. إلا أنا  
أغمضت عينيها بيأس عندما استند بيده إلى ظهر المقعد المتهاالك من  
خلفها وهو يميل نحوها قائلاً بغيظ:

- تلك الممرضة هناك مستفزة للغاية. سألتها أحدهم عن شيء ما  
فصاحت بعصبية دون مراعاة كهيولته ولا مرضه الواضح عليه  
والشمس اخارفة التي تقف جميعاً أمامها منذ ساعات وكأننا نعمل  
خدم لديهم هنا، إجمال !!



## رحيل

هل هو الخريف حقا أم هي فقط التي تشعر بأنها نحيب فصولها الأخيرة من عمرها. هل تساوي الليل والنهار جاء مصاحبا لهذا الموسم أم أنها هي التي ترى بصرتها انعدام الزمن في المكان الذي ستذهب له قريبا؟ حالتها تزداد تدهورا وأصبحت حبيسة المنزل. ورقة شجر باهنة سقطت من مكان ما مروراً بناذقتها. ألصقتها الرياح القوية برجاجها لثوان ثم عادت تكمل رحلة سقوطها للأسفل بعد أن مسحها إشارة بأن تستعد للذهاب!.

تنفست هالة بعنف ومدت يدها نحو غرة الشعر المعلقة على جبين ابنتها جنى الثالثة على يمينها. واضعة يدها الصغيرة أسفل رأسها باسترخاء وشفقتها متفرجتين قليلاً تنفس من حلالها كعادتها. وقامت بتسويتها بخنان وهي تنحس كل خصلة منها بظاء كمنح برعشة أناملها خشية من أن توقظها ثم مدت يدها الأخرى نحو لجين عن يسارها والتي تنهد دانسا تنهدات ناعمة رقيقة أثناء نومها وكأنها تعلم بشيء سعيد على الدوام. لمسة يد هالة فوق جبينها جعلت حاجبها الصغيرين يتعقدن قليلاً بينما زمت شفيتها ثم عادت ملاصقتها تسرخی وتسبح في حلمها من جديد. ترى هل مفارقتها لها ستجعلها تتأخران في النطق أكثر مما هما عليه؟ هل ستسهلان الأمر على رؤى



كأنم بديلة؟ أم ستغير مشاعرها نحوها بعد أن تسكن معهم بشر  
المنزل وتنام مكان والدتها ويعتادان عليها أكثر بكثير من كونها مجرد  
معلمة؟

- هل أنقلهما إلى غرفتهما الآن؟

قاطعت عبارة هشام خيالها عن مستقبل لن تحيا. فالتفت نحوه  
قائلة بحمس وهي تحرك رأسها نحيبا بشروط تعادله دون أن يعادها:

- لا، أريدكما بجواري الليلة

أوما برأس موافقا وانحنى ليخذه نحو نهاية الفراش ليسحب غطاءا  
خفيفا لنفسه مستعدا لقضاء ليلته بغرفة بناته. فاعتدلت هالة على الفور  
جالسة في مكانها وهي تقول ببرة خفيفة:

- هشام، أبقها

لم ينتبه إلى ببرة الرجاء الدافئة في صوتها ولا إلى نظرة عينها التي  
تحتوي وجهه وكأنها تطبع بداخل مقلتها ملائمة الطولية ببشرته  
القسمية. لم يفهم أنها نظرة وداع تحرق قلبها شوقا له .

اعتدل بعد أن حمل الغطاء وتقدم نحوها بابتسامة ثم انحنى ثانية يطبع  
قبلة على شعرها هامسا:

- لا داعي. السرير لن يكفيننا جميعا بسهولة. ولا أريد ازعاجكم  
بتقليباتي الكثيرة، تصبحين على خير

عندما التفت لرجل أمسكت بكفه وهي فاستدار لها ولمسرة انصب  
لم يستطع قراءة نظرها المتوسلة وهي تقول بصوت مرتفع قليلاً  
- أخشى أن تكون هذه آخر ليلة لي و .

قاطعتها وهو يمسك يدها بخدود ويرفع وجهها نحوه قليلاً بقية العدد  
الحديث بها معها عندما تقول مثل هذه الكلمات :

- لا أريد أن أسمع منك هذا الكلام مرة أخرى. أنت بخير  
وستتحسن مع العلاج صدقيني. أتركى هذه الوسواس جانباً الآن  
وارتاحي فحلمة العلاج اليوم صاحبا كانت ملقاة عليك للعبادة.  
هيا اخلدي إلى النوم

قبلها مرة أخرى واعتدل مغادراً للرفة إلى غرفة سانه، التفتت هالة  
إلى المنضدة الصغيرة بجوار السرير يتكلم إلى أن انتهت في النهاية وقد  
حسنت أمرها. مدت يدها إليها ومسحت أحد دوائر اللغة العربية  
الخاصة بابنتها حتى. ثم سحبت قلماً كان بجوار الدفتر وهي تنوي كتابة  
رسالتين منفصلتين .

تنفست بقوة وعميق لتكبح دموعها محاولة تثبيت القلم الأزرق بين  
أصابعها والتي اعتادت ابنتها لجئن عض خاصرتة بأسنانها وبدأت تحط  
بيدها المرتعشة الرسالة الأولى وقد كانت كوصية وتذكار منها إلى ابنتها  
الصغيرتين. كانت رسالة صغيرة وموجزة وبها مرح وبهجة في محاولة بانسة  
للتخفيف عنهما عندما تقومان بقراءتها يوماً ما أو يقرأها أحدهم  
عليهما. وفي بداية كل سطر منها حرصت على أن تكرر نفس الجملة

مرات ومرات " سأكون حولكما دوماً، وكعادتي سأنام برفقكما دون أن تريايني".

أنهت رسالتها الأولى وانتهت معها تلك الصفحة التي قلبتها ليصف قلبها أمام صفحة جديدة نازكة صفحة خالية بينهما كعادتها دائماً للكتابة في دفاتر بناتها الصغيرة. تحرك القلم بمداد من قلبها مستعداً لكتابة الرسالة الثانية والتي لن تستطيع أن تكذب بها وتظهر البهجة كما فعلت في الأولى، فقد كانت موجبة لمن امتلكها ولم تملكه. لزوجها النائم بالغرفة الأخرى نازكا رباح الوداع تعصف بقلبيها الوحيد وجسدها الراحل.

زفرت مرة تلو الأخرى وقد فقدت السيطرة على عواقلها النازقة وهي لا تعلم ماذا قررت أن يكتب له. هل تؤنب أم تعاتب برفقة؟. ألا تكفي المسؤولية التي ستقع على عاتقه فور رحيلها؟. لماذا تشعر بتلك الطاقة العاصية والمتضاربة بداخلها وكأنها تريد أن تشتت به وفي نفس الوقت تشفق عليه مما سيلقى. ويتردد كبير وبدون تخطيط بدأت تكتب:

- زوجي الحبيب

ثم تطلسمها بتوتر حتى كادت الورقة الرقيقة تتمزق بفعل رأس القلم المدبب، انطلقت الزفرة الأخيرة وقد قررت أن تترك العنان لقلبيها وقلبيها مغا يكتبان ما يريدان، وما شأنها هي؟

ما إن دخل هشام غرفة بناته حتى ارتقى على أول سرير قدامه وأغمض عينيه وهو يشعر بعظامه تأن بشدة من فرط الإرهاق الذي يشعر به، اليوم كان شاقاً للغاية. صباحاً في جلسة العلاج معها ثم أعادها إلى المنزل. وانطلق إلى عمله وكأنه يجري خلف الوقت ليلحق بعضها منه قبل أن يُخصمه له اليوم كله. فصديقه في الشركة وعده بأن يعود عن غيابه صباحاً قدر المستطاع. عمله كمحاسب دقيق جداً ويحتاج إلى تركيزه الذهني الكامل، وهذه الأيام ومنذ أن تدهورت حالة زوجته وهو مشغول بكل ما تحصل هذه الكلمة من معان. الخطأ الواحد في رقم واحد ربما يكلفه فقدان وظيفته على أقل تقدير! انتفض فجأة من سريره عندما ضربت رياح قوية زجاج النافذة المسوحة وهو يشعر أن أطرافه تكاد تكون تجسدت على أثر تلك الضربة، نسبح وهو ينهض ليقفل النافذة تماماً موضحاً نفسه على سرعة انفعاله هكذا وكأنه طفل صغير يتألم وحده. عاد إلى نومه وهو يتسهم متذكراً سحرة والدته منه عندما انتفض أمامها هكذا في يوم من الأيام على أثر ضغطة مفاجئة لباب الشقة وقالت له بسحرة لاذعة " احضر لك طاسة الحضة " !

من المستحيل أن ينسى ذلك اليوم مادام حياً. وكيف ينسى عودته من الخارج وملابسه يعلوها الغبار مكوناً طبقة رمادية رقيقة باهتة فوقها وقد دفنها للتو. دفن زوجته. صورة جسدها الملفوف في الكفن وأخوته الرجال يعملانه ويدخلان به القبر لا يمكن أن يفارق تخيلته أبداً. هل هذا هو جسد زوجته حقاً؟

هل ينصت إليهم وهم يدفعونه ليخرج من ساحة القبر ويتركها وحدها. تبيت أول لياليها في قبرها المظلم، بلا رفيق؟!

و هل كان هو هذا الرقيق الذي يغشى عليها من عدم وجوده عندما  
كانت نيت في بيته؟ وفي عرقته. وعلى فراشه؟ هل شكل تغير  
فارقاً سوى في الظلمة فقط؟!

هالة التي كانت تملأ البيت سعادة في بداية زواجهما ثم انحطت  
ضحكاتها شيئاً فشيئاً ونراحت صحتها سقماً حتى فارقها نور الحياة  
وصارت جثة متحركة، ثم هامدة!

كيف ينسى عيني والدته الموردة من أثر الكآبة وهي تفضي اسمه  
في صدرها بشقفة. وقد أصبحنا سيمى الأم. كيف ينسى تلك العيون  
الخائرة وهم ينساقون عليها بخروف صغيرة وبطرات صاعدة - أين أمي  
؟. كيف ينسى ظهور الشجن وكأنه يستعد لحيل المسؤولية الطفلة  
والجديدة عليه؟

وكيف ينسى يد أمه المسودة إليه يدفأ صغير لإحدى أسنانه فحود  
بأن زوجته تركت له رسالة. وإن كان يستطيع سيات كل هذا مع مرور  
الزمن. فكيف بالله أن ينسى ما كتبه له في رسائلها تلك الكلمات  
مذبوحة وذائخة. تلك اللحظة شعر بأنه لا يقرأ الكلمات بعينه بل  
يسمعها بصوتها الباكي. وكأنها تفسس بقلبيها فوق الأوراق. تذكره.  
نسأله، ترجوه، تقسو عليه. تكيده وتبكيه. تحبه. وتناديه. ثم تَقْدده!

- هشام، كتبت هذه الرسالة في آخر ليلة لي في بيتك. هل  
تذكرها؟. عندما طلبت منك أن تبقى معي. عندما رجوتك أن  
تنتظر. عندما كنت أحتاج إلى ضمتك لألفظ حياتي بصدرك.  
ليكون آخر ما أستنشقه هو عطرِكَ. رائحتك. ولكنك رفضت

وابتعدت ظناً منك بأنك ستصحو كالعادة لتجدني، وأنا أسألك  
الآن، هل وجدتني يا هشام؟!، هل صدقت الآن شعوري بأنها  
آخر ليلة؟!، أشعر الآن بأنني من القسوة لدرجة أن أسألك وأنا  
على يقين بأنني لن أسمع الإجابة أبداً، هل سمعتني وأنا أحتضر؟!، أم  
أنك كنت غارقاً بنومك؟!، هل وجدت جثتي باردة في الصباح؟،  
أم كان لا يزال بها بعض من سخونة نزعتي؟

أنا قاسية جداً يا هشام في تلك اللحظة، ليس قسوة عليك، بل  
لأجلك!، نعم لأجلك حتى لا تكررهما مع غيري، فأنا أريدك أن  
تعامل زوجتك الأخرى معاملة طيبة لتستطيع هي أن تحسن معاملة  
بناتي، بناتي فقط صدقني هو كل ما أفكر به في تلك اللحظة، لا  
تفعل معها كما كنت تفعل معي أرجوك، أرجوك أحبها .

عندما تبكي لا تتركها، ضمها إليك.

عندما تفتقد أهلها كن أنت كل أهلها.

عندما تغضب وتثور فجأة منك اعلم أنها تفتقدك، تحتاج ضمتك

عندما تهتف بك " ابتعد "، لا تفعل، بل اقترُب أكثر! .

عندما تصرف ببذخ اعلم بأنها تعوض نقص حبك واهتمامك بها،  
تحتاج عاطفتك.

عندما تصرخ وتهجمك بما لم تفعله، اعلم بأنها لا تقصد ظلمك بل  
تنطق بمخاوفها فقط، بما يمج به صدرها ولا تعلمه أنت.



هشام، أقول لك هذا وأنا مقبلة على ربي ليس لي حاجة في دنياكم، فأرجوك تفكر في كلماتي التي أنطق بها للمرة الأولى وقد حالت كرامتي وكبريائي أن أقولها لك سابقاً وأتسول منك حباً. صدقني لقد أحبيتك بكل جوارحي ولم أكن أطمع بالكثير، أردت حبك فقط، أردت ضمتك فقط، أردت أن أصنع معك عالماً يغنيني عن فقدهم من أحبة، لو كان العالم كله نبذني ووجدتك، لكنت تكفي، إلا أنني أضعتك أيضاً، فمن سيقى لي سوى ضمة قبر ربما ستكون أرحم بي من قلوب تلفظني دوماً.

أوصيك ببني خيراً وتأكد بأنني سأكون معهما على الدوام، بكل طريقة ممكنة، فاحذر غضبي.

زوجتك المحبة " هالة "

أغلق هشام الدفتر وهو يرفع رأسه بعينين باكيتين ومشاعر مضطربة متضاربة.

لماذا لم تتكلم من قبل؟.

لماذا لم تنبهه لأخطاءه؟.

لماذا ضاع كل هذا الوقت هباءً وهو لا يفهم؟.

إنه لم يكن يقصد، لم يكن يقصد نبذها كما ظنت .

نحس والدفتر مازال بيده وذراعايه متهدلتان بجواره وأخذ يدور حول نفسه والدمع يقفز من مقلتيه وقلبه يغلي وحلقه يلفظ الكلمات

كقذائف تحرقه ويريد أن يتخلص من شدة ألمها وهو يهتف بخشخشة  
بأكية:

- لماذا لم تتكلمي من قبل؟ كيف أفهم وحدي ما كنت تخشع في  
صدرك؟ لم أكن أقصد. صدقيني لم أكن أقصد. أحبتك بطريقي  
لا بطريقتك. هالة. أجيبي يا هالة أجيبي لا تركيني أحترق هكذا.

عبارته الأخيرة جاءت كصرخة نداء غاضبة متألمة متحسرة كتحسره  
الذي جاء بعد فوات الأوان. فتحت والدته الباب مندفعة نحوه وقد  
استصعبت إلى صياحه الباكي وأخذت تحتضنه وتربت على كتفه وظهره  
حتى هدأت صرخاته قليلاً وأخذ ينهت من فرط الإنفعال متمسكاً دون  
وعي ورأسه ملقاة على كتف والدته:

- قولي لها يا أمي اني أحبتها كما أحبتك والدي. أخبريها أنني لا  
أعرف حياً آخر غير هذا. استعظيها في ليلى. أوفر لها ما تحتاج.  
أرحها عندما غرض. لم لم نكلمها لم " ريت كنا سنقاهم! تباً  
لكرمتها تلك. تباً. تباً.

\*\*\*

كان يكفي أن تقف عند مدخل المقابر. فلماذا ظلت تتوغل خلف  
الجنائز؟ ربما لم تكن تتصور فراق أمها يوماً من الأيام لذلك اتعت  
جنائزها وقد غشت عينها غلالة من الدموع الصامتة. حتى صعد  
الرجال وقد هالوا عليها التراب. الجيران أصرروا على مصاحبتها إلى هنا.  
لم تكن معها امرأة واحدة فجميع جاراتها حذرنا من الذهاب. وبعضهن  
لمن إلى تحريم الباع الجنائز للنساء. ولكنها أصررت. وما هي تقف



وحيدة على مشارف القبر بعد دخول الرجال المصاحبين لها للمسجد الصغير بالجوار لأداء صلاة الجمعة .

كشفت ذراعَيْها . أطرقت برأسها . راقبت ظلها . وهي تخطو خطوات واهنة في محاولة للوصول إلى السيارة التي تنتظر بداخلها حتى عودتها إليها ليعيدوها معهم إلى المنزل . ولكن غلالة الدموع كانت تزداد قسامة وثقلًا بمقلتيها وهي تتذكر معاناة والدتها قبل أن تموت . بل قبل أن تقتلها !

عندما وصلت هذه القطعة اعتصر قلبها برودة ثلجية مفاجئة . سرت على طول ظهريها حتى استطرت في لحيته وهي تتذكر جسد والدتها وهو يخرق بالكامل وتدير نحوها مصهطة في زيارتها بين جدران غرفة المكتب . تضرب يديها كل شيء تصطدم به وتصرخ صرخات بشعة لن تنساها يوماً . صراخ مهول مزق سائر الضمير بالخي بأكمله . السنة لمحب ودخان غشت جدران غرفة المكتب وعندما حطم الجيران باب المنزل أخيراً كانت قد تنحست واستقر جسدها خلف المقعد الضخم . وهي تقف بعيداً أمام العرصة المفتوحة . تشاهد . وفقط !

كانت تعبد . بل تعشق . ولكن حبه لم ينجح في شفاءها من مرضها النفسي الذي خفت وطأته بعد زواجها به . ولكنه لم يذهب ثامناً . أما بعد موته بهذا الشكل المفجع فقد أصبح المرض يقارب الجنون في أعراضه . ثمزق لأجل فراقه شعرها عاجزة عن استكمال الحياة بدونه . أوقفت زمنها بين يديه . فماذا سيقى بعده إلا الرحيل إليه ؟ ! ربما كانت هي سبباً بمقتل أبيها . فلم تبخل على أمها بأن تلحق به !

وها هي قد أصبحت وحيدة فعلياً. بيت يخشى الناس ولوحده وقد  
استود بيت المجانين. نعم وحيدة. ولكن ليس تماماً. لا زال لديها البعض.  
ومنهم صديقها الوحيدة. هالة التي اختفت هي وطفلتها فجأة منذ  
منذ متى؟ ربما شهرين أو ثلاثة لا تذكر. والأغرب أنها لم تسأل. أكتفت  
بقول مديرة دار الروضة بأن والددة جنى و لجنى مريضة للغاية. أم أكتفت  
برسالة نصية من هالة مؤلفة من كلمات قليلة فقط:

- بناتي يا رؤى، بناتي في عهدتك

نعم هي تعلم أنها مريضة فيما الجديد ولماذا القلق؟! سيعودون  
حتماً. ربما هم في سفر ما. نعم ربما. من يدري!

هل الألم الذي يعتصر قلبها الآن هو ألم فراق ما تبقى من عائلتها  
فقط. أم ألم الوحدة التي ستزداد وتنهش ما تبقى من إنسانيتها. وهل  
تبقى من آدميتها شيء بعد ما فعلته بأهلها!.

توقفت حركتها مع توقف جسدها فجأة وقد ودعت الذكريات عند  
هذا الحد وعدلت من وضع النظارة الشمسية القائمة فوق عينيها رغم  
غياب أشعة الشمس بفعل الرياح القوية المحملة بغبار ورمال القبور من  
حولها وقد أدركت أنها قد تاهت بين المدافن واختلف الطريق عليها.  
ابتعدت نعم ولكن ليس كثيراً. وهي الآن لا ترى أحداً يمر بها لتسأله.  
دارت حول نفسها وهي ترفع أناملها لتلمس وجنتها الميتلة من أثر  
الدموع. ثم قررت أن تمشي في خط مستقيم لتصل إلى ذاك المنعطف  
التي رآته وهي تشراب برأسها وتستطيل على أصابع قدميها الطويلة  
لعلها ترى منفذاً من بعيد.

سارت خطوات متعجلة متحمسة طرفيها والقصص نجوم حوها.  
 يثقلها ويثير مخاوف قديعة برأسها. رائحة الخوف تسعت من كل الجود.  
 ترى هل يُحاسون الآن على ما فعلوا في دينهم. ماذا يحسون. هل  
 يعذبون بذنوب أم ينعمون بنعمة ١٢. أحفلها ساج كلب يجر في الطريق  
 الغير مههد من بعيد وقد سهجت الريح فأسرعت تحت الخطى حتى  
 بدأت تلهث بقوة وتتعثر خطواتها التي انقضت إلى الركض واستحال  
 سواد ملابسها إلى الرمادي بفعل العاص المندب والأكياس البلاستيكية  
 والأوراق الممزقة المتطايرة من حوها وأمامها بفعل الرياح. خطوات أخرى  
 و تراءى لها باب إحدى المداخل القريبة مواربا قليلا وسجعت صوتا ما  
 آت من الداخل. طشت على الفور بانه أحد الزائرين لهذا القبر. وأنها قد  
 وجدت أخيرا مرشدا لتلك المأهدة المحيرة التي ضاعت بها. صعدت  
 السلم الصغير واستندت بكتفها على حافة الباب وهي تنظر للدخل  
 وتنحج بخفوت دافعة الباب بقوة قليلا وتقدم خطوات بطيئة متسلسلة  
 نحو شاهد القبر باحثة عن مصدر أصوات تشبه الشمس. يرتفع حاجبها  
 دهشة عندما وجدت المكان خاليا تماما. لا أحد على الإطلاق !

هل كانت تتخيل أم ماذا ؟!

نفضت القلق عنها وهي تشرع في الاستدارة للعودة ولكن جسدها  
 ارتج للخلف بقوة قبل أن تكمل استدارتها وارتطمت بأحد حواف  
 الباب الحديدي خلفها بقوة فأغلقتها لتصبح وحيدة بالداخل. اتسعت  
 عينيها بذهول ورعب وهي متجمدة تنظر إلى غطاء القبر الذي بدأ  
 يتلاشى فجأة أمام ناظريها وكأن ذرات ترابه وأحجاره تتبخر في الهواء  
 بسرعة كبيرة وتغيب في السماء التي أكفهرت فجأة وأظلمت. بضجيج

يكاد يصبه أذنيها. تعرى الفتر وظهور جلها من الداحل ورأت الحسد  
المسحى بداحله محاطاً بالكفن الأبيض ووجه مكشوف أمامها. لا ليس  
وجهه. بل وجهها. إنها امرأة.

حاولت أن تتراجع ولكن قدمها تعمدتان عن الحركة فسقطت على  
ركبتها ملقاً فوق الرمال المبعثرة على أرض المدفن وعاص قلبها بين  
أصابعها. حتى شعرت بخمود نبضاته تكاد تغرق حجرة قلبها. حاولت أن  
تصرخ ولكن صوتها أختجز في فاع حلقها. عندها أدارت المرأة وجهها  
الشاحب إليها شحوب الموت وقد رحلت عنه ألوان الحياة وغارت  
مقلتها للداحل. تعرفت رؤى على ملامح المرأة وحاولت الصراخ  
باسمها. هالة !. ولكن صوتها لم يصل لنفسها أبداً. صوت همس هالة كان  
أشبه برياح تعبر بخوار أذني رؤى فالتسعت عينها عندما فهمت ما  
همست لها به والذي لم يكن سوى كلمتين فقط " باني - باني "

\*\*\*

خرج من عمله مندفعاً نحو مسلم الشركة الخارجي. يحمل سترته  
بأصابعه خلف ظهره وقميصه غير نهندم مفتوحة أول ثلاثة أزوار منه  
بعث وكأنه خارج من معركة ما للتو. تابعت عيون رجال الأمن أسفل  
البنابة بفضول وتساؤل. بينما تجاهل نداءات عادل صديقه و زميله في  
العمل المتكررة والذي حاول اللحاق به قبل أن يتعد ولكنه لم يجبه. لقد  
خُصم له منذ قليل ثلاثة أيام أخرى من راتبه على أثر مشاجرة افتعلها  
هو عندما أخطأ متدرب في أحد أرقام الحسابات. لم يكن مجرد شجار أو  
انفعال. لقد أمسك بتلابيب الموظف وهو يصرخ به ويسبه. حاول

زملاؤه قدمنه ولكنه لم يستحب لتحريرهم حتى سمعه مدير فرع الشركة الذي اكتفى في المرة السابقة بمجرد لفت نظره وتوبيخه. أما هذه المرة فلقد تجاوز حدود العمل بكثير. شهِر تنو النهر وهو يقف انصافه واتزانه وحب زملائه بسبب سلوكه العنيف والغیر موز من وجهة نظره. لا يعلمون ما يعانيه بعد فقدانها. الدم والالم أصبحا يلوكانه بين فكيهما. المسؤولية التي كانت تقفل كتفيه فجاء استيه بعد عياب والدتها لم يعد يَحْتَمِلُهَا. كل يوم يقف عاجزاً أمام حروف حتى وحين المبعثرة لا يستطيع فهم جملة مفيدة منها. لا يستطيع التعامل معها. اكتشف ولأول مرة أنه لم يكن والدتها فعليا، لا يعرف عنهما أي شيء. ماذا تأكلان. كيف تنامان. ماذا يفعل عندما تستيقظ أحدهما ليلاً يأكية من نومها وأحياناً قبلتة فراشها. تنادي أمها وتبحث عنها في جميع غرف المنزل وفي النهاية تحف دموعها فوق وجنتها وهي تنام مرغمة وشيفافها متواصلة تشق صدره. لا يعلم ماذا يفعل .

هل كنت تحبين كل هذه المسؤولية يا هالة دون أن أدري. دون أن أشعر. بل كنت أحياناً أتساءل ماذا تفعلن طوال اليوم في غيابي. اليوم علمت. اليوم أدركت. اليوم أنام في فراش بارد وحدي. أفقد حتى شجارك معي. أفقد روحك الدافئة. حيث الصامت لي. لماذا لا نشعر بقدرهم إلا بعد أن يرحلوا. ذهاباً بلا عودة؟

احتاجك يا هالة احتاجك بشدة !.

عندما عاد إلى منزله مر في البداية على شقة والدته ولكنه لم يجدها. ولم يجد البنات أيضاً. ترى أين ذهبت؟. صعد إلى شقته التي لم يعد

يدخلها إلا نادراً منذ وفاة زوجته وانفل هو وسامه للعيش في شقة والدته بعد أن أصبحت الوحدة صديقهم الأوحده. دارت عنه في الأركان وهو مازال يقف على عتبة. نوافذ شقته كانت مغلقة والسمير تحجب عنها الشمس كما تركها ثامناً. الغبار يعلو الأثاث والسجاد والخوانط. كانت ترحب بالأصوات والحركة والخياف. والآن صامتة كالقبر بلا زوار.

لم يستطع أن يخطو خطوة للداخل إلا قبل أن يمد أنامله ليضيء المصباح. وعندما دخل لم يفلح الباب خلفه. تربت خطواته وهو يلج غرفة الفتيات ويشعل ضوءها في البداية قبل أن يلفها بعينيه لتوان. ترى أين خبات والدته الدفتر التي كنت فيه حالة خطايا الأخير له ولبناته. لقد خشيت عليه والدته الإخيار مرة أخرى فخبأت الدفتر ولم تخبره بمكانه. كانت لديه رغبة قوية في قراءة وصيتها خفي و لجين ولكن والدته لم تمهله فاستطاع بالكاد قراءة كلمات مطروحة هنا وهناك في الورقة. تعلقت عينيها فقط بالكلمات التي كررتها حالة للسات وهي نظامها قائلة مراراً وتكراراً:

- سأكون حولكما دوماً، وكعادتي سأنام بغرفكما دون أن تترابا

ترى ماذا كانت تقصد بتلك الجملة وماذا كانت تعني بتحذيرها إياه عندما كتبت له " أحذر غضبي " !

في تلك اللحظة نباته حواسه بأنه لم يعد وحيداً في الشقة عندما سمع صوت خفيف ثياب كحفيف أوراق الشجر قادماً نحوه وشعر بكف باردة توضع على كتفه من الخلف. التفت فرغاً وقد صدر منه رغماً عنه

شقيقة مكتومة، وما أن اكتشلت استدارته حتى واحد عسفا وهي غرك  
رأسها وعلى شفتيها ابتسامة ساحرة وتقول:

- العادات القديمة لا تموت !

زفر بقوة والشحوب يودع وجهه وتعود إليه الحياة مجدداً وهو يمسح  
بكلتا يديه ثم ينظر لها وهو يرفع عييه إليها بعين قارئة:

- لا أعلم ماهي هوايتك في الفراغ هكذا كلما حانت لك الفرصة  
ضربت والدته بعصاها على الأرض وهي تضحك خفوت قائلة:

- لا أستطيع أن أفوت على نفسي فرصة رؤيتك وأنت مدعور  
هكذا كالأطفال

زفر من جديد وتخطاه حائقا وخرج من الغرفة ثم من الشقة كلها  
هابطاً إلى الأسفل ومازال قلبه يخرب ليعود إلى نبضاته الطبيعية. تستغل  
والدته كل فرصة ممكنة لإفراجه متعة عجيبة وكأنها تلهو منذ أن علمت  
بالقويما التي تُصيبه في الأماكن المهجورة والأصوات العالية المفاجئة  
بجواره .

تحولت ملامحه من التشنج والحق إلى الخنو والهدوء عندما وجد  
ابتداء تقفان على عتبة باب شقة والدته ويرتديان ملابس دار الروضة  
المخصصة بحما. جنى ثكتف يديها فوق صدرها وتحاول أن تضغط  
جرس الباب بلسانها و لجين تدفعها بعيداً عن زر الجرس بتقزز وهي  
تنظر إلى لسان أختها وكأنه قد تحول إلى ثعبان يريد ابتلاع فريسته

يرود. أسرع بالخطى نحوها وحملها فجأة تحت ذراعاه وهو يدخلهما  
شقة والدته هاتفاً بحب:

- أيتها المشاغبتان

لحقت بكم والدته وأغلقت الباب خلفها ووقفت تنظر إليه وهو  
يدغدغهما وهما تضحكان بصعوبة وتنظران إليه نظرات مندهشة لعدم  
اعتيادهما على مذاعباته أو التقرب منه، تقدمت والدته وجلست على  
الأريكة العتيقة بجوارهم وهي تقول بلا مقدمات:

- لقد وجدت لك عروس مناسبة

توقف عن الحركة وضاعت نظراته مع اختفاء ابتسامته بالتدريج فلم  
يبقى منها سوى شبح ابتسامة مرسومة فوق وجه حزين بينما ضحككات  
البنات كانت تصله وكأنها صدى يتردد من بعيد، ألن تياس أمه من هذا  
الحديث، ألن تملى أبداً!!

يكفي هالة وما سببه لها من ألم وعذاب، حتى آخر رمق لها، هل  
يُدخل امرأة أخرى في حياته ليعذبها هي أيضاً حتى تموت مكتوبة بناره،  
رفع رأسه عندما سمع حديث والدته مُكرراً بتصميم هذه المرة:

- هشام، كن واقعياً، أنا أنحرك بصعوبة وأختك عصبية ملولة تحتل  
زوجها بالكاد، ولا تسأل عنا سوى في المناسبات فقط، والبنات  
يحتجن إلى أم ترعاهما، اليوم تعبت بشدة عندما ذهبت بهما إلى  
دار الروضة وهناك بحثت عن عاملة تأتي لتأخذهما كل يوم إلى  
هناك وتعيدهما ثانية في آخر اليوم.



لقد استطعت أن أجد مخرج لتلك المشكلة أما بقية مسؤوليتهما فانا لا أستطيع حلها، أنا أعتنى بنفسى بصعوبة يا ولدى

نحس واقفاً وهو يضع كلتا يديه حول خصره وغصبة مُسننة عاتقة في حلقه لا فكاك من ألمها، يكاد يتنفس بصعوبة وهو يشعر بما لقف بجواره وتقول بإصرار:

- إنما تحب بناتك ولديها استعداد لترك عملها ..

هتف وهو يستدير نحوها متسع العينين:

- هل هى تعمل أيضاً؟!

حاولت الحديث ولكنه قاطعها وهو يضحك ساخراً وحروفه تقطر بؤس ومرارة:

- تعمل!، زوجة أخرى تعمل، ماشاء الله، ثم نخوض حرب ضروس بعد الزواج لرغبتها فى العودة للعمل، ومشاجرات لا تنتهى، وألم وعذاب ثم موت .

- يا ولدى هى ستترك العمل بإرادتها وست..

صرخ مقاطعاً أمه من جديد وقد صارت عيناه حمراء بلون الدم من فرط انفعاله وهو يسترجع لحظات شجارهما فى أول عام مر عليه بعد زواجه الأول:

- هالة تركت العمل أيضاً بإرادتها من أجلى، ثم ماذا، ألم تشهدي بنفسك على حربها معى لكى تعود لعملها؟!، لا يا أمى .. لا

وألف لا. لو كانت هذه الفتاة هي أحر امرأة على وجه الأرض  
تزوجها أبدا.

وقيل أن تسوع كلماته كان قد خرج من الشقة سرف صر  
الباب خلفه بقوة معلنا رفضه الصريح لرؤى دون حتى أن يعلم من هي

...

ها هي قد رفضت كما توقع من البداية. وقيل أن براها من  
الأصل. فكيف لو رآها؟. رفعت رؤى رأسها بإحباط غشى النظر لعبي  
والدة هشام حتى لا ترى انعكاس هزمتها في معركة لم تبدأ بعد وهي  
تسمعها تنهد بحسرة قائلة:

- أعلم بالهتئ أنك وافقتي على مضط. لقد حكمت لي حالة رحمتي  
الله كل شيء. وأنا الآن وحيي منك في الأرض. لا أعلم ماذا  
أفعل

ضغطت رؤى الدفتر الذي تركت به حالة الوصية والرسالة بين يديها  
بانفعال وتوتر رغما عنها قبل أن تقول بصوت لا يكاد يسمع:

- لا عليك يا خالة. المهم الآن هو مصلحة جني و جين. أنا كانت  
من سيتزوجها لأبد وأن تكون رحيمة تستطيع التعامل مع حالة  
الفتيات بعد أن تزوتا هكذا .

أومات والددة هشام برأسها مؤكدة وهي تخط شفتيها بخوف. أين نجد  
من تتوفر بها هذه الصفات. لقد شاهدت فتيات كثير في المركز الطبي  
كلما ذهبت للحجامة أو التحدث مع غير هناك. فهل نجد عندها  
مطلبها؟. خفضت واقفة متكأة على عصاها بضعف وظهر منحني وقد  
عقدت العزم على ألا تترك غير إلا بعد أن تشرح لها أكثر من فتاة  
مناسبة لظروف ولدها وبناؤه. لا سبيل آخر أمامها .

\*\*\*

## اقتِران

عادت والددة هشام إلى منزلها بعد أن تركت رؤى على حوائط المحبطة تلك، وبرغم تعاطفها معها إلا أنها وجدت نفسها تذهب من فورها إلى مركز العلاج الطبيعي حيث عبر وفتياتها الكثير من حوزة فمصلحة ولدها في المقام الأول. والمسؤولية الملقاة على عاتقها أكبر عندها من الجميع. ومن أجل العلاقة القوية التي استطاعت والددة هشام تكوينها مع عبر في الفترة الماضية. استعنت لها الأخيرة للنهاية بصير ثم وعدتها بصدق بالبحث الجاد لها عن زوجة مناسبة. ضربت عصاها على الدرج وهي تنكأ عليها بشروء مستندة إلى بعض الأمل لتصعد الدرجات إلى حيث شقتها وعندما أدارت المفتاح في الباب سمعت خطوات سريعة تصعد إلى نفس الطابق. التفت عاقدة حاجبها ثم ما لبثت أن انفرجا بانسراح وتغصنت زوايا عينيها بانسامة مجمدة وهي ترى عادل صديق ولدها يقفز السلم برشاقة صعودا يجسده التحيل ويتسم لها وهو يُحَيِّها بمرح:

- وأخيراً التقينا يا جميلة !

حذرك وأمره هشام وهي ترحب به بشدة وتعود لتسجل  
عند هو الوحيد القادر على إصعادها ثمرة النعم، أنه كولد في  
بعضت مؤامرا من قديم الميثاقه القدر هشام في كل شيء غيرها، هو  
أيضا رجعت هذه زوجته وتركته له طفلي حدث الولادة وقد فحبت  
زوجها إلى طريها الماء ولأنهم القاري الوحيد بينهما أنه وزوجه هي  
عظمت وبعد طريها رفض كل حدث عن زواجه بأخرى، لم يكن  
مصور امرأة أخرى عوازه بعد حبيبته الراحل. واشعل بالاعتناء بنفسه  
تساعده والديه، حتى هذه اللحظة !

خدمه ذكبه تبحر في الداخل وهي تستعد لدخول المطبخ  
لاحضر مشروب له وقطعها أيضا ثم سأل عن هشام فتهتبت بأسى  
وهي تشير برأسها للغرفة الداخلية:

- قائم كالعادة بجوار بناته

سندرت تعود إلى المتعد الخاور له وهي تستند كلياً على عصاها  
كأن يسهل ثم تركن بدفينا إليهم متابعة بعدم رضا:

- بعد عودته من العمل يقضي معظم يومه نانفا كما ترى يا ولدي  
إنكر عادل بن فخذيه بترفيه وهو بطرق يكعب حذاءه الأرض  
قليلاً متعمداً:

- أصبحت انفسه على انك. كل يوم يصنع منكده ربي  
أحمد

ما ظنك شوق يسا هو بعض وباني تفعده حتى عبق شعاع ادم  
بشكل عكسي ثم بعض فوفه موحيا له فحولا غلبت عذبة  
- اسمعي يا حاني. لانه وان تروحيه. ان نروح خلعت مشاكه ندر  
صدقيني

معت عبيد - حرة وهي تشير اليه يدفنها هاندة

- انظروا من يتكلم !!

رفع كفة يديه باستسلام مبالغه عن نفسه

- لا لا لا، خالتي انا متخلف

- بل انت متخلف

حاول ألا يفيقه بقوة ولكنه لم يستطع مع ضحكة عالية بالظهور  
لثوان قبل أن يكتنح بكفيه معتدرا وهي لمسه لبصمت ففعل على  
مضض قبل أن تشير إليه ليقرب بالباء ثم وقد بدا عنيها أنها على  
وشك النوح بسر عظيم. فاقرب وهي قبض له:

- زوجته رحمها الله كانت قد حدثني قبل وفاتها عن فتاة وحيدة  
تعمل في دار الروضة القريبة من هنا وهي معلمة للطفلين أيضا. وأعدت

عدة مرات وتعرفت إليها وهي فتاة طيبة ومؤمنة للعنف وحبوبة جدا  
على الأطفال .

سكنت هنية ثم أشاحت بوحيتها بسارا تدمر وهي تستمر بالفس  
بعد أن مصصت شفيتها:

- ولكن الخروس ولدي رفضها دون حتى أن يراها تحرد عنده بأها  
عاملة .

أوما برأسه مؤكدا وكأنا بساندها في تدمرها وهي تنابع أسرارها  
الحرية مغفمة:

- حتى بعد أن أخبرته بأها ستترك العمل طل على رفضه وثورته .

واشتعلت عيناها بحساس جاء كزائر جديد على حديثها وهي تلوح  
بيدها بتصميم حتى كادت أن تصيب عينيه:

- خمس فتيات رأيتن وأنا في مركز العلاج الطبيعي الذي أتعالج  
فيه ولقد وعدتني الطبيبة هناك بأن تأتي إلي بالحديد. بيني وبينك  
الطبيبة صديقتي ولكنني لا أحب التأخر كما تعلم !.

كان يومي، برأسه بلا توقف وهو يهدف جمعه لها وما إن انتهت حتى  
قال بخفوت يبادلها أسرارها:

- هل هي جميلة؟!

عقدت حاضيتها بتفكير نصف دقيقة كاملة قبل أن تقول :-

- لا أعلم يا ولدي هل يصح أن أصف لك امرأة مثلك لو لا

رفع حاجبيه مدهشاً قبل أن يهتف بعزلة

- العروس منتقبة ١٣

- إنما حتى غير محجبة يا معنود

- أنت من قلب بأنها منتقبة

- أنا أتحدث عن الطيبة أيها المختل

أعاد رأسه إلى الوراء بإدراك متأخر:

- آه ، فهمت

مجدداً مصصت شفيتها وهي تنظر له مستبحة حينه انطلق وهي

تتحسر بكاء:

- يبدو أن ولدي ليس هو الغروس وحده كما كنت أظن

حرك رأسه نفياً وهو يجيبها :

- صدقيني يا خالتي. الغروسين أكثر في هذه البلد الجميل

رغمًا عنها ابتسمت ابتسامة واسعة وهي تخر رأسها منعجة قبل أن

تنظر في عينيه بمكر متسائلة وقد ظهرت لها لمعة جديدة في عينيه:



- عادل، أنت قررت الزواج أخيراً، أليس كذلك؟

اتسعت عيناه بدهشة قبل أن يراوغ مجدداً:

- أوتقرأين الأفكار أيضاً، قلبي الصغير لا يختمل؟

فخرته بجديّة هذه المرة متجاوزة عن مزاحه الثقيل هاتفة بوجهه:

- لن تفلح مراوغتك، أنت قررت الزواج، صحيح؟

أطرق برأسه أمام ذكائها ومعرفتها به وقال معترفاً متهرباً من عينها:

- أنا رجل في الهندية يا خالتي وأحتاج إلى شريكة حياتي، والطفل

أيضاً يحتاج إلى عائلة متكاملة، ولكنني لم أجد امرأة بالمواصفات

التي أريدها بعد .

ناظرة مخدوة، وهي تفكر في الدقائق القليلة السابقة، عندما انتابها

الحزن على وحدته للحظات وعشقه لامرأته المتوفاة، والذي بدأ ينحصر

بجوار تلك اللسعة المصينة في عيبه لجرد أن أعاد التفكير في المسألة.

وتضع نفسها في كتفه الميزان الأخرى وهي التي وهبت عمرها لتربية

ولدها بعد رحيل روحها وصمتت على ألا تمنح نفسها لغيره مهما

حدث .

لماذا تقارن الآن وهي من سعت للبحث عن عروس لولدها بمجرد

أن علمت بمرض حالة المميت، أهو ذاك دور البطولة الذي يتلصقنا

بعوارضه دوماً عندما يتعلق الأمر بالآخرين؟!، أم هي فقط سنة الحياة؟.

وحدث وحيثما يرتفع ثلثان نحوه وتسالة منفي.

- هل تريد أن أشرح لك واحدة؟

ازدرد ريثا وهما وتصح ليحلى حجرة أو ليحلى ارتياكه ريثا وهما  
يجيب بتمهل:

- أعجبتني مواصفات العروس التي رفضها هشام دون أن يراه.  
فقط أريد أن أعرف. هل هي جميلة؟

تعجبت أكثر وهي ترفع كتفها نحوه وتقول:

- أنت وذوقك

- كيف !

دفعت بشاذ صبر منها وقد احتدم الصراع بداخلها، ماذا تفعل. هل  
تعطى فرصة أخرى لهشام ربما يعيد النظر فهو الأسب لها. أم تعصم  
على وعد غير وتترك له رؤية فرصة مع عادل. حسنت أمرها أميرا  
بقرارها أن تترك الأمور عاقلة بعض الشيء. وتمسك بالعصاة من  
المنتصف فقالت:

- بلى. كل رجل وله ذوق مختلف. فمثلا في الماضي كانت الفتاة  
تمتلك القوام هي الأجل في عين الرجال وهي ذات الحظ الأوفر في  
طلب يدها للزواج. أما الآن فرما الوضع يختلف بعض الشيء.  
رما تكون جميلة في عيني ولكنها لا تعجبك. أنت وذوقك !

رأته يُغمض عين بينما يبقى الثابتة مفتوحة وهو ينظر في برب حيث  
بادرالك:

- خالتي، أنت تلاعبيني !

ضربت عصاها في الأرض حافة وهي تبيض صدحة فيه ونظر في  
تعيد بعيداً عنه:

- أيتها رؤى وأنت تعرف عنوان دار الروضة. أذهب وانظر إليها.  
ولا تتحرج في. سأذهب لأدلفك صدقك المحلول منك !

تبعها نظراته وهي تاج الغرفة الأخرى وهو يمر أصابعه بين  
خصلات شعره الكثيف مسكراً في الأمر خدية أكر. سيفعل ما قاله  
بحق قبل أن تنصرف عاصف. سيدهب ويراها ويتحدث إليها ربما  
تعجبه. بالتأكيد حالة لن توصي إلا بمادة تأمنها على استنها وبنها. لن  
تأخذ مكان زوجته السابقة حينها فهي قد تركت وجها مستمراً في خافقه  
الذي كان يعشق كل تفصيلة بها. ربما تساعد رؤى في تسكين هذا الألم  
وتعيد إلى روحه الراكدة نكهة من حياة غادرت بلا عودة. ولم لا ؟ .

\*\*\*

- أنت تشبه الأطفال في تشبثك بما تريد يا عادل. سأنصرف حالاً

كانت العبارة الخائفة لـ هشام الذي ألقاها وهو يدرس كفيه نحي  
بنطاله وهو يستدير مستعداً للانصراف ولكن عادل تمسك بترفقه بقوة  
وهو يجذبه ليعيده بجواره أمام السور الخارجي لدار الروضة هاتفاً برجاء  
- وتزكني وحدي في هذا الموقف !!

زفر هشام بعدم رضا وهو يلوذ نفسه على استسلامه لرغبتين  
صديقه المراهق الكبير. عندما أخبره عادل برغبته في الارتباط مرة  
أخرى. بارك هشام هذه الخطوة الجديدة التي كان يتوقعها منذ أسابيع  
وهو يشعر بحاجة صديقه للزواج فجداً. ولكن لا يكر أنه فوجيء  
عندما علم برغبة عادل في الزواج من نفس الفتاة التي رشحتها له والدته  
من قبل. ومع تصميم عادل الذي لم يستطع التناكس منه اضطر إلى  
الإنصياع له ومرافقته إلى دار الروضة ليواجه مصيره من بعد أولاً حتى  
إذا أعجبته يقفز إلى الخطوة التالية ويحدثها عن رغبته بزيارة رسمية لبيت  
عائلتها. في البداية رفض الذهاب معه بشدة فالأمر برمته لا يخصه.  
ولكن عادل قطع عليه الطريق بمكر وهو يسأله إن كان قد أعاد التفكير  
فيها كمعروض مستقبلية مما جعله يزفر في النهاية مُعلنًا موافقته وها هو  
الآن يقف بجواره كمراهقان يتسكعان أمام مدرسة للبنات فقط !.

جاءت أمام عادل الفرصة التي كان في انتظارها منذ ساعة على  
الأقل وعبرت إحدى عاملات النظافة من البوابة الداخلية للدار ومرت  
بالحديقة الصغيرة حتى توقفت أمام صندوق القمامة الخارجي وهمت بأن

تضع به أحد أكياس القمامة الكيرة السوداء. تحرك عادل سريعاً نحوها ورآه هشام يتبادل معها الحديث قليلاً قبل أن يدس في يدها ورقة مملوءة ما ورأها تبسم له وهي تشير بأصبعها إلى كلتا عينيها وتستدير ليعود للداخل. قطب هشام ما بين حاجبيه بضيق وهو يتوقع الحديث الذي دار بينهما. لم يكن استيائه بسبب الحديث نفسه. بل للطريقة السهلة التي يستخدمها عادل دوماً ليحصل على ما يريد بساطة لا تذكر طاماً بملك ثمنه !.

وضع عادل يديه بابتسامة وهو في حبي ساطع الخبز وهو فخور بذلكاء وبحث الخطي نحو هشام الخالق الذي ينظر في ساعته كل ثابنتين تقريباً. وعندما اقترب منه قطب هشام بقلة صبر :

- عادل. أمانك خمس دقائق فقط وسأتركك هنا وأنصرف. اليوم الدراسي أوشك على الانتهاء ولو حضرت أمي صدفه ووجدتني هنا لن يمر الأمر هكذا ببساطة، وأنت تعلمها جيداً .

لم يكذب ينتهي هشام من إلقاء وعيده. حتى وجدا العاملة تعبر الباب خروجاً مرة أخرى وتتجه نحوهما بابتسامة واسعة متأملة وتسرع الخطي نحوهما بنظرات تلمع بالنصر المؤزرا. اقتربت العاملة منهما وهي قد يدها ل عادل بالهاتف المحمول، وبالرغم من قدم تاريخ تصنيعه إلا أن كاميرا الفيديو به تُسجل بشكل لا بأس به. تناول عادل الهاتف منها واقترب بجسده من هشام وهو يُعيد تشغيل الفيديو التي سجلته العاملة

أرؤى وهي تتحدث بطلاقة بداخل أحد الفصول مع الأخص  
وقازحهم بلطف. تعلقت عيني عادل بعينها لدقيقة كاملة وانسأمت  
خفيفة علت شفتيه لما جعل هشام ينظر إلى الدقيقة الأخرى القيد  
زمن القيد بفضول ثم تسائل فتمتصنا:

- هل هذه هي ؟

أوما عادل برأسه وما زالت الانسامة تعلو شفتيه وهو يندق بملامحي  
الصغيرة لما جعل هشام يوقن بأنها سكنت منطقة القول بقلب عادل  
وخصيصاً وهو يرى نظرة الرضا والشفق التي تراقص بعيني صديقه مد  
بداية تشغيل مقطع القيد حتى ثابته. لم يكن هشام وحده من لاحظ  
انسامة عادل بل العاملة أيضاً فعلت وهي تسبح في رقفتها منتظرة  
بقية الإكرامية بلهفة وشفق. ولم يخف ظنها. مسحها عادل ورقته أخرى  
بسواء هذه المرة وهو يشكرها ويتأولها هائتها وغسما انصرفت بسرعة  
تكاد تطير من السعادة برغم ثقل وزنها. التفت عادل نحو هشام وهو  
يحاول رسم تعبير حيادي على وجهه قائلاً:

- أعتقد أنني سأنتظرها لأتحدث إليها. لو أردت الانصراف أنت.  
لا بأس

رفع هشام حاجبيه بخبت وهو يستند إلى حافة الباب الخشبي  
القصر والملون الذي يقف بجانبه يريد التلاعب بصديقه قليلاً قائلاً:

- أنا غير متعجل. لو أردت الانصراف أنت فافعل

لم يلاحظ عادل نبرة المزاح في صوت هشام مما جعله يرفع راسه متجهيناً نحوه. كان هشام يريد الاستمرار في مزاحه ولكن ما لم يجد عدداً في تلك اللحظة كانت كثيفة بأن تطلق العنان لصحكاته العالية فهو يمسك بذقن عادل ويقول بأسلوب ساحر

- هل وقعت في الحب من أول مقطع همدو يا صديقي؟

حزر عادل ذقنه وهو يدفع هشام بعيداً وقبل أن يرد عليه رأى بعض النساء مقبلة نحو باب الدار من أكثر من اتجاه فعلم بأن اليوم الدراسي قد انتهى وسنخرج له عروسه العاطلة عن ما يحدث حولها بين لحظة وأخرى مما جعله يسي هشام غامراً ويلبثت بكامل ابتهاجه مرافقاً الباب الداخلي. نظر هشام إلى ساعة معصمه وفكر التحرك على الفور قبل أن تخرج الفتيات أو يراه والدته وتقع فريسة بين يديها

لم يشعر عادل بالنصراف هشام وهو يراها تخرج حاملة حقيبتها وتحرك بخفة بين الأطفال المندفعين للخارج تنهوا. لا يعلم لماذا تتعلق عينيه بعينيها تحديداً ولا يكاد يحيد عنها. هذه ليست خصاله أبداً. فهو كالمعتاد في مثل هذه المواقف يحدق بالفتاة بالكامل ولا بد وأن يحصل جسدها على نسبة نجاح لاختياراته لا تقل عن تسعون بالمائة. هذه فقط التي ودون أن تدري أسرت عينيه بداخل عينيه وجعلته غير قادر على تحريكهما بعيداً عنها. نظرهما الطقولية تقطن بما دمعة خفية تلمع من خلف زجاجها الشفاف، ربما هي دمعة تأثر وقد كانت يدها تربت نحو

على راحة طفلة يظهر عليها أنها من ذوي الاحياحات الخاصة. هي  
هي حين إلى تلك الدرجة. وعندما التفتت إلى العاملة وراقبا تصور  
اعتقدت بأنها تفرح معها فادلت الكهيرا انشامة بريئة وكأذا نسج  
هو بالذات. سر ما بها. ربما عندما يقرب يستطيع فك اللغز

تقدمت العاملة منها وحمست لها وهي تشير بأصبعها نحو عدل  
الذي استطاع المرور بسهولة من بين النساء والوظوف بالقرب مكان  
منها. اقتربت منه بروتيبة وازهاق واضح وهي تتوقع أن يكون أحد  
أولياء الأمور ويريد السؤال عن ابنته. وعندما وفتت أمامه مريحة به  
بعملية ومن دون انشامة واحدة. تلعبه قليلا قبل أن يتمالك نفسه  
ونظراته تتركز بداخل عينيها متسانلا.

- أنسة رؤى ؟

أومات برأسها مؤكدة بصمت منتظرة أن يبدأ بعريفها باسم ابنته  
ولكنها فوجئت به يقول على الفور:

- هل من الممكن أن تمنحني عنوانك بالخط ؟

كاد أن يقع على وجهه بعد أن تعرفل بأحد درجات السلم ولكنه  
حافظ على اتزانه في اللحظة الأخيرة وهو يحسك بسوره الخديدي  
واعتدل ينظر خلفه بتذمر نحو والدته التي كانت تدفعه من الخلف



ليصعد بعد أن لاحظت تردده ووقوفه عن الحركة لتوان. عدل من قبضه الأزرق بفتور وهو يزفر بشدة ويطن على وضعية غلبة الخلوى الكبيرة في يده الأخرى ثم يكمل رحلة الصعود للطابق الرابع بلا حول ولا قوة. ها هو قد أطاعها زعلًا عنه بعد أن نفذت خججه وقد آتت له بعروس يتوفر بها الشروط التي تمسك بها وترفض رؤى من أجلها. فتاة لم تكن تعمل في يوم من الأيام. محجبة. وعلى استعداد لقبول ظروفه وتربية بناته كما يحب. حاول أن يهرب من حصار والدته كثيرًا ولكنها لم تبال وطلت نظارده بمكرها لأيام. مرة تدعى المرض وترفض إعداد طعامه. ومرة تضغط عليه بأخديب المواصل عن عادل صديقه الذي أخذ منها مواصفات رؤى وعصوات غسليًا في دار الروضة وفي الأسبوع التالي اتصل بها ليدعوها لخصور حفل زواجه البسيط والسريع ثماني خلفه من غرفة لأخرى تخفي له عن العروس الحبيبة التي رشحها لها غير وامتدحت بها بكل الصفات الرائعة. حتى بالأسوأ أصبحت حياته لا تطاق. وأخيرًا اضطروا للرحيل والمواظفة. الفتاة بريمة الأنوس وتعيش مع عبيها في تلك البناية في الطابق الرابع الذي كاد أن يتجاوزته أثناء شروده لولا والدته التي جذبت من ذراع قبضه متأنقة من ضياعه وهي تحبس بأنفاس متلاحقة بأنفاس وصلًا إلى الشقة المشوذة. استدار وهو يخلص قبضه من قبضتها ويهتف من بين أسنانه بغيظ :

- أمي. لماذا تعامليني هكذا. احترميني قليلًا ؟

الزيارة ومن الواضح من المقابلة الدافئة والمرحبة بشدة بأن الأمر لا ينقصه سوى تعارف الطرفين فقط. عرف من حديث الرجل بأنه عم العروس وفي مكانة والدها تمامًا لديها. وهي تعيش معه هو وزوجته منذ أن فقدت والديها، تبادلوا الأحاديث حول ظروف هشام الخاصة منطرقين إلى وفاة زوجته الأليمة وغيرها من مناقشة وضعه المادي الذي لم يختلفوا حوله أبدًا. ثم طال الحديث عن والد العروس رحمه الله ومدى تعلقها به وتعلقه بها بشكل خاص حتى أن هشام وجد عينيه تدمع رغما عنه وتعاطف معها دون أن يراها .

من الواضح أن العروس خجولة للغاية وتخشى اللقاء. فزوجة عمها خرجت إليها عدة مرات وفي كل مرة تعود بدونها. حتى أن الظنون بدأت تراوده حول رفضها له.

طرفات خفيفة على اليد من الخارج قطعت عليه أفكاره وجذبت انتباهه ونظراته لتقدمين تلحان إلى الغرفة بتردد واضح وكأنها تريد العودة من حيث أتت. صاحبها رائحة مسكية ليملأ أنفها حواسه. مرت عينيه مرتجلة على تفاصيلها من أسفل إلى أعلى ببطء. اصطدمت نظراته بأصابع كفها المشابكة ببعضهما البعض بتوتر أما معدتها وكأنها تعاني ألمًا ما بها. ولكن عينيه لم تتوقفا بل استمرت في الصعود راحلة حتى جاء دور وجهها أخيرًا في الظهور أمام شاستهما البراقة. في تلك اللحظات كانت والدته تقوم بدورها في احتضانها بحفاوة ودعوتها

للجلوس بجانبها، تألفت نظراته وهي ترحو والدته بالابتعاد قليلاً. لا يزال يريد وجبتها أكثر. جلست بخوار والدته هشام مطرفة إلى الأرض وحببت منور بخوف أكثر منه خجل، لم يتحدث إليها وترك لوالدته العنان. فهي كفيفة بالأمر. بالإضافة إلى أنه مشغول بمراقبة وجبتها المخضية أكثر، خلف حجابها الرفيق حوله. اشغل عقله بمدى التقارب والتمازج بين لون حجابها ولون عينيها. وفي هذه اللحظة اكتشف بأنه كان ينسى. وبأن عمها وزوجته كانا يراقبان ابتسامته تلك عن كتب تلاميذ مشرحة. نرى هل هذه نفس ابتسامة عادل وهو يشاهد رؤى؟

ابتسامة القبول !

تنحنحت والدته وهي تنهض موجهة حديثها نحو بوجة العم وهي تطلب منها الذهاب للحمام. بإدراك شديد هضبت المرأة سريعاً وهي تأخذ والدته للخارج وبعد ثوانٍ حتى الرجل هما وركبتهما وحيدتين ولكن برفقة بعضهما البعض .

شكر هشام صنيع والدته بداخله وهو يلتفت نحو عروسه محاولاً جذب طرف حديث ما بينهما يجعلها تنظر إليه وتحدث معه. هو يعلم بأنه لا يجيد الحديث لذلك تنحنج عدة مرات تجلي صوته وهو يضع كأس العصير الساكن بيده على الطاولة الصغيرة المقابلة له والفاصلة بينهما. وبدأ يسؤالها عن أحوالها بشكل جعله يبدو كأبله أو معنوه كما تقول له والدته دائماً وهي تفرعه، وعندما وجد منها إجابات تشبه

التمس إلى حد كبير، بحث عن موضوع ربما هي تحبه فيجعلها تتكلم بأريحية أكثر فاختار أن يسألها بركة عن والدها وما قاله عنها عن علاقتها القوية به، وبالفعل نجح في جذب انتباهها وجعلها تؤكد له ما أخبره به عنها من معلومات عنه. عادت عينيها تدمع من جديد عندما رأى الدموع تترقق في عينيها بخزن وهي تتحدث عن تديله لها والذي افتقدته بشدة .

ضعفها أمامه جعله يشعر في لحظة بمسؤولية خاصة تجاهها. حشوة رقيقة بصوتها سببها الدموع المملعت رغبة بداحله للبحث عن إجابة سؤال ساحر طاف بوجوده .

سؤال حول لون عينيها عندما تنسى. كيف ستكون يا ترى؟. كانت رأسها قد عادت للأسفل من جديد وهي تحلف دموعها بركة عندها سمعته يناديهامشاكسا:

- جديدة

رفعت رأسها نحوه بدهشة بالغة من جرأته. كيف واثقه المرأة ليرقق اسمها هكذا بعد دقائق من لقائهما الأول؟. مسحت وجهها بكفيها وقد احتقن لونه للغاية وهو يتابع بتلذذ. مراقبا قلب أنفاسها البادية بقوة في تسارع صدرها صعودا وهبوطا:

- والدك كان فنانا حقا في اختيار هذا الاسم ليخصك به

لم تهبه عنانها وقد إصابتها لستع هذا الشعور العريب الذي  
يعزوه وهو يرى مدى تأثيره عليها فحرد أن رفق أحياها فقط ثم  
واحدة على الباب النصف مغلق دخل بعدها عنها ومن نظرة وحيد  
لابنة أخيه علم بأنها في ورطة ما اقرب منها فوقفت تاهضة على الفور  
وهو يحيط بكففيها متسانلا باهتمام

- جدليل، هل أنت بخير حبيبتي؟

أومات برأسها له وهي نفس برعيلها في العودة لعرشها على الفور.  
تركها تغادر وهو يستشعر سخونة وجهها وحرارة الملامح فيه وحس  
يستكمل الحديث مع هشام باهتمام وحساس مدحاهلا التي البرق الظاهر  
بقوة في عينيه. وعند عودة زوجته والدة هشام بدأ الحديث بأحد محرمي  
آخر وتلقائي بعد أن تكلمت والدة هشام بصراحة عن إعجابها بـ  
جدليل ورضا ولدها الواضح دون الحاجة لسؤال. في البداية كان قلق  
بخصوص تفاصيل الماديات التي سئلب منه وبالأخص لأنها لم تتزوج من  
قبل ولكنه وجد العكس تماما والرجل يسر له ويقول له بصراحة أن  
يأتي بما يستطيع تحمله فقط .

وبدون أن يرى الدكتورة غير كما تقول عنها والدته دونما شكرها  
بداخله عن الهدية التي قدمتها له دون سابق معرفة. " جدليل " هدية لا  
يليق بها سوى تدليل كتدليل والدها لها .

## الروح

كان ذلك اليوم مختلفًا جدًا، مختلفًا لدرجة أن لاحظ زملاءه في العمل تبدل حاله بشكل مفاجيء، بداية من رجال الأمن على بوابة الشركة الذين لم يصدقوا أنفسهم وتبادلوا مع بعضهم البعض نظرات مندهشة عندما مر بهم في الصباح بابتسامة واسعة وهو يلقي عليهم تحيته التي غابت عنهم لشهور، أما الخمسة موظفين الذين تضمهم غرفة مكتبه بداخل الشركة فلم يكونوا أقل اندهاشًا، بل على العكس، ردوا تحيته وهم يحملون به ويتأملون هيئته الجديدة، ذقنه الحليق، ملابسه المهندمة، يده التي ترتفع بالسلام على كتف كل من يقابله منهم، يوزع ابتساماته بالعدل على الجميع، واحد فقط من الخمسة هو من لاحظ قلق دفين خلف تلك النظرات المشعة، ومن يكون سوى صديقه الوحيد.

عندما جلس هشام أخيرًا خلف مكتبه وهو يرسل نظرات ضاحكة رُغمًا عنه نحو عادل الذي كان ينهض من خلف مكتبه ويتقدم نحوه، أحنى عادل جذعه تجاه هشام وهو يربت على كتفه هامسًا بتفككه:

- هل يعني هذا أنه تم تحديد موعد الزواج؟

التي إليه هشام يحاول كبح حجاج نسي، فهو لا يعلم كنهه من  
دلائل سعادته بقلبه. مثلاً يفور من حلقه طرقة يعلن عن غيب  
ويصيح صاحبه. وهو يرد على هسة هسة راحلة فائلاً

- دعني الآن يا عادل وأعدك أن أشبع فضولك عندما ينهي  
العمل، اتفقنا؟

اعتدل عادل واقفاً وهو يرفع كلا حاحيه ويحرك رأسه ويصهده يأس  
من صدقته. نعم لقد تغير مظهره. بدى الإطراق على وجهه. ولكن  
هشام سيقط هشام إلى الأبد. يخاف أن يعلن عن سعادته أمام الناس.  
يخشى إظهار فرحته لهم. يعتبر الحب سرّاً من الأسرار العليا لا يجب أن  
يعلمها أحد. بل ولا يلاحظها من الأسفل. يخاف من الحسد. أم ربما  
يرى الحب ضعفاً يجب أن يوارى خلف الحجاب

في نهاية اليوم وفي هشام بوعدة وهو يسير نحو عادل ويحكي له  
القبول الذي شعر به عندما رأى حذائل لأول مرة. وكيف قابلته معها  
وزوجته مقابلة حسنة ومتعينة لطروقه. وكيف عملت والدته بالأمر  
كأسرع من سلق بيضة من دجاجة بيضة، ولم تنظر حتى أن يصلي  
صلاة استخارة. وقامت بكل الاتصافيات اللازمة بالزيارة عنه في جلسة  
واحدة بخمس متقد وكأنها تتراجع في قضية رأي عام. ولقد كان حذس  
عادل في محله ثامناً فبالفعل تم تحديد موعد عقد القران في نهاية هذا  
الأسبوع. والزفاف في نهاية الأسبوع المقبل. وهذا يعني أن أمامهما عدة  
أيام فقط للتعارف. وعليه أن يجعلها تعناد عليه بعض الشيء قبل  
الزفاف.



وضع عادل مجموعة من حبات الفول السوداني دفعة واحدة بقمه  
ثم قال باعتراض:

- والدتك لم تقم بعملها كما يجب

التفت نحوه هشام بدهشة بينما حافلة ذات لون أحمر باهت تمر  
بجواره مُسرعة وتلالل من البشر يتعلقون بأبوابها المفتوحة وعادل يوميء  
برأسه مؤكداً:

- نعم لم تقم بعملها جيداً، كان يجب أن تتعلم من والدتي، فلقد  
اتفقت في جلسة واحدة على زفاف مباشرة خلال عشرة أيام  
فقط، وتم لها ما أرادت

كاد هشام أن يُعلق ولكنه لاحظ شرود عادل بعض الشيء وهو  
يستطرد بنظرات غامضة:

- ربما لأن ظروف رؤى زوجتي مختلفة، فهي وحيدة

تنحج هشام وقد أدرك للتو أنه نذل كبير، فلم يخطر بباله مرة  
واحدة منذ شهر كامل، مذ أن حضر حفل الزفاف الصغير لصديقه أن  
يسأله عن أحواله مع زوجته الجديدة، وهل هو مرتاح معها أم لا، فهو  
يعرف عادل جيداً، إنه عكسه تماماً، يكتم الحزن بداخله ويرتدى قناع  
المرح دوماً ليداريه عن الناس، أما السعادة فهو كفيل بالإعلان عنها  
لكل من هب ودب، فلقد أعلن خبر زواجه على الشركة بأكملها  
بمجرد أن اتفق على موعد الزفاف، بل وتعارك مع مدير فرع الشركة  
لأول مرة ليحصل على إجازة لأسبوع كامل، وعندما عاد من أجازته لم



يكن يمشي بل كان يطير على أجنحة السعادة بينهم، أما ومن أيام قليلة، فقط عدة أيام لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، تبدل حاله، أصبح يشرد كثيراً، وهو لم يكلف نفسه ليسأله لماذا، حسم قراره وخصاله بعدم التدخل في شؤون الآخرين تحاربه وتسانل بحزم لم يقصده:

- بمناسبة حديثك عن زوجتك، كيف حالك معها أنت وطفلك؟

زفر عادل بقوة وقد ظن بأن هشام لن يسأله أبداً، فهو يحتاج للحديث ولكن لا يعلم ماذا سيقول بالضبط، إنما مجرد مخاوف لا يعلم لماذا تراوده بشأنها، نفص كفيه من بقايا قشر الفول السوداني العالقة به ودهسهما في جيبي بنطاله كعادته وقد توترت نظراته قليلاً وهو يقول:

- لا أخفي عليك يا صديقي، في البداية كانت علاقتنا جيدة للغاية ولقد شعرت بحبها لي وحاجتها لحبي، وأصدقك القول هي تهم بي وبطفلي بحب لم أكن أتخيله، ولكن في الأيام الأخيرة تبدلت قليلاً، هناك شيء ما تخفيه ولا أعلم ماهو !

رفع هشام يده يحك ذقنه مفكراً وهو يحط شفثيه ثم عقب قائلاً:

- تقصد أنها لم تعد تهم ؟

حرك عادل رأسه على الفور نافياً وهو يجيب والحيرة تزداد بقلبه وعقله أكثر:

- لا، هي تهم بلا شك ولكن، تخفي أمراً ما عني، منذ أيام خرجت ولم تخبرني تاركة طفلي عند والدتي، وعندما سألتها بحدوء ثارت

بدون مرور واتهمني بأنني أحسهم بالبيت وأراقب خطواتها  
كالمجنونة.

- ألم تعرف إلى أين ذهبت؟

ودون أن يحببه توقف فجأة أمام دكان صغير رُجاجي يعرض أنواع  
شقي من الزهور وابتاع منه باقة ورود صغيرة مختلفة ألوانها، جمعها له  
البائع بمهارة وسرعة بداخل عقدة حمراء اللون زاهية، دفع عادل ثمنها  
وهو يتأملها برضا، وعندما خرجا ليتابعوا سيرهما، استكمل عادل حديثه  
وكانه لم يتوقف قائلاً:

- المشكلة بالنسبة لي ليست أين ذهبت، أنا أثق بها وأعلم أن  
النساء تحتاج أحياناً إلى التسوق بعيداً عن سأم الرجل السريع،  
المشكلة أنها تضع بيننا المسافات والحواجز وتُخفي الأمر عني،  
أصبحت تشرد كثيراً وعندما أسأها تنهرب مني

نظر هشام إلى باقة الزهور بيد عادل وقال ساخراً:

- وهذه الزهور رشوة بالطبع لتبوح بما تخفيه

ضحك عادل بخفة وهو يرفع الزهور يستنشقها بقوة ثم يردف  
مبتسماً:

- نعم هي رشوة بالفعل، ولكن لأمر آخر، لأنها طلبت العودة إلى  
عملها اليوم صباحاً ونحن نتناول الإفطار سوياً وأنا رفضت  
فغضبت مني، حاولت مصالحتها والتفاهم معها ولكنها أوصدت

باب غرفة النوم وهنفت من خلفه بطفولية بأنها لم تخرج حتى  
أرحل .

سكت هشام تماماً وهو يتنهد بعنف وهو يسيل أهدابه حتى كاد أن  
يصطدم بالعجوز الذى مر بجانبه، وبدخله بحمد الله على أنه سجد  
أحمد بعدم الموافقة على الزواج منها، ماذا لو كان تزوجها وقلبت حبه  
إلى جحيم لتعود للعمل مرة أخرى كما تفعل الآن مع عادل وكما فعلت  
هالة معه من قبل .

توقفت أفكاره للحظات عندما ففرت ذاكرته إلى هالة الراحلة، التي  
قامت بنفس العاصفة عندما رفض أن تعود لعسلها بعد الزواج، ولكنه لم  
يأت لها بزهور، تركها تغضب وتصبح كال يوم وعندما سنم أخذ يادف  
صياخا بصياح وشجارا بشجار واستحالت حياته إلى جحيم فعلي لم  
يخرجه منه إلا حملها بالتوأم حتى ولحين .

لكره عادل بكشفه ليعبر معه الطريق سريعاً ويهبطا إلى أقرب محطة  
مترو. وعندما وقفا على الرصيف فى انتظار القطار القادم، نظر هشام  
نحو عادل وقال وكأنما يتحدث إلى نفسه:

- وهل تعتقد أن الزهور تأتي بنتائج مع امرأة عنيدة، فصممة على  
ما برأسها

ابتسم عادل وهو يعلم بأن هشام فى هذه اللحظة لا يتحدث عن  
رؤى، إنما هو عالق فى ماضيه، فمال باتجاهه قائلاً بخفوت:

- المرأة لا تكون عبدة إلا عندما يهملها زوجها يا هشام. تريد  
لقت انتباهه بعندها كما يفعل الأطفال. لذلك أنا على يقين بأن  
تريد العودة للعمل لا للعمل نفسه ولكن لأنها شعرت بالضعف في  
الأيام الماضية وبدأ اهتمامي بها يساقط.

ورفع باقة الزهور أمامه وهو يتابع شرح ماكر

- وباقة الزهور شدة قليلة بالأمم. مع كوب من غول غير عصف.  
ورشة من شغل رجل بامرأته لا نستطيع أن نصدده. وهكذا  
أستطيع أن أكل ضاها هيا مربا !

يوقف القطار فتنسى على الحروف المنقبة من حديثه وتخفى جميع  
الناس على محطة القطار وعندما يوقف أمامهم يفرد طوله على الرصيف  
الطويل وفتحت أبوابه تدفع الناس إليه. لدرجة أن من يحاول الخروج  
ربما يدخل مرة أخرى بقوة الدفع. هذه القوة البشرية هي التي دفعت به  
هشام للداخل بضجة عاقل ولكن عقله كان وحيداً تماماً. منفصل  
بالكلية عما يحدث من حوله. والتساؤلات تدور بذهنه بلا توقف. لماذا  
كان يقين زوجته لا فائدة منها. ولماذا لم يلجأ إلى ناصح أمين كعادته له  
خبرة في التعامل مع المرأة. ربما كانت مشاكله قد خلعت معها. كان يرى  
حياته معها بمنظور واحد. منظور متجمد. لو قدمت الدنيا حوله لن  
ينظر لها من غيره. ولن يحيد يمينا أو يسارا. ربما كان سيجد باباً آخر يلج  
منه إلى نقطة تفاهم مع شالمة. كان دائماً يحاول فتح باب خلفي. بينما  
الباب الأمامي مفتح على مصرعيه !

زحاث مطر خفيف تصابق واحدة بعد الأخرى فوق سطح رجاج  
نوافذ السيارة الموحجة. فلاعب المساحات الأمامية لها وتضخم  
تستطع نحوها بسهولة. بينما طرفاتها الخفيفة المتناوعة ترفع رأسها  
البضاء معلقة المزمجة أمام قوة ضربات قلب حديد الساكنة على المقعد  
المجاور له هشام وهو يقودها إلى بيته. إنما لمص صوت تلك الطرقات  
الغامسة على الزجاج المجاور لها. حيلة العام تنظر الشتاء لتستع لها ليل  
من خلف نافذتها المغلقة وكان بينهما حيلة ما. تنحط بعض  
الصوفي الثقيل وتعض عيناها. "المطر" نام على ريشه المادلة كرصع  
فوق ساق والدته وبين ذراعيها مسرح حشده فوق صدرها وهي  
تدهده بلحن يعتاده يوميا. ما بالها الآن لا تستطع أن تستمع له وقد  
ذوى صوته وتراجع خلف نبض خافتها الذي يصح بين أصبعها بصعوبة  
مؤلمة، خوفاً، قلقاً، أو انتظاراً !

لو كان الإنتظار بقل لقلتها في اليوم. لماذا ضاقت المساحة الفاصلة  
بينهما بداخل السيارة هكذا، تكاد أنفاسه الثقيلة بصحبة عينيه المتعلقة  
بالطريق تبثع الهواء بالكامل بداخل السيارة الغارقة بحسا في اللازمان.  
تكفي شحنات التوتر التي لازمتها منذ بدأت منحنيات الطريق بشير  
إلى اقتراب منزله، متى سيصلان وينتهي الأمر لتبدأ رثتها في التنفس من  
جديد .

كان يلتفت نحوها بطرف عينيه بين دقيقة وأخرى ثم يعود لباتح  
الطريق مجدداً. يكاد يسمع ديب أفكارها المشتتة بوضوح، تشي لها  
بشرتها المقلبة الألوان بين الوردى المحب والشحوب الشديد، وهي

تتابع بعينها حيات المطر، بداية قوية لشتاء بعده بالكثير. أحياناً يذكرنا  
الشتاء بما فقدناه، أو ربما بما كنا نملك ذات يوم !

لقد فعل كل ما بوسعه في الأيام السابقة ومنذ أن عقد قرانها  
ليجعلها تعتاده كخطيب وزوج، جلسات مطولة بينها وبين بناته. كانت  
لها نصيب الأسد من الزيارات العائلية وقد كان يترك لها مجال الانفراد  
بالتفات وحدهما لفترة طويلة كما طلبت منه ليعتادا على وجودهما  
معها. كان يفرح باهتمامها بهما وخصيصاً أن قالت له والدته بفخر  
ذات مساء:

- جدائل قالت لي أنها قد اشتركت في دورة لعلاج تأخر النطق عند  
بناتك

خجلها المتزايد لم يكن يترك له فرصة سوى بعض المكالمات الهاتفية  
التي كان معظمها من نصيب والدته. والدته التي كانت شريكاً أساسياً  
في اختياراتها لأثاث بسيط. تحمل أركان شقته من ثلاثة أيام فقط. أصر  
هشام من البداية أن لا يعيشان مع والدته بشقتها. ولم تمنع الأخيرة أو  
تعرض وكأنها هي أيضاً أصابها حمى الخوف من تكرار الماضي.  
فاحضرت امرأة تعرفها لفتح شقته وتنظيفها حتى صارت جديدة براقية  
وباعت جل أثاثها القديم، لتتأنق الشقة بأثاث جديد للعروس القادمة  
على استحياء. ها هي قد أوشكت على التخلص من هذا العبء  
الثقل ورميه على أكتاف أخرى، بداخلها يعرف بأنها شاركت في تعاسة  
ولدها مع هالة، ضميرها يؤلمها ويحثها على عمل أي شيء لتراه سعيداً  
مستقراً مرة أخرى، فكل شيء مباح في الحب والحرب !، والآن تنف



بانتصار في صدر الشقة وأمام بابها بعد أن وضعت طعنه العنبر  
للعروسين

وجبة فاحرة تركت من أجلها حبل المرواح الصغير الذي لم يخصر به  
سوى المظربون فقط. حتى عادل حصر وحده واعتذر عن عدم حضور  
زوجته لمرضها. وجعلت انتها وروحها يندلج سيارتها إلى الخرب  
لتعدها كما يحب. وتضعها في شقة ولدها قبل وصوله هو وعروسه

استمعت إلى أصوات أقدام وحفيف لباب القبلة تصعد السلم  
فتحركت على الفور تجاه باب الشقة المنصوح من البداية لتستقبله  
أمامه قبل دخولها. كان المطر قد نال من ملابسها فابتل فست  
الغرس الأبيض ولم تسخ خلة هشام من البطل الدم ولد خلع سترته  
بمجرد أن خرج من سيارته ورفعها فوق رأسهما لتحميهما قدر  
المستطاع من الماء. أقبلت والدته هشام حين جدائل ولحنيها وفيه  
دمعت عينها بكسوة وراحة عندما بدلت هشام الأحضان وهي توصيه  
بعروسه. ولم تنس أن تلذعه بلسانها قبل أن تعذر هاتمة في أمه

- أرفع رأس أهلك يا ولد

تركته والدماء تغلي في عروقه بسسها وهبطت للطابق الأسفل  
لشقتها حيث ينتظرها فراشها الدافئ بخوار الفتاتين العائتين في فراشها  
منذ أن حملهما زوج ابنتها من سيارته ووضعتهما في سريرها وانصرف هو  
وزوجته دون تقديم عرض مبتذل عن اصطحاب البنات معهما ولو حتى  
لحفظ ماء الوجه. ولما يفعلان؟ وماذا لو وافقت؟ لا... الأفضل ألا  
يتدخلان من البداية كما هما دوماً !

جاءت جدائل فستانها الفضل بفصل الفلن وهي ملح للدخول به  
نس نظيف جذائها جيداً قبل الدخول يساً تعبا هو معك إلى  
جلته عدوه. وقف بجانبها بلفظ الفاسه وبرائتها وهي تتحون بطرق  
بين أركان صالة الاستقبال يسوع وكانها تهاكد أن كل شيء ممكنة تمام  
كما وضعته أول أمس. انقسم الخماس وهو بدعوها لتحتوس فيها  
ولكنها قالت بحجل وهي ترفع ديل فستانها عن الأرض

- سادجل لأبدل فستاني أولاً. ديل الفستان مثل وقد غرق به  
الزباب وأخشى أن يفسد السجاد أكثر من هذا

أوما ظا موافقا برأيه وهو يتسحج فخرجا دون سب واضح. حلع  
جذائه وتركها تدخل غرفة اليوم يساً تقدم هو قاصداً أول مقعد أمامه  
وجلس وهو يرجع ظهره للدخول نفطاً عبيد محاولاً الاسترخاء قليلاً  
وتجميع عبايد أفكاره المدهقة بكل التوه بعقله. اليوم كان فرفطاً جذاً  
له. اضطر إلى غسله صباحاً لعدة ساعات قبل أن يذهب بعد مداوات  
عدة لمحاولة الحصول على أحارة رواح لأيام. والتي لم يستطع أن يحصل  
منها سوى على يومين فقط يليهما يوم الجمعة والسبت. أحارة طويلة  
بالنسبة له لم يحصل عليها من قبل سوى في الأعياد !

هل تأخرت جدائل بالداخل أم هو فقط يتوهم. أم لعله يشناق!!.

زفر وهو ينهض واقفاً لا يدري ماذا يفعل. أخذته قدماه دون إرادة  
نحو غرفة بنات المعلقة. فتحتها برجفة دقيقة لا يعلم سببها ودخل وبده  
تسوق قدميه وترفع تلقائياً نحو زر الإضاءة كعادته. وقف يتأمل الغرفة  
النظيفة حوله بذهن شارد ويداه تتدافأ بحبي بنطاله، يشغ بالاشتياف



الشديد لأول مرة بحياته. هل لأها عروس جديدة؟ ولكن لا. لقد تم  
 بنشر هذه اللهفة لرؤيتها وللحديث معها في كل مرة يذهب لزيارتها. أو  
 ثاني هي لوالدته. في كل محادثة هاتفة كان ينذرع بأي موضوع للخط  
 الحديث معها ويسمع صوتها أكثر. فهي خجلة جدًا. يراها غامضة. هل  
 يكون هذا هو سبب شغفه. كونها غامضة عليه. لا يتحدث بالكثير. لا  
 تثرثر. مازالت كتابًا مغلقًا بدون بلغة أخرى غير لغته

" ألم أقل لك " !. عبارة رن صوتها بخاطره جعلته ينتفض. ويتراجع  
 للخلف بظهوره حتى خرج من الغرفة و يسحب بها معه ليغلفها فجذا.  
 يرى حروفها ترسم بعقله وقلبه معا. وكأن أحدا ما يشاركه قلبه وعقله  
 ورأى ما يدور بها فأجابته على الفور بما. مجرد حروف ولكنها صاخبة  
 جدًا. ضح بها فؤاده. " إذا تزوجت بأخرى غامضة صامتة ستصبح  
 شغوفًا بها. على عكسي " !. مرر كفه على خصلات شعره وأصابعه  
 تنغرز فيها بتوتر شديد وكلماها السابقة له تسحق ضميره سحقًا وتذله  
 بها سماء عينيه .

- هشام !

استدار سريعًا للخلف وأحدا به ترفرف بقوة وكأنه يجبر عقله على  
 الخروج من ذكرياته ليرى من تقف أمامه في هذه اللحظة. ليستعيد  
 حاضره. أطرق للحظات وهو يحاول تهدئة أنفاسه المتصارعة بصدره ثم  
 رفع رأسه نحوها مبتسمًا بمرح زائف ويسأها:

- هل تُخططين لقتلي جوعًا ؟

ابتسمت جدائل وهو تطرق برأسها هامسة:

## – آسفة، تأخرت بالفعل

تأملها قليلاً قبل أن يُشير نحو الطاولة ذات السطح الزجاجي والبيضاوية الشكل التي تتوسط المقاعد الذهبية اللون وقد وضعت فوقها والدته صينية ضخمة مستديرة مملوءة بالطعام. تحركت جدائل بين المقاعد حتى اختارت واحداً وجلست فوقه بخفة. بينما جلس هو قبالتها والطاولة تفصل بينهما وبدأ يزيح الستار عن الطعام الشهي والصمت يعطي اجتماعهما المنفرد هذا لأول مرة ويفرض سيطرته. لم يكن لأحد منهما شهية كبيرة فهبطا من جلسيتهما تلك بعد دقائق معدودة وهو يدعوها ليصلي بها ركعتين وهو بداخله يتسنى أن تقضي الصلاة على توتره وتشتت أفكاره هذا وإلى بعض الشيء. وبالفعل بدأ الهدوء يعم قلبيهما عندما وقفت حمدة وكرر هو للصلاة. كان يحاول جاهداً أن يركز كل تفكيره في الكلمات القرآنية التي يبلوها بينما شيطانه يجذبه نحو ذكرى بعيدة. خربت فيها حالة من هذه الراحة النفسية التي تناسب الآن بين هشام وجدائل. فلم يكن لأي منهما دراية بخاتين الركعتين الخفيفتين وقد انتهت هما الليلة الأولى نهاية درامية للغاية، أعقبتها تدخل سافر من والدته في اليوم التالي قضى على الكثير من فرحتيهما بأولى أيامهما سوياً

تركها لدقائق بعد الصلاة ليبدل ملابسه خارجاً ثم عاد إليها وبداخله حماس لأن تكون هذه الليلة مختلفة عن ما عاشه من قبل، وفي الصباح لن يسمح لوالدته بالتدخل وسيقف لها بكل جسم إن حاولت حتى، لن يفرط كما فرط مع حالة .

عندما عاد إليها كانت تقف امام المرأة الكبيرة تُعدل من مظهرها  
بعد تخليها عن ملابس الصلاة

فوقف حائلاً بينها وبين المرأة مما جعل التوتر يعود إليها وتطرق  
برأسها أرضاً .

- جديدة

عندما ناداها مُداعباً لم ترفع رأسها ولكنه استطاع أن يرى ارتعاش  
جانبي شفثيها ربما بابتسامة صغيرة، أمسك بكفيها وقبلهما بركة هامساً  
محاولاً استعادت جميع الدروس المُستفادة التي أخذها من عادل طوال  
الأيام السابقة:

- أشعر بمشاعر مختلفة لأول مرة بحياتي، لأول مرة قلبي يتنفض  
شوقاً عندما أقترّب من امرأة، حقيقة أنتِ تمنحينني الكثير، أكثر  
مما كنت أتخيل أن أشعر يوماً

لأول مرة!، همست بحيرة دون أن ترفع رأسها وهي تحاول جاهدة  
السيطرة على ارتعاشاتها المتواصلة:

- أنت كنت متزوج من قبل !

أرسل تنهيدة طويلة وقد انتقلت حيرتها إليه ربما عبر أناملهما  
المتشابكة الآن والتي يضغطها برفق بين أصابعه:

- نعم، ولكن صدقيني، أنا أحيا معكِ مشاعر تطرق باب قلبي  
لأول مرة

ارتعاشة أخرى لاحظها على جانبي شفيتها فأراد أن يرى الابتسامة بوضوح، يريد أن يستمتع بمزيج مشاعرها مع لون عينيها المميز وهي تبسم لعينه عن قرب، مد يده أسفل ذقنها ليرفع رأسها إليه، رفعت عينيها المتوترة المهتزة في البداية نحوه بصعوبة وهي تجاهد لأن لا تنظر في عينيه مباشرة، رآها تحيد بعينيها جانباً نحو المرأة من خلفه وفجأة امتنع وجهها وشحب كالأموات، وصرخت وهي تندفع للخلف بقوة وتعتبر وتسقط أرضاً بعد أن اصطدم ظهرها بالحائط من خلفها، ملامح الرعب التي ارتسمت على وجهها وعينيها التي تجمدت على المرأة جعلته يتصلب مكانه للحظة وهو لا يستوعب ما حدث، ابتلع ريقه بصعوبة عندما أفاق من صدمته وهو يلتفت خلفه، لا شيء!، المرأة تعكس صورته بشكل طبيعي جداً، عاد برأسه إليها فسقط قلبه بين قدميه عندما وجدها قد غابت عن الوعي .

لحظات عصبية مرت به وهو يحاول إفاقتها بعد أن حملها فوق الفراش وغطاها جيداً وهي لا تستجيب، وأخيراً بدأت تتأوه وترمش بعينيها مراراً قبل أن تفتحهما بشكل كامل، نظرت إلى وجهه المتلهف القريب من وجهها للحظة لا يدرك عقلها بعد ما حدث، وفجأة استعادت ذاكرة الدقائق السابقة دفعة واحدة، فصرخت من جديد وهي تنظر نحو المرأة، ضمها إليه بقوة وهو يحول رأسه نحو المرأة لثانية ثم يُسيطر على انفعاله بها ويحاول تهدئتها بينما تمد يدها باتجاه المرأة مرتعشة وهي تهتف بصوت مبحوح من الرعب الشديد المُسيطر عليها:

- زوجتك، في المرأة

عاد بضمها بقوة أكبر إلى صدره من جديد وهو ينظر ثانية إلى  
نسيم ويقول بصوت لم ينجح في إظهاره متماسكاً:

- لا شيء حبيبي، أنت تتوهين

حركت رأسها المضمومة إلى صدره بقوة رافضة وهي تصيح:

- لا، رأيتها، كانت تبكي يا هشام، أنا متأكدة

تسبح لا ليحلي صوته بل لطرد تلك القشعريرة التي دبت بجسده  
بشدة وقد فشل في جعل نبرته هادئة. كاد أن يسألها وكيف تعرف شكل  
زوجته السابقة ولكنه تذكر في اللحظة الأخيرة أنها رأت صور عدة لها  
بصحبة جنى و لجين عندما كانت تحضر لزيارتها في شقة والدته. لا يعلم  
ماذا يفعل. التوتر يفرض سيطرته على جسده والبرودة تتسلل إليه بمكر  
بفقده صوته. هو الرجل، ويجب عليه تقديمها حتى ولو كان مرتعباً وهو  
لم يَر شيئاً، فكيف لو رأى !

- حبيبي، اهدئي أرجوك. أرى حتى قليلاً أنت فتية فقط

كان يشعر بصدرها يعلو ويهبط بخموض وجسدها الذي بين يديه  
ينفض بقوة ويكادها يعلو شيئاً فشيئاً وهي تقبض بلوعة وخوف:

- كانت تبكي يا هشام، ولكن ليس دموع، كانت تبكي دماً !

ماذا يفعل؟! بضمها بقوة ولكن عينيها تدور حوله. يُقنع نفسه  
بصعوبة بأنها قددي بالفعل وهو يهمس بآية الكرسي ويمسح على شعرها  
بیده الأخرى. وقعت عينيها على هاتفه الموضوع فوق المنضدة الصغيرة  
جانب القرائن ضد يده وهو يحيل بجذعه يمينا حتى استطاع أن يلتقطه.

مرر أصابعه فوق أزراره دون أن يفلتها حتى صرح منه صوت الشيخ  
أحمد العجمي بتلو سورة البقرة. وضع الهاتف بجانبها وعدل من وضع  
جسده وهي تنسبث به أكثر حتى استطاع الاستناد بظهره إلى ظهر  
السريـر جاذباً الغطاء حوله هو الآخر يتدثر به معها وهو يهـمس لها بأن  
كل شيء سيكون بخير وربما هو الخوف من ليلة الزفاف هو من جعلها  
تـرى أشياء لا وجود لها. أغـمض عينيـه بصعوبة عندما هدأت أنفاسها في  
صدره محاولاً إقناع نفسه بما كان يقنعها به منذ قليل !

\*\*\*

قضى نومه بين أحلامه المـعذبة له والتي لم تسمح له بالإنسلاخ منها  
إلا بعد أن تسرب إليه رائحة ذبح قريب من أنفه. هناك شيء ما  
يحترق !. انتصب فجأة في مكانه جالسا فوق سريـره وعقله يجاهد  
صحوته المفاجأة. ولم تكن عينه بالـل محمودة من عقله وهي تحاول بكل  
الطرق احتراق سجادة الدخان الكثيفة المـخططة به والتي تملأ الغرفة  
بالكامل. فتر من فوق الفراش هاتفا باسمها وهو يخرج من باب الغرفة  
باحثا عنها. بمجرد خروجه من الغرفة اصطدم بجسد امرأة لم يتبين  
ماتحتها ولكنه استطاع تـمـيز صولها وهي تـجـرد باستياء:

- انتبه خطواتك يا معتود

سعل بقوة محاولاً كتم أنفاسه المـختنقة وقد بدأ عقله يتميز الرائحة  
وما يحدث حوله. وهو يسألها متبرحاً:

- أمي، ما كل هذا البخور، هل تنوين حرق المنزل !



ما زالت تمسك بالسلسل الكبير المتدلي منه المبخرة الدائرية. وتترك  
يدها به حركات دائرية وهي تقيمه بجديّة:

- هذا بخور الزّ با ولدى. يدفع عن المنزل العفاريات والأرواح.  
زوجتك حكّت لي ما حدث لها بالأمس عندما أتيت إليك في  
الصباح. وهي الآن في الأسفل بصحبة بناتك  
نعمت حديثها بأن ظلت تفلّ حولها وهي تسم:

- انصرفوا، انصرفوا

ثم بقوة وهو يعود إلى الداخل محاولاً إلقاء أية ملابس من الحجرة  
ليدها فتمسكته ويهبط إلى شقة والده ليطلب روحه. طرقت الباب بقلق  
فاستمع إلى وقع أقدام صغيرة تتساقط نحو الباب مصحوبة بصحج  
بعرفه. فتح الباب واندهشت للفتاة نحو ساقه يلطف، كل واحدة  
منها تلتصق ساقه وتدفع أحدها بعيداً. اتى إليهما وحمتهما إلى  
الداخل وهو يخليهما نطقاً الباب خلفه ويغلقه تحت عنقا حتى  
وحدهما تخرج من الممر الصغير المؤد إلى المطبخ لتحمل ليدتها صحن  
فاكهة صغير كانت تعدّه للفتاتين. رقصت وجهها خوة وهي تردّ نحيته  
بأسامة حيفة حولها ولكن لم تسوقها حتى وضعت الصحن على  
الحاولة الخشبية العظيمة ثم التفت إليه وركبه وهو يصع حتى على  
الأريكة يسدّ نحو تمسكته بفرجه وهو يحاول إقناعها بأنه سيحملها  
مرة أخرى بعد قليل حتى واقفت على لركه أخيراً. تساقطت الفتاتان إلى  
الحاولة حيث صحن الفاكهة يسدان لت هو عبيده في عينيها وهو يتقدم  
إليها وعندما يقف أمامها تدان بأذنيه فالتفت تخرج باله

أيتها الما حدثت بالأمس

ومرج نكده على فراغها وهو بسوء سمعك وهو على  
عقوب وهو بأفعل حمده بأفهام

هل أنت خير ؟

أيتها برائتها مؤلفة وهي على نحو ذلك  
بعض خبرات معك ليس عليها وهي على  
نحوها

أيتها لك الشكر في الفصح. ثم حدثت خبره آخر سمعته من  
القوم حتى طرح من الشقة ولا تعود

أيتها عديم خبرها به حواشي من ما سمعت ومن قصصها ولك  
على الإضافة. رفا على برائتها ولكن خبرها القوي على  
على خبرها لا يعل. من أن كان يستمع إلى تلك الحكايات من أراج  
على التي تسكن الأماكن التي كانت تعيش بها. وهذا هو  
بمرت ذكرها من رسائلها التي أرسلتها للناس أنه على خبرها  
سببها تلك الرسالة التي لا يقرأها فيها وهو ذلك خبرها  
تلك الحيلة التي كبرها على كبرها في كل سطر لها وهي تقول لها  
سببها دائما في عرفتهما وأيام نوازلها ولكنهما لم يستطيعا  
رأيتها. وضعت والدها على كتفه وهي تقول خذ

- جد جدك وأصعد إلى شطتك الآن. سيعرف روح أختك بعد قليل  
ليصحبني معه وسأخذ معي البنات



عقد حبه مسانلاً بمعجب شديد

- إلى أين ؟

ملأت رثيها بالهواء وقد ظهر الإنشراح على قسطنطين وحبيها وهي  
تسمو بضامة خلوة ونجيبه:

- إجراءات السفر يا بني، العسرة. هل سميت؟ مسافر بصحة  
أحنتك وزوجها !

لمس كنفها لحنان وهو يقترب منها وقد تسبعت أفكاره أكثر وأكثر.  
وبدى كالتطفل الذي لا يريد فراق والدته وهو يقول باعتراض:

- لقد كنت أصّر عليك كثيراً لإتمام الإجراءات وأنت كنت تؤجلين  
الأمر، فلماذا الآن؟

- كنت أريد الإطمئنان عليك مع زوجتك يا ولدي، وها قد  
تزوجت والحمد لله. وأحنتك وزوجها سيذهبان للعرة خلال أيام فلماذا  
التأجيل وأنت تعلم كم استأق للذهب هذا فترة طويلة. فلم يعد في  
العمر بقية .

أعصر قلبه وهو يرى دمعة الشوق بحبيها. لا يستطيع منعها. هو  
أكثر شخص يعلم مدى اشتياقها للسفر إلى مكة، هذا الشوق الذي  
جعلها تعصر على نفسها لیسونة كما تقول دواما لصافر بصحبة زوج  
ابنتها الذي لا تطيقه. وكيف تطيقه وهي لا تطيق ابنتها من الأساس.  
الحمد لله أنها تطيق نفسها أصلاً !

عندما صعد إلى شقته ومعه زوجته كان متربصاً بعض الشيء وهو  
 يتلفت حوله بعينه فقط كي لا يثير انتباهها. أما في الظاهر فلقد كان  
 يبدو مرحاً وسعيداً ليثها الإطمئنان اللازم. ربما كان خائفاً قليلاً  
 ومتوتراً. ولكن سحابة الشوق انزوى خلفها بقية المشاعر الأخرى وهو  
 يعيش تجربة أخرى يظللها الشغف كما لم يكن من قبل. كرفيف لاجئ  
 عصفور صغير وهو يستعد للتخليق للمرة الأولى راهباً منشياً. يسحب  
 نفسه ببطء وعمومة من بين فكي الماضي. بداخله يهس لها بصمت  
 مطلق. طيريني من أفعالي السائفة معها. أمتحني صكوك الغفران.  
 غشيني بالأبيض. بينما تضح خلاباد وعروقها كلها نابضة بصخب. لا  
 يسمع مناجاته سواه

هكذا يكون الشغف إذن ؟ !

\*\*\*

قضت الأيام التالية هادئة وسعيدة. عرفت الإجازة على الإنتهاء. إنما  
 قصيدة للغبية. كس نادوا حيوات المفضلة وقبل أن يأكل ثمن منه  
 مشقة. إنه اليوم الأخير قبل العودة إلى العمل والإنخراط فيه مجدداً.  
 استيقظ من غفوته عندما أصر رنين الهاتف على ألا يتوقف حتى يجيب.  
 فتملأ في فراشه الدافئ. فما ومد يده يلتقط هاتفه عجيباً بنبرة ناعسة. ومن  
 يكون غير صديقه عادل الذي لديه القدرة على بعثرة خططه دفعة  
 واحدة. حماسه المفرط وهو يدعو لزيارة عائلية تتعارف فيها زوجتيهما  
 أن معهن بعض ربما تصيران صديقتين مثلهما .

حاول هشام الرقص فلقد كان يسوي قضاء اليوم بالمرحى كعادته  
ولكن حماس عادل كان مشتتاً أكثر مما يجب مما دفعه للتسليم في  
النهاية والمواقفة .

رحب عادل بصديقه بخفاوة وهو يستقبلهما عند باب شقته . إذ  
يسى أن يلتقى نعمة خفيفة ترحيماً بزوجة صديقه دون أن يطرأ في  
مناظره كتاباً لا يزالون عند باب الشقة المعلق حلقهم بينما أقبلت رؤى  
ترحب بصيوف زوجها وهي تحمل الطفل بين يديها . وعندما يلتق  
عبيها بعيني جدائل للمرة الأولى استطاع هشام ملاحظة شدة نور  
سرت بينهما بشكل خفي ، انخفض هشام بصرة وهو يسير بصحة  
عادل للداخل وقد أيقن في السر من نظراته الغامضة نحو جدائل أن  
رؤى لم تسي له أنه رفضها في يوم من الأيام . يسا قبل جدائل . اضطر  
في النهاية إلى أن يوميء برأسه لها على المواقفة وقد دعيتها رؤى  
للجلوس في الغرفة الأخرى لتحدثا بحرية أكثر بعيداً عن مجلس الرجال .  
مرت دقائق متوترة بأفكاره وهو يحاول حشد التركيز مع صديقه  
والاستجابة لدعائيه ببعض الإبسطات الطويلة . بينما ذهبه في مكان  
آخر والتوقعات تتلاعب به عما يحدث في الداخل الآن . ترى هل  
ستخبرها بأنها كانت عروساً مرشحة سابقة له من قبل والدته . هل  
ستقول الحقيقة بأنه رفضها دون أن يراها حتى أم ستقلب الموازين ونفس  
يرأس جدائل حكاية خيالية تحفظ بها ماء وجهها . وتبعثر بها صفاء حياته  
الوليدة معها ! . استطاع بالكاد أن يلتفت لسؤال عادل عن أحواله مع

زوجته فأولما برأسه وقد راودته سعادة خفية منذ كذا الأيام الثلاث  
السابقة ولكنه ما لبث أن قطب جبينه وقد أصرت ذكرى ليلة الرفاف  
وما حدث فيها على العبور بذهنه لنشئته أكثر وتعمكر عليه سعادته.  
لاحظ عادل عيوس جيته قليلاً فوضع كفه على ساق هشام وهو  
يسائل عن سببه باهتمام. زفر هشام للحظة مخرباً بعض انفعالاته  
السلبية التي تكدرت بفارها فوق أيام غسله الأولى معها وهو يتسم  
بغفوت:

### - ليلة الرفاف حدث أمر غريب

أرجف عادل سمعه وهشام يميل نحوه ويخض عليه بيرة علاها القلق  
بعد عدة وكلة يراها مرة أخرى أمام عتبة الآن، وما أن انتهى حتى قال  
عادل وهو يستند بظهره للحائط والفتاح حاحيه وكأنه وجد الأمر أيسر  
فما كان يقطن:

- غلبت حيرة بالك قمت بشغل سورة البقرة بخواركنا. فحتى  
وان كانت تتوهم شجاعة خوفها المشرط ربما من ليلة الرفاف وهذا  
ما الظن. فهي ستمت الإضمان والراحة في المنزل لثلاثة أيام  
متواصلة

ثم تابع صاحراً وهو يتحرك رأسه كالدرويش:

- ودون الحاجة إلى شغل اليهض والحجر الذي قامت به والدتك في  
الصباح

ضحك هشام دون من حقيقي وهو يلقي نظرة للمداخل بطرف عينية وعقله يعمل بطاقة قصوى ليجد سبب يجعله يتذرع به لينادي زوجته ليطمئن عليها أو حتى لينصرفا في الحال، لقد مضت ساعة كاملة وهذا يكفي، بل يكفي جدا في الواقع !. أضاعت فكرة ما بعقله دون ترتيب فطر إلى ساعته وهو يطلب زوجته فمازال أمامهما تسوق طويل في أحد متاجر ملابس الأطفال قبل أن يعودان إلى المنزل لينام باكرا وقد انتهت أجازته وحن وقت العمل .

مذ أن غادرا منزل عادل وهو ينظر إليها من وقت لآخر متمعنا في ذلك الشحوب والتوتر الذي كسى وجهها منذ أن خرجت من الغرفة الداخلية تصحبها روى. ياترى ماذا قالت هذه الرؤى لها جعلتها شاحبة هكذا. تناول كفها بين أصابعه وهو يسر بخونها فلاحظ ارتعاش كفها وبرودتها الشديدة. لم يعد يقدر على التمسك أكثر من هذا. يخشى المواجهة ولكن لابد منها ليعلم ما يدور برأسها نحو

- أصابعك باردة جدا

وكانت قد جذبا من فوق حافة جبل فلح تنسلقه بصهوية وهي تحبس أنفاسها حشية السقوط. فسمع شقيق عفيف ثملا به رنتها ثم تجيبه بأرناك خفيض ولول الحياة يعود لوجهتها بعض الشيء :

- أشعر بالبرد. قليلا

- هل أنت متعب. نذهب للبيت على الفور؟

حركت رأسها نفيا محاولة استعادة بعض الحواس لتغلب به صوته  
حتى لا يشغل بشيء فيسألها. وهي تغطي السؤال. لا تريد الحواس  
لا تريده بشدة فاجابته:

- لا.. الصغيرتان متجهتان بشدة إذا فاجدهما بالملابس الجديدة  
ربما هذا يحسبهما للعودة إلى الروضة مجددا وقد انقضت عليهما  
الأيام الماضية

عندما دخلا إلى متجر ملابس الأطفال وقفا للحظات عبيهما  
تطوف بالمكان يتسهب. فالمشجر كبير وكل ركن به يحوي نوعا مختلفا من  
الأثواب. حسب تصميمه. ولعل عينا جديلا على ركن فميز بالوانه  
الوردية الزاهية والأبيض المداخل معها بلقنة انوية حاصة. فتقدمتها  
خطواتها دون تفكير وقبل الخطوة الثالثة وجدته يجذبها برفق من مرفقها.  
وعندما استدارت إليه وجدته يشير إلى ركن آخر يغطي على ألوان  
ملابس اللون الأزرق والساوي. وفعل أن تتحدث أخذها نحوه ووقف  
يختار تصميم مناسب للصغيرتين. عثر سريعا على مبتغاه فأمسك  
بفستانين بيديه وهو يشيرهما أمامها قائلا بخساسة:

- ها .. ما رأيك؟

نظرت إلى الفستانين بإحباط وهي تمط شفتيها بعدم رضا وتقول:

- إنهما لا تحبان اللون الأزرق. الوردى والأبيض يليقان كما أكثر

وكأنها لم تقل شيئا. طوى الثوب على ساعده وهو يبحث عني. هو  
العامل ليدعنيما وهو يقول بعينه

- الأبيض والوردي ينسحبان سرعا. أنا العامل بمصلحتي  
ومصلحتك

رأت العامل يقترب أكثر ففانت سرعا باعترضتي

- الأمر لا علاقة له بالمصلحة. بل يادرج السرور عينيها. ول  
انسحبا فاما المسؤولة عن تنظيمها لا انت

وقف العامل قبالتها فمسحه شام الثوب بعنيفة يولغا ما وأمره  
بأن يغلقها وعندما انصرف العامل انفتحت عيها وهو يقول بحسم

- جدائل. ان لا أحب الحدال في الشارع. الناس تنظر إلي. ا  
انتظري حتى تعود للمنزل

- انتظري حتى تعود للمنزل أ. وهل سيحدث الناس وفيها إذن ١١

وعندما وقف أمام الخربة وهو يخرج مخفضة وفتت حوزة حرفة يبدو  
انها تخطت السبعين وربما أكثر. رفعت المعين يدها وباحسبها حركت  
نظارتها الطيبة حتى سقطت على أنفها ثم رفعت رأسها نحوه وعندما  
تنظر إليه من فوق غوبنا كما جاذب نظره إليها. هذات إليه قليلا وهي  
تسب بصوت بعضج بالسخرية المختلطة ببحة مميزة:

١ - ليت التوحيد الذي يستحق هذا المسمى العظيم لا يكون  
بحسب سبائك صلت بلقاء من حقا

صالحه هذه وهي الطبع لمن مشايرك لغيره، غير في هذه  
بعض الخصائص المتعارفة وهي ترى في عبادك الآخرين

٢ - يعني استمعنا إلى حاشيتك وقلنا هي، فاحسب أن التوبة لك  
بصالحك وبخسيتك

٣ - لو كانت توبة هذه الاستسار مع غيره بشك في حقك وقلوب من  
حسب في العارسات القلبية العظيمة لها الكمال، سيما عقله بسلام  
في هذه حال حيث يتجرأ على أن يتركه الله معجزة لأهلها

٤ - هذه الطرقة هي وجه هذا العلم العظيم في الله دعونا إلى  
هنا، وهي مناسبة في حقا

٥ - لا بأس في أخرى اتصال، هذه سنكرس مرفقا

٦ - لا تقبل أن تسمع كيف لمالك بلطف، هذه موهبة

٧ - قلت لا، ما احتوته في مناسب أكثر

٨ - هشام، هي من سلعك يا لا أنت !

٩ - هاهنا لا أحب النقاش في الشارح، أنت تعلم ذلك

١٠ - هشام، يتبعها لمعت في أنت، مبارك عليك اللغة !



انفض جسده وذهبه يعود لواقعه من جديد بخلاف عامل اخرية  
وقد نفذ صبره:

- سيدي، أنت تسد الطريق على من بعدك. هل ستدفع أم لا؟

تحرك جسده بعيدا وهو يحرك رأسه نغيا ولكن عقله مازال عالقاً بين  
خطين فاصلين يقف هو الآن منتصفهما. التفت نحو المكان التي تقف  
فيه جداول الآن. فوجدها مطرقة برأسها للأسفل. عاقدة ذراعينا فوق  
صدرها وترسم بكعب حدانها دوائر صغيرة متداخلة على الأرض  
الملساء. عيناها مظلمة بشروود وحزن براهما للسرة الأولى يتسابان من  
عينها إلى صلحة وجهها بنجهم أوجع قلبه

وحد نفسه يساق إليها ويلف عوارها فاعلما التوبين كما كانا بما  
جمعنا نطق بانه رما وحد الناحية بالقطعة لعدل عن شرالهما ولكنها  
فوجئت به غدا يرفق حيث التمس الزردان ويلف لسانها وهو يلصق  
ذفيها عنه ويدخل عنبه لرسم التسامح حيولة. التي حزينه شاردة  
ويقول:

- اختاري الأسس لهذا. اختاري ما سيسعدكن

\*\*\*

سند أن سافرت والدته لأداء العسرة وهو يلاحظ انطوائها عنه  
وشروودها يسيطر عليها يوما بعد يوم. لا يعلم سببا مقنعا لتلك الحالة

التي وصلت إليها، في كل صباح عندما يستيقظ للخروج إلى عمله عندما  
تنظر إليه برجاء، تمسك به عند الباب بقوة رافعة خروجه وهي تحضنه  
هائسة بخوف:

- لا تتركني وحدي

حتى ملابسها لم تعد تقيم بحندمتها كالسابق، بل وتفعل الشيء أكثر  
من مرة بتوتر شديد وحرص لتؤكد بأنها قامت به على أكمل وجه حتى  
أرهقت تمامًا في أعمال المنزل، بين كل يوم وآخر تخترع حجة لثيقي حتى  
ولجئ معها بالمنزل حتى تكاد أن تمنعهما عن دار الروضة تمامًا، تصحو  
في منتصف الليل متعركة ترتعش كاختضر صارخة برجاء:

- لم أفعل، لم أفعل

الليلة الماضية لم تتغير كثيرًا، بل زادت حالتها سوءًا، عندما استيقظ  
مرتعبًا وقد ايقظه صوت بكانها، ضمها إليه وهو يمسد شعرها ويقرأ آية  
الكرسي بجوار أذنها، صرخت مرة أخرى وهي تلتفت للخلف وتشير إلى  
حافة الفراش هائفة:

- الفراش يهبط بجواري، هناك من جلس بجانب

ظل يُطمئنها بأن لا أحد معها وبأنها تحتاج إلى الاسترخاء كما يفعل  
كل مرة ويقوم بتشغيل سورة البقرة بجوارهما عن طريق هاتفه النقال، ليلة  
الأمس أشعلت توتره وقلقه عليها، في طريقه إلى الخروج وتركها وحيدة

وقد أنت عاملة الدار لصلحت بناته معها. لا يريد أن يشغل ولا  
مصطر.

فقر اسم غير إلى رأسه دفعة واحدة فابتعد عن ضمتها قليلاً وهو  
يقول مقترخاً:

- ما رأيك بأن ننهي إلى الدكتورة غير ساعة أو ساعتين. أمي  
كانت تقول أننا نعمل صباحاً في المركز الطبي واعتقد أنها ستكون  
متواجدة الآن. هي تحبك كما سمعت وسطرح برأيك بالتأكيد

يظهر عليها الوحوم يتوهد بعض السلسل المبرمج للحظات. هناك  
شيء ما يشعلها تريد التحدث عنه. يظهر ذلك جلياً في عينيها التي  
تنب النظر إلى عينيها. وأخيراً حسنت أمرها وهي تقول تنكسر

- زوجة صديقك عادل تريد زيارتي هذا في المنزل. وقد اقترحت أن  
يكون صباحاً وأنسا في العسل وننتظر حتى موعد. سأهاتها بعد  
خروجك وأدعوها. أو .. أو ربما أذهب أنا إليها

تلكأت يده على مقبض الباب وهو يشعر بترددتها وسمعه في تركها  
المرتعشة بل وبراه يعتلي كل خلجة في ملامحها التي تصير شاحبة كل يوم  
أكثر من سابقه. لا يريد لها الإختلاط برؤى. إنه حتى الآن لا يعلم ماذا  
قالت لها في الزيارة السابقة. نعم تكلم مع والدته قبل سفرها وعادت  
إليه في اليوم التالي فطمئنه بأنها لم تتحدث معها سوى بالخير. ولكنه لا  
يطمئن لها ولا يعلم لماذا!! رآها تنتظر قراره بتقرب وعينيها تحوم حولها

بقلق. ربما هو غطىء بشأن رؤى. ربما تصيران صديقين وتستطيع أن  
تُخرجها من حالتها تلك. جسم أمره في النهاية بعد أن تنهد فخرج  
الفعالات مشقة قلاً صدره وتوجعه بل وثرهذه في نفس الوقت وقبل  
بختوت:

- لا مانع لدي، افعلني ما يسعدك. ولكن إنتهي على نفسك جيداً  
و لا تنسي موعد عودة البنات من الروضة

مضى وأغلق الباب خلفه وهو يؤنب نفسه على موافقته تلك. لقد  
تسرع. ولكن. ربما لن تذهب أو حتى تجعلها تأتي هي إليها. ربما تغير  
رأيها كما فعلت الأسبوع الماضي عندما قالت بأنها ستزور عمها وزوجته  
وعند عودته علم بأنها غرت رأيها ولم تخرج. أو ربما ستسمع بنصيبه  
وتسحق إلى الدكورة حين ربما تجد لديها حلاً لأحلامها المفترعة تلك.  
أغلق عينيه وهو يشير يده لسارة الأجرة وبداخله يدعو أن لا تُجيب  
رؤى على اتصال جدائل فلا تحدث تلك المقابلة من الأصل. نعم وهذا  
احتمال وارد. فهو يعلم من عادل أن رؤى مزاجية الطباع وكثيراً ما تقر  
الخروج فجأة، تُرى إلى أين تذهب!!

\*\*\*

هل يصلح فعل الصواب ليكون حلاً!!؟ أو بمعنى أصح، هل يصلح  
بأن يكون حلاً كافياً!!؟ كانت تعلم أن من الصواب عدم عودتها إلى

ذاك الحبل الذي حترته مد شيور قليلة وفروجت. ولم ترجع. ولم  
تعود.

ثم إن عودها أو حتى ريارها غير مسموحة. لم تعد شقة عائلتها ولم  
يملكها أحد من بعد ما تركتها. شقة الشقة كانت كافية ليزهد لها الحسيع  
ونحشى الولج إليها أو حتى الإطواب من بالها. حتى أن الجارات يرين  
أمام عينيها الفلفل الأسود والخار حتى لا تخرج منها الأرواح وتؤذيهم  
كما يعتقدن.

ومن قد يفكر في شقة قتل صاحبها بالساح الحرق حترته  
واحترقت روحه بعرفة مكتبه حتى تنحمت. وأينها والله تنظر إليها.  
حاولت كثيرا طمر الذكريات إلا أنها تنافر وتنافر بعوضوية فوق إدراكها  
وحاضرها. حتى غزته فلم تعد تفصل بينهما. ورغم كل ذلك أحدها  
قدمها إلى هناك. لشعر بالخير. الشطر بالاشفاق فكان لعبها وهي  
صغيرة وكيف تقع الخبز عن أماكن جمع بين الضحك والألم بأفئتنا.  
مهاذات على تعذينا. إلا أنها تظل تحمل بقاياها. تتحلب غورها وقد  
ألمنا الوحدة أكثر مما كنا نعيش فيها. هي ليست مجرد أماكن. إنما  
بزوايا جلدنا رغنا عن كل الدموع التي ذرفناها فيها.

لم يلاحظها أحد. ربما شكلها قد تغير قليلا أو ربما الناس منشغلون  
أكثر مما يجب. تلك الساعة الهادئة بالحي وقد ذهب الرجال إلى أعمالهم  
بمساء النساء بين تنظيف وتسوق. لازالت تحمل مفتاح الشقة في سلسال

بفتحها الخاصة، كاللص دخلت من باب البيت لتفت حوفا حرم  
وهي تعلم نحو الشقة حوار بنام السادة الكبر المودع لظهور السادة  
والذي يلقي بطله دوما على عبد الشقة فيجعلها مظنة بهم اليه  
الساطع. لو كنت أجواء الأواني المربعة الشكل والمثلثة منها، وتطلى  
الأسود كما هم في مكانهم وقد القها إحداهن على العدة ولم يزل  
بالهم. ففتحت الباب سريعا وأخطت كل شيء، وكانها تفتت ودخلت  
مظلة الباب خلفها بخفوت.

طلام. لأشئ، غيرة اضطدمت به حسنها. وفي لحظة أدركت بأنها  
كانت رغبة منها أن جاءت. ما تلك الجسارة العبد التي تدفعها  
لوقوف على أعقاب الخونة بلا سب تحسني. اتخاوت في معركة تريد  
أن تخسرها؟!

السدر نسدلة تمشي على التواء المقلد. يسيل من بين فتحاتها  
أصغرة شعاع ضوء يهتس الولوح بكانله ولكنه يسبح في برؤية باهتة  
غير واضحة. رائحة الدخان مرآة تعقب الجدران التي كانت أشبه  
ظلال شائعة أمامها. دون إدراك وجدت قدميها تتحركان وكأنه تنطفئ  
حداثيا قبل الدخول. الدخول؟ وكان الأثاث المغطى أمامها بأقنعة  
كانت بيضاء يتحداها بسخرية أن تفعل. تلفت حوفا وخافتها بضخ  
شوة أخوف. حتى يكاد يقفز من صدرها إلى مكان آخر أكثر أمنا.  
وعندها تضيئ بالدمع الغزير بلا توقف. بدأت العبارات تنضح بعقلها

نكاد نضم أذنيها. بل ونضع أناسينها بقوة فعملها تحرك حظه.  
جانا وكأها صربتها

" لا زلت نخططين خلج السواد أينها الفيحة " . لتسقطها عرو  
أخرى صافعة في الاتحاد المقابل " لا أعلم لماذا لاغوتين ونراج من  
شومك " . رفعت كفيها تضعها على أذنيها بأين متواصل لم  
العبارات الذاعة توقف. ولكنها لم تفعل " عطررك الرحيص لن يحد  
إليك إلا البعوض أمثالك " . زاد ضغطها على أذنيها دون شعور وأنها  
يزداد مختلطاً بالدموع. والذكريات تزداد غسوة لتدفعها للدوران حول  
نفسها بلا وعي لاهثة. وفجأة توقف كل شيء. وكأنها أصيبت بالصمم  
المفاجيء. عندها ماتت عيناها على كيان ما في المسر الضيق المؤدى إلى  
غرفتها. كيان يتحرك. ويقترب منها. شعرت بقدميها تستحيل إلى شيء  
خلامي وهي تنهي أمثلها وتسقطها على ركبتها من شدة الفزع، هربت  
الدماء من عروقها عندما اقرب ذلك الكيان أكبر ونسبت ملاحظه. لا.  
ليست ملاحظه. بل ما تبقى منها، كياناً محترقاً بالكامل. يتصاعد منه  
دخان بلا نار. ويرغم كل ذلك استطاعت أن تسببه، عرفته. بل  
عرفتها. عيناها مشوهة كلياً. فسمات وجهها ذابة في بعضها البعض.  
إلا أنها استطاعت أن تفهم تلك السحرة الناصحة فيه، وقبل أن يغيب  
وعبها سمعتها تقول:

- كنت أعرف أنك مسكين، كنت كائنك لا بد وأن يعود إلى جحره  
منها كان سا

دومة ترميها فتلقفها دومة أخرى لعمدها نصف الدائرة من  
جديد. دائرة منتصف البحر تملح كل ما يقرب منها. كنت قلت أي  
فخرج نود نفسها في وسطها مجددا. ظلت تحارب بذراعيها ولكن شبه  
جسدها ثقيل للغاية. يكاد يكون مشلولاً عن الحركة. كانت تعلم بأنه  
غلق. وزيد البقعة ولكن لا يفر. لأنه من يعرف أولاً لنسقط. يوقف  
عن الهزينة وسككت. لمحب يزداد. وأخيراً امتدت إليها يدي  
لنفدها. استسلمت لها وأرسلتها لرفقها عان وقد فيها بقوة للبحر.  
وسقطت. هل هذه هي الحياة !! السقوط لتخطو

نهفت عاليا وهي تسقط إلى سربها وسددها يؤمها للغاية. نعم  
هو خلم كما كانت مسككت. إلا أنه ليس لها. جزء البحر فقط هو  
العلم. أما ما سبقه. كان حقيقيا. فتمت ذلك عندما اصطدمت عينها  
سقف الغرفة فعرفته على الفور. كما في عرقها. وفوق سربها. ولكن  
ليس في شقة زوجها. لقد كانت في شقة عائلتها كما كانت قبل أن  
تفارق الوعي. جلست مدعورة شاخصة البصر وهي تختصن جسدها  
بذراعيها في محاولة يائسة للاحتواء:

- وأخيراً الطينا يا صديقة !



صرخة احتسبت بخلفها وهي تلتفت نحو مصدر الصوت. وراقب  
تطوف بخيلاء أمامها كأن مساحة الغرفة الشاغرة الحقيقية قد تعدت  
مستحيلة إلى معراج خاص لها. ذات ملابس فضية لامعة حوالى  
فضفاضة تطوف معها كأنها تُرفرف. همسة منفلتة غير مصدقة تحركت في  
شفاتها دون صوت. خرجت الحروف مجنونة بجنون اللحظة هائلة :

- هالة !

\*\*\*

لا تعلم ما مر من وقت وهي تخدق ر هالة المبتسمة لها بجمال.  
انعدم الزمن وتوقفت ساعات الكون. شعرت بأن الطيور هي الأخرى  
توقفت فجأة عن الطيران. وسكنت حركة الحياة. وكان عمرها يتوقف  
على تلك النظرات المرتعة التي تحولت إلى ذهول ربما يقتلع مقلنيها من  
شدته. قبل أن يعود الدم لضججه بأوردها من جديد. ونصرخ رثيها طالبة  
للنواء ومازالت شفيتها التي أصبحت قاحلة من شدة شحوبها تُنمض بلا  
توقف:

- هالة. أنا أحلم. لا. هذا كابوس أريد أن أستيقظ. أنا لست هنا.  
كل هذا غير حقيقي!

تركبتها هالة تفتدي للحظات وهي قبضت ثم تستقر أمامها واقفة بثقة.  
ذراع مناسبة بجانبها والأخرى موضوعة فوق خصرها برشاقة. ذهب



هذه المرة شعرت بنسمات باردة تدور من حولها حتى غرلتها الريح  
الخفيفة عن العالم فلم تعد تستمع إلى الصراخ الآتي من خارج العرق.  
وبرودة عذبة تخط كالفراشة على كفيها لترفعها بنعومة من فوق أذنيها.  
فتحت عينيها ببطء مهيب. لتري حالة تسحب أصابعها بين أناملها برفة  
وتنظر إلى عينيها مباشرة وتقول بترنم:

- اطميني. أنا صديقك. أحملك بروحي

قالت حالة كلسها الأخيرة ثم ضحكت ترح وهي تتابع حديثها ناثرة  
خصلات شعرها بمنة ويسرة فتساقط منها حبات اللؤلؤ:

- فعلى لا أملك عيوها في الوقت الحالي !

أسرت حبات اللؤلؤ المتطيرة عيني رؤى رعدا عنها بمنظرها البديع.  
لما جعلها تناسي للحظة بأنها تتحدث إلى مبدع بالفعل وقامت مأخوذة.

- أنا أستحق انتقامها، لقد احرقتها !

ابتسمت حالة لعينيها فأضاءت شمس أخرى من بين فكيها ورفعت  
كفيها قليلاً وكان الأمر يبدو معقولا وهي تقول:

- هي من كانت ترغب باللحاق بأبيك. أنت أسديت لها معروفا  
تستحقني عليه الشكر. لا الانتقام

حدث رأى أن نحمد بعينها ولو قليلاً عن عيني هذه ونكبتها في  
السطح كانت مأسورة كلباً بداخيلهم. حتى أن كلمات هذه بدت في  
مطبة جدار. فحركت رأسها موافقة ثم تساءلت باليهار

- وكيف نستطيعون حمايتي منها ؟

فحركت هذه لنعوذ إلى حالة الطوفان من جديد. كسلوك نوعي حماها.  
نصف الرعية. فحس بحوش عرو مرببة. ففوت من رأى من خلفها  
وهست بأذنها:

- لي عذركم. الشرير هو المسيطر وإخافكم. أما علمنا نحن. فقواعد  
مختلفة تماماً

حدث رأى تنوّر من حملة وانسلت حولها بصياح وصوتها يرتفع  
بحروف:

- أخرجني إذن من هنا. وأعدك أن لا أعود ثانية

هست هالة بأذنها الأخرى:

- لم نسألي حتى الآن ماذا تريد منك

وهل تريد شيئاً ؟ غاصت حواسها ترقياً بين أمواج همسها.  
نرى ماذا تريد منها ؟ ظلل عقلها سحابة رمادية يكاد ينطأ بخطب  
لتفكر لها للخروج لما هي فيه الآن. سواء كان حلاً أو حقيقة. ولكن

همسة أخرى من هالة صدمتها ورسمت لها حدوداً لواقع يفرض نفسه عليها فرضاً لن تستطيع تعديها أو حتى الدوران من حولها:

- أريدك أن تُحييني !

همسة كافية لتجعل وعيها يندفع بها بعيداً عن حاضرها ولكنها تمسكت به بغضب صانحة باختيار معترض وقد عادت عيناها تشخص مُجدداً ولكن هذه المرة بدأت تند بدموع وفيرة:

- أنا لستُ إلهاً لأحييك !!

كموجة هادئة تحمل طفلاً أوشك على الفرق إلى أحضان اليابسة الخضراء، واجهت هالة عيني رؤى وقالت بنغمة ساحرة:

- أحييني فوق أوراقك، أحييني بين سطورك، أخبرني الناس عني، ربما أنا مت بالفعل ولكن، مازالت الحياة بها هالة أخرى وأخرى تنتظر أن تُحييها بقلمك !

ترقق الدمع مُجدداً رمادي عينيها الخائرة بسحر الكلمات وهي تتسائل:

- كيف !؟

- أعلمُ بأن الكتابة هي هوايتك، أكتبي عني، وأنا سأمدك بكل ما تحتاجين من تفاصيل ستجعله يُجنّ، أريده أن يقرأ، أن يشتعل ضميره اشتعالاً

تخرجت الحيرة بين طيات وجهها وعلامة استهزام كبيرة ظهرت  
بعينها فتابعت حالة نجمة عن سؤال صامت

- هشام، وأيا كانت الطريقة التي سألخري بها الناس عني، فسوف  
أضعها أمامه، وبين عينيه، سأرغمه بأن يقرأ

ولماذا تفعل؟! وما شأنها هي، بقوة حركت رأسها رفعا والتمرد  
برحف رويدًا رويدًا بداخل عينيه، ثم ظهر بوضوح في تشنج شفتيها  
وتوتر جسدها، ولكنها كانت مغطنة، على الأقل في تلك اللحظة، لقد  
عاشت حالة المريضة الشاحبة، وسحرت بهالة الكيان المرمرى، أما  
الآن، فلقد وضعت نفسها وجهًا لوجه أمام حالة القاسية قليلاً، فطلت  
هالة المساحة التي كانت تفصل بينهما وسحبت كل تركيزها في عمق  
لحاج عينيهما التي صارت تتوعد بقسوة وهي تقول بنبرة لها حرارة تلسع  
كعود ثقاب انطفئ، وجهه للتو ورحل معه أريج حضورها:

- مستطعين، وإلا !

\*\*\*

انحنى نحوها وهي تضع الطفل أمامها على مقعده المخصص له  
وتطعمه وتناغيه، قبل أعلى رأسها وهو يقول مداعبًا:

- وأنا أين عشائي يا زيتونة !

رفعت وجهها إليه وهي تضيق عينيهما باستهجان مرح هاتفة:



- اعتفني لوجه الله، كف عن مناداتي بهذا الاسم

عاد رأسه إلى الورداء ضاحكًا بينما هي تحمل مقعد الطفل من فوق الطاولة وتضعه على الأرض خشية سقوطه ونحست تواجه ضحكاته التي يستفزها بما دومًا، دفعته من كتفه بغيظ صانحة:

- توقف عن إغاضتي يا عادل، أنا لست بزيتونة!

حاول التماسك بأن يوقف ضحكاته ويهدىء صخبها قليلاً وهو يضع كفيه فوق صدره إشارة لطلب صفحتها، وضعت يديها بخصرها بتأفف متبرمة حتى سكنت تمامًا ثم أدارها إليه وأمسك وجهها بين كفيه في طريقه إلى الاعتذار، رفع حاجبيه وهو يقول بجدية أغاضتها أكثر:

- آسف حبيبتي، أنت لست زيتونة، بل أنت طبق من القشدة

ابتسمت رغمًا عنها رافعة حاجب واحد بثقة ولكنها لم تتنازل عن التبرم العالق بشفتيها فكانت النتيجة النهائية شفاه معقوفة للأسفل قليلاً، ولكن عادل دمر أسفه مردفًا:

- طبق من القشدة سقطت فيه زيتونتان وشرائح مكنوزتين من الطماطم الطازجة

غطت وجهها بكفيها وهي تحركه بياس منه، هذا هو عادل، حبه مشاكسه، شغفه إغاضه، ولكن عندما يلحظ حزنًا ما بعينيها يتحول إلى عاشق متفهم لا يشق له غبار، إلا أنه يجدها في هذه اللحظة في مزاج

جيد للمزاج بالإضافة إلى أنه جائع، فلم لا؟، أمسك بكفيها ليحرر وجهها وقبلهما مُدْعيًا الاعتذار، وقبل أن يتابع بمشاعلة أخرى سقطت نظراته على المقعد الوثير خلفها، منذ أسوع تقريبًا وهناك كتبًا للحكايات لا يُفارق يديها، تصحبه معها أينما جلست، فقال بعد أن مط شفتيه ورفع حاجبيه متسائلًا:

- يا ترى ما السبب المفاجيء لشغفك بالكتب هذه الأيام؟

ارتبكت قليلًا وكأنها لم تتوقع أن يلاحظ وتحننحت باحثة عن إجابة منطقية لتوانٍ قبل أن تجيبه بعينين زالغتين:

- وهل لديك مانع؟

تنفس بعمق ثم قبل جبينها بعينين شاردتين، يشعر بأن دواخلها غير سعيدة بغيابه طوال اليوم في عمله، تشعر بالملل لذلك مزاجها متقلب بين يوم وآخر، لا يستطيع أن ينسى مظهرها وشكلها منذ أيام حين دخل المنزل فوجدها شاحبة تكي بمسريًا، تشبثت به حين رآته، كانت والدته قد هاتفته وأخبرته بأن رؤى مرت بها وتركت الطفل لديها متعلقة بالتسوق ولم تعد إلا بعد غروب الشمس بجينة تشبه شخص دفن بالخطأ وهو على قيد الحياة، وعندما استيقظ وجد نفسه محاصر بين جثث الموتى، ظن أن والدته تبالغ ولكن عندما دخل شقته ورآها هكذا، توقع أن الأمر جلل بحق، ليلتها أخبرته بأنها فقدت وعيها في المتجر الكبير ولم تكن تحمل هويتها فلم يتعرف الناس عليها ولم يأخذوها إلى أي مشفى



وظلوا يحاولون إفاقتها لوقت طويل، وعندما استفاقت بقيت مع عاملة المتجر بقية اليوم حتى استطاعت التوازن من جديد ثم عادت لتأخذ الطفل من والدته لذلك كانت حالتها مزرية !.

بداخله شيء ما يجاهد لتصديق قصتها تلك وبالأخص لأنها حامل في الشهر الأول من حملها ففقدناها توازنها أمر منطقي، ولكنه لم يكن مستريحاً أبداً ولا يعلم لماذا، وفي اليوم التالي وجدها تعبت بمكتبته الكبيرة وتصنع لنفسها ركنًا خاصًا بكتبها ودفاترها، كانت في نظره خطوة جيدة مليء وقت فراغها بشيء مفيد كالقراءة، ولكن هذا لا يكفي، لابد وأن تتواصل مع صديقة أو أكثر لتكسر شرنقتها هذه، ومن يستحق الصداقة والتواصل سوى شخص تتشابك طرُقنا بطرقه بشكل أو بآخر، ومن غير زوجة هشام تعاني من نفس الوحدة التي تعاني منها رؤى، لا بل أكثر، ما قصه هشام عليه اليوم عن زوجته فطر قلبه على صديقه، أغمض عينيه وضم رؤى إلى صدره وكلمات هشام الحائرة تضرب ذاكرته من جديد:

- أسبوع كامل تتحاشاني يا عادل، تقول بأن لمساتي العابرة لها تلسع جلدها بل تنغزها كالأشواك، أسمع صوت أنينها وهي نائمة وكأنها تعاني وتحارب ثم تستيقظ صارخة، سأجن يا عادل .

خرج من بئر ذكرياته رغبًا عنه عندما شعر برؤى تُربت على خده نوة هائلة:

نستطع أن تواجه عينيه المتسانلة بدهشة فاشاحت بوجهها بعيداً  
وهربت من بين ذراعيه نحو المطبخ بخطوات عصبية وهي تنتمن بصوت

- ساعد لك العشاء !

تصلب جسده مكانه وهو يرقب حركتها الزقة المرتبكة وصوت  
بكاء ضعيف لطفله قد بدأ يعلو نحيانه. انحنى يحمل الطفل وعياده لا  
تفارق الباب الذي اختفت خلفه منذ خطوات. جسده منعقد وقد بدأت  
أفكار غريبة تغزو عقله عن تلك المشاعر التي لم يشعر بها يوماً في قلب  
زوجته نجاة هشام. ثرى هل مازالت تحمل في نفسها ذكرى رفضه لها في  
السابق؟. لقد نسي هو شخصياً هذا الأمر. حتى أنه لم يناقشه معها  
أبداً. وعندما سأله في بداية تعارفهما من الذي دله عليها ولماذا اختارها  
هي بالذات؟. اضطر أن يخترع لها قصة وهمية حتى لا يجرح مشاعرها  
أكثر وقد أعجبته للغاية. فلماذا تظنوا تلك المشاعر السلبية الآن؟.



## وقالت لي

تفحص الكاتب الصحفي عبد الخالق مروان المطروف بين يديه مدهشنا، ثم بدأ في فتحه وقص الأوراق منه وقراءة ما بين سطورها بفصول، حينها علم بأنه أمام حالة فريدة من نوعها تحتاج إلى تأمل عميق وصبر طويل لفك أحجيتها وألغازها قبل الحكم عليها، وقد تيقن من ذلك عندما وصلت عيناها لآخر مطور مقدمة الأوراق وقد كتبت له الرسالة فيها :

- "وسأطرح أسئلة لك للحصول على إجابات لي في شغتي الملهمة، وفي كل طرف سأرسل لك رسالة على عتبات عنواناً يتوسطه من الخارج وهو نفس العنوان الذي كتبه على الطرف الذي بين يديك الآن "وقالت لي "

لا أريد منك تصديقي، أريد فقط أن تنشر شكواها، لعل روحها تجد قليلاً وينقطع شبحها عن زيارتي !.

لأول مرة يقف أمام رسالة كهذه، لقد اعتاد قراءة حكايات من سراديب الحياة المظلمة، بكل زواياها الملهمة، إلا أنها كانت جميعاً في النهاية شكايًا وتجارب أحياء!، لم يتخيل أن يأتي يوماً بفرد مساحة في

بانه، لينة!، بالتأكيد سينهمج الجميع بالجنون، أو على أقل تقدير  
بصاعة ضجة إعلامية وهمة لياحه الأسوعي تعكس على مبيعات مجلة  
التي يشرف على أشهر باب بها " بين الناس " ا.

مقط الطرف من بين يديه وهو يرفع وجهه القسحي المشرة بإجهاد  
منسوب بالخبرة ويسعد بظهوره للحلف فلقيا بفعل جسده على ظهور  
المقعد الصم حلف المكتب الخشبي الكبر والمستلوى سطحه بالأوراق  
والخطابات عن آخره والمستدير نصف استدارة من حوله. يواجهه  
مقعدان متقابلان من الجلد التي التامح وبهنا طاولة زجاجية مستديرة  
صغيرة. دار بالمقعد دورة كاملة فمرت عينا على الجدران المطلية  
بالأزرق المتداخل مع الأبيض باستحمام يساعده على التركيز. دائما ما  
يرفض تعليق اللوحات على الحوائط. يفصلها هكذا خاليه من أي إطار  
سوى من مكتبة مستقبلية في زاوية منها ضمت بعض الكتب المتنوعة  
التي يفصل قراءتها بين حين وآخر أثناء عمله. حلف مشعدة نافذة  
موصودة في الجدار قطعة زجاج سمك يفصله عن العالم الخارجي.  
نصف دورة إضافية لتكمل عينا رحلتها إلى اليسار فانعكست صورته  
على المرأة الطويلة المتصلة بالجدار. أصبحت الآن أمامه مباشرة.  
توقف المقعد عن الحركة. لقد نال الإجهاد من روحه قبل جسده وعقله،  
انسحبت نظراته نحو خصلاته البيضاء على جانبي رأسه فمرر كفيه  
فوقهما وهو يشرد كلياً فيما قرأ منذ دقائق. تلك الرسالة التي سجنه  
بين سطورها من بين مائة وخمسين رسالة أخرى!، وأبت أن تحرره منها



للمرة الأولى لن أعنون الرسالة بما يليق بما فلقد أصرت صاحبها ان يكون عنوانها " وقالت لي "، والآن سأترك لكم الإبحار في لجأها كما حدث لي قبلكم .

وقالت لي !، من يريد " بين الناس "

أقرأ بابك دائماً وأراسلك وأعلم بأنه لا معنى للذكر مكان تواجدي الآن، ولكنها حالة مختلفة واختلافها باختلاف أبطالها ومكان كتابتها، أما عن المكان فأنا بين جدران غرفة موصودة في شقة مهجورة، ينتظرنى خارجها كابوس أسود لينتقم منى شر انتقام على القرصة التى منحتها له، وأما عن أبطال القصة فتجلس أمامى الآن بطلتها الرئيسية والتى توفاهها الله منذ شهور !.

مزق الآن خطاي أو احرقه، إلغى كما تشاء، ولكن لا تكذبني، هي الآن معي وجها لوجه ولا أعرف كيف، تعجب واندesh كما تشاء، ولكن صدقني، الكاذب دوماً تكون له مصلحة من وراء كذبتة، أما أنا فلا أريد سوى الخروج من هنا فقط، فهي وبرغم طبيعتها إلا أنها حين تغضب تكون مختلفة، هددتني إن لم تصل قصتها إلى الناس فستستحيل حياتي إلى جحيم دنيوي، وكل ذنبي أنني كنت صديقة عابرة في أواخر حياتها القصيرة .

ولسبب آخر اعتقد بأنه وجيه جداً، إنها تريد أن تُثلي علي بعض الأحداث التى لا يعلم عنها أحد شيئاً سواها هي وزوجها السابق فقط،



لما أتانا الآن في حضرتها وبين يديها وأمام عينيها المحسنة بالبدن  
 واتصار لم أر مظه من قبل، سأمر لأسمها بحرف " هاء "، إن أبتل  
 بهذا أكثر في ترميز اسم زوجها لأنه هو أيضاً بدأ بنفس الحرف لذلك  
 سأستعمل آخر حروفه وهي " ميم "، حتى ييسر لي الحديث عنهما كما  
 أردت، أما زوجته الثانية التي تزوجها بعد وفاة " هاء " فسأمر لها  
 بحرف " جيم "، والآن إليك قصتها

\*\*\*

كالمعادة استيقظت صارخة، وكالمعادة انتفض من نومه فرغاً بملفت  
 حوله حتى يستطيع تمييز أنه في غرفة نومه وعلى فراشه وجدابل تشبث  
 به، زفر بقوة وهو يربت على ظهرها ثمسداً لشعرها وهو يستنفر وقد  
 بات الأمر غير محتمل، مازالت ترفض أن تقص عليه كوابيسها وكأنها  
 تخشى البوح، وبروتينية مد يده ملتقطاً هاتفه لتصدق آيات سورة البقرة  
 في المكان، فتهدأ وترخي عضلاتها الممتنجة ثم تنام على ساعده غارقة  
 في عرق جبينها ومنابت شعرها وهو يمسح عنها العرق بيده الأخرى  
 ورغماً عنه دواخله ترتجف وكأنه يستشعر رعبها ولكن يخشى الإعراف،  
 سينتظر حتى تعود والدته لتتصرف، لقد سأم حديث عادل عن ضرورة  
 التقرب إلى الله ليزيح عنهما ما هم فيه، إنه يصلى فروضه وهي كذلك،  
 فماذا يفعلان أكثر من هذا؟!، صحيح أنه يؤخر الفروض وأحياناً  
 يجمعها عندما يعود للمنزل آخر اليوم، ولكنه يؤديها في النهاية!، لقد

أخذ بنصيحته ويقوم بتشغيل آيات سورة البقرة في المنزل يوميًا ولم يحدث أي تطور، صحيح أنه لا يستمع إلى آية واحدة منها بتركيز بل ويعود للنوم في بدايتها، مصحفه يعلوه الغبار عن آخره من هجره لما بين دفتيه ولكن هذه قدرته، والله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها !.

علت زفراته مجددًا دون إرادة منه وهو يحاول العودة للنوم من جديد بعد أن أقنع نفسه ب تلك الأفكار، ولكن هزيم الريح الشديد في الخارج يثير خيالاته المتأصلة بعقله منذ الصغر عندما كانت والدته - ساعجها الله - تقول له أن هذا صوت العفريت في الخارج إن لم ينم باكراً فسوف يدخل إليه!، ورغم اهتزازه الداخلي إلا أنه لم يستطع منع ابتسامته طافت بين شفتيه لبرهة وهو يسخر بداخله من هذه الذكرى:

- ولم أسأل نفسي يوماً عن مصلحة العفريت في جعلني أنام باكراً كل ليلة؟!

التفت نحوها فوجد أنفاسها وقد انتظمت وراحت في سُبَات عميق، فسحب ذراعه من أسفل رأسها ببطء، تخض من بين ركام الأغطية الثقيلة على مهل، ومشى على أطراف أصابعه حتى خرج من الغرفة دون أن يحدث جلبة، توجه إلى الثلاجة مباشرة فتحها والتقط منها ثمرة يوسفي وأخذ يزيل قشرتها الخارجية وهو يتوجه نحو غرفة بناته، فتحها بحدوء وألقى عليهما نظرة اطمئنان، ابتسم لرؤيتهما بتلقائية ولكن ابتسامته تلاشت على الفور عندما سقط شيء ما في الشقة الكائنة في



الطابق العلوي مما جعل صوت الارتطام يبدو وكأنه في شقته هو، استوعب ذلك مؤخرًا بعد أن بُجنت ملامحه عند سماعه للصوت وقفز قلبه بين قدميه لثوان، مما جعله يحق على نفسه وعلى استعداد الدائم للذعر هكذا، أغلق الباب عليهما وجرد قدميه نحو الردهة، مر بين المقاعد المريحة حتى التف جالسًا على مقعده المفضل أمام الطاولة، هوى جسده بحق وهو يستنشق بقوة ويزفر ببطء ليهدأ، نظر نحو كفه وقد تذكر للتو بأنه مازال محتفظًا بالثمرة وقشرتها معًا في يد واحدة، ولكن هبهات لقد ذهبت شهيته أدراج الرياح وانتهى الأمر.

مال للأمام ليضع ما بيده على الطاولة باستياء فلفتت نظره مجلة، عجبًا ! لا يذكر أنه اشتراها سابقًا، تناولها يقلبها بين يديه بلا حماس حقيقي، ضيق عينيه حتى تغطنت زواياها عندما وقعت نظراته على أحد أوراق المجلة مطوية من الداخل على شكل سهم غير متساوي غير عناية، مرر أصابعه بين أطراف الورقة ليعيدها كما كانت وقد أخذه الفضول قليلًا، " وقالت لي " سقطت نظراته على العنوان الأحمر اللون بسخاء، مما جذب انتباهه لأول السطور، وعندها تتم مندهشًا متسع العينين:

- امرأة ميتة تحكي قصتها، هاء، ميم، جيم !!

ارتحلت عيناه بين كل سطر وآخر، كلما ترك واحد قفز فوق الآخر سريعًا كسرعة أنفاسه وحركة صدره مُحملاً بها، وجهه يزداد احتقانًا بالدم

والكلمات تخطف الهواء من حوله وتحبسها عن رتيبه :

" لم يكن شغوفاً في منذ البداية " ، أنا التي صرحت بمشاعري أولاً .  
عُذْتُ له الطريق فصرتُ وكأنني أدفعه دفقاً لمسوار الزواج . عندما  
رفضته عائلتي في البداية لتفاوت المستويات الاجتماعية بيننا . حرمت  
نفسي من أن أرى الرجل الذي اخترته ينافح عن حبه . يقاتل لأجلنا .  
فحبته كل هذا وجعلته يتسحق جانباً ووقفت أنا بوجههم حتى رضخوا  
في النهاية وهم يتعجبون من خلو ساحة المعركة منداً . وبعد الزفاف بأقل  
من شهر ، أنا التي كنت أختزع القصص ليظل متيقظاً لحواري بعد دخولنا  
للغراش . ولكن كسر خاطري أصبح عادةً لديه . بل زاد الأمر سوءاً مع  
مرور الوقت وهو يضرب علي بكلمة عرلي أو مدح لمظهر قضيت في  
الإعتناء به وقتاً طويلاً لأجله وحده . فقط ينسج ويقول كلمة واحدة " جميل " ثم يدير وجهه ليتابع المعروض أمامه على شاشة التلفاز . ماذا  
أقول . لولا ثقتي بنفسي وبدرجة الجمال التي منحها الله لي لكنت  
اقتنعت بأنني دمية

عندما بدأت مشاكلتي ومعاركي الداخلية تدب بيني وبين والدته .  
تركني هو أواجه تدخلها في حياتنا الخاصة وحدي . وُعِدْتُ لخاربة المتبقي  
من عائلتي لأحصل على نصيبي الميراثي من والداي في شقة العائلة . ولقد  
كان مبلغاً زهيداً من المال . قدفوه في وجهي . ونبذوني من يومها . وبذلك  
المال القليل سمعت لتأجير شقة أخرى لتفصل ولو بعض الشيء عن

وأعده ووهبنا بعض الأدوات البسيطة وقد كان هذا مخصصاً لطلبي من  
تدبير، حياة حامية بعيداً عن المشاكل، وفكر الخجل على مذهب غيب من  
حجر قلبه لي حتى ليست أنولي. وأصبحت عذوبة بعد شعورنا لانه  
الأسباب.

نعم أعترف، عروفتني على لاوقات طويلة سبب مباشر في حداثتي  
للمشاكل. وقد شعرت باليد. هل تصور كيف يكون السيد من أول  
رجل أحبه بحياتي؟ لم أكن قط. ولم أعرف رجلاً غيره. فهل يلزم  
أحد الآن عندما أقول أن الفترة اشتعلت بطلبي عندما رأيت كيف  
يتعامل مع زوجته الجديدة " حيم " الذي تزوجها بعد وفاتي. هل  
يستطيع أن يكرهني عندما يعلم بأن السبب المباشر في انحصام التي  
نعيشه هي الآن. لقد كنت أقول أنه سيأتملها كما كان يتعامل معي.  
ولكنني نظرت إليه، فوجدته شقوقاً بما حزنه على إرضائها. أعياه  
تلمع ذوقاً وهو يتأملها، سحت عنها، أتمته لئلا طريقها سريعاً إلى  
أمامها. أينما جلست يظل فلان يحاورها، يختص حصراً، لا يرضى  
بطفلة تفصل بينهما في الفواصل. بل لا يستطيع النوم إلا وهو يلمسها  
بشوق جارف كما لم يفعل معي يوماً وأنا حية.

أردت أن أسأله هاسدة بأذنه. لماذا؟ ولكنني تراجعته في اللحظة  
الأخيرة. خفت أن يرتعب فيفزع الطفلتين. فهو يخاف إلى درجة  
فضحكة! حاولت أن أبحث عن الإجابة في عينيه، وفعلاً عثرت عليها

وهو ينظر لما يريق لم يتوجه يوماً لأجله. فأدركت الفارق حينها. بعد  
أحبها. هكذا ببساطة. أحبها !.

فانزويت بحية في أحد الأركان فوق الستائر المعلقة بعد أن خدمت  
عش العناكب به. العناكب التي تشعر بي أكثر منه ! .

إلى هذه النقطة توقفت " هاء " عن الحديث سيدي ووجهها مائل  
للغاية ونظرت نحوي بنزيف من الدمعات اللؤلؤية وقالت لي :

- أتعلمين صديقتي؟. أنا لست مينة فقط. بل هائلة أيضاً.  
صحيح؟!

وقبل أن أجيبها سيدي علا الصراخ في الخارج من جديد. وكان  
دمعاتها أضعفتها للغاية فأصبحت لمير قادرة على هاجني. سبحت الغرفة  
في ظلام سرمدي. وسمعت صوت والدي تصرخ سروراً جحيمية وكأنها  
أمامي وجهها لوجه:

- تعالي إلى غرفة والدك حالاً يا قاتلتنا. فهو يريدك بشدة !

نظرت إلى " هاء " فوجدتها نرس وتنس والألم يرسم بريشته الحزينة  
فوق ملامحها. أخذت تصغف وتذبل كالوردة المدهوسة للنور. وكأنها  
أصبحت بقايا منساعة. وقتها اتخذت قراراً بالخروج من الغرفة. سأذهب  
إلى أبي بالرغم من علمي بأنه سيوغني لتقاعسي عن حضور جنازته !!.

انتظر رسالتي القادمة. وللحديث بقية .

وتعدده عند الخلق مبرور لا بد وان يعنى بشيء من الصبح والمساء  
في حبة كل رسالة. إلا ان هذه الرسالة بشكل خاص لم يستطع ان  
يكتب إلا عبارة واحدة فقط بعينها

• النور المنيرة هي التي احسرت الالم ثم احسرت ان الحب  
الاحمر مرارة. فسطرة نصيبها العادل من السعادة سواء في الدنيا أو  
الآخرة •

\*\*\*

وماذا يشع عن الصدمة المبرحة بالخوف والرهبة والمفطرة بقلب  
قائل للتفسير سوى قدر يعلى بالإشعالات المضطربة القادرة فوق  
وجدانه وعقله. هذا المرحح الدليل للإشعاع يفت في صدره. نسحق  
الجلد الآن بقاء ودون إرادة بين كتبه يسما عباءة تسعد عن آخرها.  
عالمقان بنية تلبية. وهذه حسي السطور التي قرأها للتو. إنما كتبت  
وتعيرات هائلة، هو يعرفها. أحداث حرجية لم يطلع عليها أحد سواهما.  
نسبة الشك في غير ذلك صفر. إذن هي تراقبه. أحقد عليه. تريد تدميره  
وزوجته، أعلنت حراها وليس لديها ما تحسره، بعد أن خسرت كتبتها  
نفض رأسه بعنف وهو يتنفس لاهنا ونشطة ما يراوية نظامة بعقله  
تتهمه بالجنون. وتساءله بتحد. هل ستصدقني هذا المراء حقاً؟

ترجى العليل وحلب لفسها عليها فأجحت جمع نفوسهم  
 فيص من متعدد وهو يرفع رأسه للأعلى نحو السقف الخديعة. ثم حرك  
 نظراته التي فازت الحيون نحو السنان. ثم قلبه السنان كمن يحرك  
 عينا. توقفت عياد عند هذه النقطة وقد أوشكت أن حيا على الإنصاف  
 بعينها البعض من شدة الضيق بينها. ربما قللته لفران بالنعلى  
 سافر. ملاحظته النهائية كانت أنه محرم تقدم على ارتكاب جريمة و  
 رفع الخلة للأعلى وهو يهتف ضاحكاً أسنانه بقوة وأغما عنه.

- نعم. نعم يا هالة أحسنتها. أحسنتها أكثر مما فعلت معك

أقول يديه للأسفل ثم فتحهما عن فصرعهما كمن يستعد للقفى  
 ضعة فادمة نحوه وهو بعيد هتافه وقد خرج عن السيطرة وأخذ جسده  
 يدور حول نفسه في المكان ذاته:

- ماذا ستفعلن بنا. هيا أربى جمجمتك

لم يصل هناك إلى أحد، بل وكأنه تم عزله تمامًا عن العالم. خرج من  
 دائرة وجوده. شعر بأن سره قد ضرب حول. طليعة ما قرّضت عليه.  
 طليعة وظلم كـ يوسف آخر ألقى به في بئر بيد أخوته، وتسلق الفم  
 لشحاره المذبذبة. إغمار على ركبتيه وما زالت الخلة جزء من كفه وعينيه قد  
 احسنتا بالدم وهو يروح تحت ثقل ندم وذنب يسويانه بالأرض. وصار  
 يمسس بخفون وقد تعب .. تعب حقاً ويريد أن يستريح:

- كنت قوية، أقوى من أن تشعريني بأحسبك في أقوى من أن  
تفكر معاناتك أمامي. وأنا كنت أغنى من أن أفيهم كبريائت  
فيست مؤخرًا، عندما قرأت وصيبتك في، فيست بال أسامة  
السخرية التي كانت عاتقة دائما فوق شفتيك كنت أغنى مرارة  
وضعت أكبر مما يجب أن تتحسليه وحدك. أملي، حذيل، جمعت  
ضعفها بين كتبها وقدمته في سيطرة هامة " أحسبك "، صبرتي  
هستها في قلب رحولي، جعلني أستبسط معك كثيرة بداحلي  
جعلني أحوم حولها أنافح عنها ضد كل شيء، وأي شيء يخرجها،  
ها فقط اكتشنت نفسي، وفيست معنى الكلمات التي كنت  
تودديها يوما ما عندما كنت تقول " لن أستطيع أن أفهمك، أنت  
ستفهم وحدك، ولكن مع امرأة أخرى غيرة "، والآن وقد  
فيست، فماذا تريد من يا هالك ماذا تريد؟

- لماذا لم تخبرني كل هذه المدة يا هشام؟

دفن رأسه بين يديه وهو يركر على فخذه فيعيها بخفوت.

- كل هذا حدث وأنت تؤدين مناسك العيرة يا أمي

رمت على قدمه وهي تتساءل بخنان:

- وكيف حال زوجتك الآن؟

زفر حاشاً دون أن يرفع رأسه قائلاً:

- كما هي. كوايس مفزعة ليلاً، وانزواء بعيداً عني وضروب  
ملكوتها الخاص فخاراً، تعيش عذاباً مستمراً

استندت بكفيها إلى عكازها بشكر عصف للحظات قبل أن يرق  
حاجبها بنحضر وهي تغسم ونومي، يرأسها نطفة

- لا تحمل هم يا بُني، أنا كفيفة به

لم يشأ أن يطلعها على أمر الحلة والرسالة التي كتبت لها، بالرغم من  
خوفه الشديد الذي غلبت منه شعوره أن أجريته جدائل في الصباح أن  
رؤى كانت ترونها في اليوم السابق، وهكذا استطاع الربط بين وجود  
الفتلة في البيت ورواية رؤى الغريبة، كان يريد فصيح أمرها عند والدته  
مؤكداً لها سوء اختيارها السائل لها كزوجة له، ولكنه لم يفعل، لم يقل  
شيئاً. حاش أن تطلب منه الرداء إلى اللع بالكلام أمام جدائل وتذكرها.  
صعد تأكيد لديه بأن جدائل لم تتلحها من الأساس بل وتناحلت  
بوجودها، إلا أن هناك مسأله أحر أقوى منه في اللحظة الأخيرة، ما إن  
يريد الإحفاظ بما وجهه أمامها، فوالدته حتى هذه اللحظة لا تعلم  
كيف ظهر فجأة الحال الذي سهل ضم عملية الانتقال إلى شقة أخرى.  
أقصى ما قالته هالة لها وقتها أن هناك طلب سلفة من عمله، ترفق  
الدمع في عينيه وهو يتذكر كيف وقفت والدته توبخها طناً منها أن هالة  
هي التي ضغطت عليه لطلب تلك السلفة المزعومة، وعندما تحرك



يؤلف وإليه نظرت له هذه نظرة معجزة في - ٩ - غير الزمان .  
يؤلف على الحق وإليه كان ينظر تلك النظرة والآن آتت أنت في  
ذلك اللحظة بسببه . أريد أن أقول بكونه أتم وإليه ولم حتى ظهر  
حساب كرامتها .

أخرجت من شراقة من حمى من الشقة فلهي سائل يجب  
عدا من حمله . فحرد أن يبع الباب إلى تلك سبل من السموات لو  
كان يوفيقا في هذا اليوم بالذات . فهذا هو يومنا الأسوفا  
اسم في المسألة مضطعة لم يفت إلى وإليه ساجدا

- إنما عنبر يا أمي

عاد يسوء مرة أخرى ولكن هذه المرة المسألة خطيرة وهم يقاتلون  
أحياء صفتها الضحية البتة وهي التي تسقط هذه أيام مضاع  
وخصتها بالما تفتت بضعة ولقد تلك الضحية التي تأكل جيش من  
ورائها كما تقول . فهي المخصصة الوحيدة في المنطقة والمسؤولة عن  
نظف ومسح سلام العمامات وشلقها أيضا لم تطلب الأمر . وهي التي  
فتحت شقة هشام وعظمتها قبل حرمه . ولم تسر إليها أن تلقى الضاحك  
على مسامح والده هشام بأن الشقة متعلقة صد شهرين وربما تكون  
مستكونة الآن . فلماذا لا يلجأون إلى مسيح وأصل ليخصها . كالسبح  
عند الضاحك . ففتح الأبواب الموصودة وبهاجر الحق والأشباح .

في ذلك الوقت لم تلفت والدته هشام كثيراً لثروتها ولكن الآن هي  
تحتاجها بشدة. خفضت من مقعدها وتوجهت نحو الباب نظير سحبي  
قليلاً هاتفة:

- انتظري يا عنبر أريدك في أمر هام

وقف هشام مكانه عند الباب منتظراً أن يبدأ في رحلة حمل الله  
اللازم إليها ولكنه فوجيء عندما سألتها والدته وهي تضيق عينيها بخدية  
وتركيز:

- أين هو مكان الشيخ عبد الفتاح هذا يا عنبر

رفرف هشام بقوة وتوجه للداخل تاركاً مكانه حالاً وقد بدأ يعرف ما  
هي الخطوات التي ستتبعها والدته لحل مشكلة (وحيته) بسما لمعت عيني  
عنبر وهي تُجيب بحماس زائد:

- ألم أقل لك يا خالة، على كل حال الشيخ يرعى مسألة التكنم  
على الناس المحترمة أمثالكم لذلك هو من سيحضر إليكم

أومات والدته هشام برضا وهي تستمع موافقة:

- هذا ما كنت سأطلبه خصوصاً وأن الشقة تحتاج إلى زيارة منه

بمجرد أن أغلقت باب الشقة سمعت هشام يقول من خلفها بضجر  
ونفور شديدتين:

- أمي أنا لا أحب تعريض جدائل لتلك المواقف من فضلك

- ولا أنا يا ولدي، ولكن ما باليد حيلة

ظل يذرع ردهة الشقة جيئةً وذهاباً وعقله يرفض الفكرة تماماً.  
بالرغم من أنه لا يعرف ماذا سيفعل هذا المدعو عبد الفتاح ولكنه  
يخشى عليها، توقف فجأة والتفت إلى والدته التي كانت شاردة بعيداً  
عارقة في أفكارها وقد فاض به الكيل:

- أمي أنا غير متحمس أبداً لهذا الحل

قصت والدته وعيناها مازالت شاردة في السافذة أمامها مباشرة:

- لا تخف عليها أنا سأتعرف وألهمها بصورتها

خرج هشام من بيت والدته تحركات عصبية ينفق بها جمده،  
هبطاً درجات السلم بسرعة كبيرة وهو يضع الطائف على أذنه ويقول  
متوتراً:

- عادل قابلي بعد ساعة في مكاننا المعتاد. أحتاج التحدث معك

بشدة

\*\*\*

جلس عادل فوق الأريكة الخشبية وهو يضع ساقاً فوق الأخرى  
وفراعيه تمتدان على ظهر الأريكة من خلفه وينظر بتفكير إلى ظهر

هشام الذي يقف أمامه مواجه حياة الليل. وكفحه غارقين في حبي سرور  
وبرودة الجو في هذا التوقيت من العام تجعل من لقاءهما في هذا المكان  
في غاية الخلق. ولكنه ليس بأقل من الخلق الذي مثلت من هشام وهو  
يواجه عادل عند بداية اللقاء و يرمي بوجهه أمامه لزوجته رؤى ما  
سيأتي مباشرة في الحالة التي وصلت إليها حداثيل وخصيصاً بعد زيارتها في  
أول أمس .

كادت أن تقوم بينهما مشاجرة حفيفة يسما عادل يدافع عن  
زوجته بشراسة ضاعف منها الطواء المنحرج المسبب من زلزاله. نقابا التعقل  
دفعت هشام ليناء. هضافه المنفعل عند هذه النقطة ويوجه إلى سور  
الكورنيش مسدداً بخصمه إليه ويداحد بهم أنه أخطأ وتسرع وقد  
يتسبب هو هذه المرة في هدم بيت مسبقه أو على الأقل تكدير صفو  
حياته. تركه عادل ليهذا قليلاً وجلس يشكر الله يستطيع الوصول لحل  
أمثل يبعده لحل مشكلة هشام دون أن يمس أحد زوجته رؤى ولو بكلمة  
واحدة. دقائق أخرى وبدأ الوضع بينهما يفر شيئاً فشيئاً حتى قرر  
هشام إضاءة بالكامل وتصحيحه. استدار نحو عادل متقدماً نحوه ببطء  
حتى وقف أمامه ثماناً. ولكن الكلمات هربت من صدره فعالجه عادل  
قائلاً بمدهوء:

- تجرد العلم بالشيء. رؤى زوجتي كانت ترفض أي تواصل مع  
زوجتك وأنا من ضغط عليها لتذهب لزيارتها

جلس هشام بجواره وهو يربت على كتفه وصوته يعبر عن إطراد  
الإنفعالات المتناقضة بداخله قائلاً:

- أنا آسف يا عادل، أعذرتني، فانا واقع تحت ضغوط أكبر من  
قدراتي على التحمل

مال عادل للأمام وهو يفرك كفيه ببعضهما البعض ويجمعها نافثاً  
الهواء بينهما لعل الدفء ينبعث فيهما ولو قليلاً، ثم قال بجفاء:

- لا تُبرر يا هشام، هذه الضغوط التي تتحدث عنها نابعة من  
مخاوفك، من عدم قدرتك على المواجهة، لا تنظر أبعد من أنفك  
- كالعادة -

قال كلمته الأخيرة بسخرية وهو يلهض واقفاً واضعاً كفيه بجانب  
سترته الجلدية الثقيلة، قائلاً:

- أرجو أن لا تنسى في خضم معتركك هذا أنك ستسافر بعد عدة  
أيام إلى مقر الشركة في الإسكندرية لضرورة العمل

أوما هشام برأسه موافقاً وهو يراقب انصراف عادل الذي ألقى  
كلمته وغادر دون انتظار الرد، معه كل الحق، لقد أقحم زوجته في  
مشاكله الخاصة، وكأنه يخبره دوماً بأن زوجته رؤى مازالت تتمنى أنه لو  
وافق على الزواج منها، حتى وهى زوجة رجل آخر الآن، ودوافع الحقد  
بداخلها تحركها لتغيب حياته مع جدائل .

هو يؤم صديقه دون أن يشعر. ربما من أجل ذلك لم ينس من حسن  
أو بعيد إلى الحلة والرسالة التي قرأها هذا، واكتفى فقط بأن يهرى  
الأحيرة فلت حلتا وجعلتها شاردة سارحة في ملكوت آخر. يبدو أنه  
ليس أمامه حل آخر سوى الذي تقدمه إليه والده. الشيخ عبد  
الفتاح!

\*\*\*

يسروال أسود وقميص باضع ياحيه باله رباطه غلق وهو فيها سودة  
صوفية سوداء طويلة تصل إلى ركبتيه. دخل الشيخ عبد الفتاح شلة  
هشام خطوات وثقة، لمهلت عينا والده هشام عليه بطرات تقسية.  
ربما تخاور الأربعين من عمرة بسنوات قليلة، دهم حليقة لامعة ورأسه  
أصلع من مصطنعها غاما. أظلت الطيبة مع التواضع من عيبه إطلالة  
فميرة بصحية اسماحة خاصة موشولة بوق شديدة فلا تبول وهو يحول  
بعينه بأرجحة بأركان الشقة ووالدة هشام بأحمد من عرفة إلى أخرى مع  
صوت دم نجوى على الخليل سوى من صررات عكازها على الأرض  
أثناء سيرها وههشات حفيفه لا يستطيع أحد منهم فهمها تصدر من  
بين شفهي الشيخ عبد الفتاح. لم يستمر المصمت طويلا حينما أضي  
الرجل جولته ثم عاد إلى الردهة وهو يناظر جدابيل التي انكشفت من  
ذراعي زوجها وبعينها نفور وخوف تجاه غير الوافقة ملتصق ظهرها  
بباب الشقة المغلق كما أمرها عبد الفتاح بعد دخوله ثم تحولت نظرها

المنجمة الخائفة نحو الأحمر الذي ابتسم عندما أخبره هشام بأنها  
تنتفض بقوة، فجلس على المقعد المقابل لها وسيرة هادئة قال

- لا تبالي، إنها تنتفض لرؤيتي

ارفع حاجبي هشام بدهشة وقيل أن يطلق انفجرت الكلمات من  
فيه غير وهي تتكلم عناف كعادتها قائلة:

- لا تقلق يا أستاذ هشام، روحك بالتأكيد ملبوسة ومن يسكنها  
هو الذي يرتعش الآن، فالشيخ عبد الصالح مشهور عند الجن ..  
اللهم احفظنا - ويخافونه

أشار لها عبد الصالح أن تقست يسأ قائلة والددة هشام متسائلة:

- ماذا رأيت في الليلة؟ شبح، ومن ماذا تعاني زوجة أبي؟

لأرأت عينية عائلة في عيني حنايل وهو يحسها بنوع من الإشفاق.

- حفيظة يا حالك، هذه الليلة ليس لها موضع قدم، قبيلة عن  
أكسليها من الجن تعيش بها، أما زوجة الأستاذ هشام فلا بد من أن  
أقوم بالكشف عليها أولاً

- ماذا؟

هشام بها هشام باعتراض ودهشة بعدما حفزت عبارة الرجل الأخيرة  
دفاعه كاملة فشد على ذراعها يضمها إليه دون شعور، وهي

استجابت غامرة وجهها في صدره أكثر، لا تعلم ماذا يحدث حولها، لا تعرف سوى بضع كلمات شحيحة قالتها حماقتها قبل حضور ذلك الرجل بعشر دقائق لا أكثر، عن أنه رجل بركة سيقوم بحل جميع مشاكلها وبأنها لن ترى بعدها تلك الكوابيس المزعجة مرة أخرى! أعادت نبرة صوته التي شابه بعض السخرية إلى حاضريهم وهو يتحدث إلى هشام موضحاً:

- الكشف هنا يعني بأنني سأقرأ عليها بعض من آيات القرآن الكريم لأستطيع تشخيص حالتها

سكت هنيهة وبدى على ملامحه بأن هناك عبارة لازالت عالقة بجوفه، ثم أخرجها مُردفاً باهتمام :

- ولو أن يخبرني الطويلة ودون كشف، أرى بأنها حالة مَسْن

حرفه الأخير خرج ممطوطاً قليلاً، مُحدثاً رنيناً مَزَعجاً بمعناه وليس بصوته فقط وهو يمر بدبذباته بينهم، إلا أن تلك الحالة لا تقارن أمام التوتر والذعر الذي حدث بعدها عندما أكمل حديثه وهو يزيد من تركيزه بنظرات ثاقبة في عيني جدابيل:

- أرى وجه امرأة غاضبة يُطل من عينيها الآن!

لم تتوقف عنبر عن قول العبارة التي يبدو أنها لا تحفظ غيرها من حين لآخر:



- اللهم احفظنا

بينما أصبح الخوف سلعة رائجة بين الثلاثة الآخرين وقد تحولت نظرات والده هشام وهي تناظر الشيخ عبد الفتاح إلى نظرة رجاء صامتة ترجوه العلاج، بينما أغمضت جدايل عينيها وهي تنسبث بقميص هشام الذي تجمدت عيناه على وجه الرجل الذي أوما برأسه يطمئنهما وهو يمد يده بجيب سترته مُخرِجًا لفافة صغيرة بيضاء لم تزد عن حجم أصبعين من كفه قائلاً:

- لا داعي لكل هذا الذعر، مدة العلاج لن تزيد عن الشهر، جلستان في الأسبوع، إذا التزمتم بتنفيذ جميع الطلبات

مَرَحْتُ ابتسامة ساخرة مرتعشة قليلاً على شفى هشام، ودون تفكير قال مُعلِّقاً:

- آه، هل ستطلب منا دجاجة مُطلقة، أم كتيكوتا يتيماً، أم ستقوم بالإعداد لزار و..

قاطعت ضحكة الشيخ عبد الفتاح التي انطلقت ساجحة في فضاء المكان وقد بدا المرح على وجهه، وبعد أن هدأ إلتفت إلى والده هشام قائلاً:

- من فضلك يا خالة، أريد زجاجة مياه وإناء بلاستيكي متوسط الحجم إملايه بالماء أيضاً وبعض قطع من ملابس لكل ما يقطن في

أومات المرأة برأسها وانصرفت للداخل تتبعها عنبر لمساعدتي  
عاد برأسه إلى هشام قائلاً ببرة مازال المرح عالقاً بها:

- أنت قديم للغاية يا أستاذ هشام. حتى الدجالين اليوم لم يعودوا  
يستخدموا تلك الطرق وقد أستهلكت كثيراً في الأفلام المصرية

صرف هشام عينيه عن الرجل بخرج وهو يذس أصابعه أسفل ذقن  
جدليل وهو يهيمس لها أن لا تخاف وأنه نجواها في كل خطوة. دقائق  
قليلة وعادت عنبر حاملة الإناء الالامسيكي بين يديها وصدرها ينهن  
صعوداً وهبوطاً. وضعت الإناء عند قدمي عميد النضاح

واعتمدت تناول قطع الملابس من يد والدته هشام التي كانت تحمل  
رجاجة المياه بيدها الأخرى. أشار عميد النضاح إلى الإناء وهو يوجه حديثه  
لـ عنبر أمراً:

- أغمسى الملابس في المياه. أغمسى بها لآخرها

فعلت عنبر ما أمرها به ثم ناولته رجاجة المياه وابتعدت تقف بجوار  
والدة هشام. فتح الرجل الرجاجة ثم وضعها على الطاولة التي تفصل  
مقعده عن مقعد شاغر بجواره. ثم عاد إلى اللقافة الصغيرة الورقية التي  
أخرجها من جيبه مسبقاً، فتحتها أمام هشام وهو يشير إلى المادة التي  
تشبه الدقيق ولكن لونها أصفر قاني يحيل إلى الخمرة وهو يقول:

- هذا زعفران، النساء تستخدمه عادة لحسن بكتبات الطعام أو  
لإضافة لونه إلى العصائر

تدقت نظرات هشام المصطربة بين والدته التي أومأت له مؤكدة  
بين الزعفران وحامله الذي بدأ يفرغه بدقة بداخل الرحاحة. مسح  
لونه باليد لتعبر لونها إلى الأحمر الباهت. أخلق الشح عبدالصاح  
الرحاحة حيناً ثم رجعها بقوة بين يديه لدقيقة كاملة ثم وضعها على  
الطاولة تاركاً أياها وهو يقول:

- الزعفران يؤذي الجن بشدة

قال كلمته وهو يرفع رأسه نحو عمر يوشاها الكمر وحلباها الزاهي  
متسائلاً:

- هل معك منديلاً قماشياً؟!

أنهت عمر وهي تتحسس حسيها فاستطرد وهو يوقفها بيده قائلاً  
بعفوية:

- أنتظري أنا معي واحداً تقريباً

بحث في جيبه الثانية وأخرج المندبل بعدها ثم ارتكز بمرفقيه على  
فخذيه. جامعاً المندبل بين كتفيه، قربه من قدم ثم أخذ يتمتم بكلمات  
مبهمة. لأكثر من خمسة عشر دقيقة وهو يتمتم هكذا. يرفع صوته

قليلًا بين حين وآخر فيستمعون إلى آية قرآنية يعرفونها ثم يعود ليحصى صوته مرة أخرى فلا يدركون لماذا يطق لسانه !

أنهت الدقائق بشق الأنفس، وما كاد أن يرفع يده فلقبنا الحنديل في الإناء البلاستيكي حتى حدث اشتعال طفيف، شهقت معه والدته هشام عاليًا وقد اتسعت عيني هشام عن آخرها، بينما الشيخ عبد الفتاح يطفىء الشعلة الطفيفة التي حدثت ثم يرفع رأسه إلي هشام قائلا:

- روح روحك الميتة تسكن حوائط ملاسكم، وهي غاضبة للغاية !

وضعت والدته هشام يدها على صدرها في محاولة كسوة لتهدئة خفقانها. وعندما وقعت عيناها على نظرات جدابيل تملكت منها الدهشة. لقد كانت تنظر إلى الإناء، برود وكأنها تشاهد عالم آخر موازي. لم تتأثر !، لم تكن هي وحدها التي ترأب عيني جدابيل. بل كان الرجل يفعل نفس الشيء، وحين تكلم وجهه حديده إلى هشام وقال:

- اعتقد أن روحك المتوفاة بدأت تخضر بينما

قطعة من الجليد انسابت فوق عسوده الفقري وانحدرت إلى أسفل قدميه مشيرة زوايا مخاوفه فارتعش جسده بالكامل وبدأ يشعر بذراعيه تنحل دون إرادته ببطء من حول جسده جدابيل التي تنظر إلى الجميع نظرات مبهمة كطفل لا يعي شيئًا مما يدور حوله. صار هشام مسلوب الإرادة. مستقبلاته العصبية في إجازة مفتوحة، ففتح الشيخ عبد الفتاح الزجاجية وناولها إلى هشام وهو يأمره أن يسقيها منها ثم يسقي والدته



عينها جامدتان وأنفاسها تتسارع وكأنها تتنفس من سم الحيات. تصارع الحياة. وفيها نسي زوجته التي قُذِي. العالقة بين عالمين. وعبر التي تكتم صرخاتها بكفيتها وبات وجهها كالأموات وهي تنظر إلى عبد الفتاح الذي كان يبحث عن راحة المياه ويدسها مسررة قبل أن يفر هاربا. كل تصور تتحرك من حوله يطاء قاتل كقطر نضبات والدته في تلك اللحظة. والتي تضاء بالها مسوقف ساكنة بين نارية وأخرى .

رمت نغم بعضا بالمرث. ولكن مواجتها لعلها، تجعل مشارفته باختم أمر مخيف!.

## إختفاء

لم ينتظر المصعد، قفز درجات السلم طابقاً ينتهي ليبدأ بآخر حتى وصل إلى طابقه المنشود، ظل يعدو بين أروقته حتى تراءى له جسد هشام من بعيد، كان يتحدث إلى طبيباً خرج لتوه من حجرة مجاورة، أسرع الخطى وصدره ينتهت بشدة من الإنفعال والجهود، مجهذاً نفسياً أكثر منه بدنياً، منذ أن تلقى الإتصال السريع من هشام قبل قليل، يحبره على عجالة بأن والدته بين الحياة والموت في المشفى، طيلة الطريق وهو يحضر نفسه لتلقى صدمة قاتلة له ولصديقه، وعندما رأى الطبيب يقف مع هشام هرول نحوهما بأسرع مما تكون الخطوات، واستقر واقفاً خلف صديقه واضعاً كفه على كتفه، إلتفت هشام إليه ثم عاد يلتفت إلى الطبيب الذى ألقى نظرة عابرة نحو عادل ثم تحول بعينه واهتمامه نحو هشام مستكملاً الحديث الذى بدأه للتو:

- كما قلت لك يا أستاذ هشام، تحليل عينات الدم أثبتت أنهما تناولوا عقاراً مُهلوساً، والدتك لم تتحمل مضاعفاته، ولكن لا تقلق هي الآن حالتها مستقرة، ولكن ستبقى معنا هنا لعدة أيام قبل أن نخرج معك



ثم عادل مصدوقا:

- عقار هלוسة !

لم يظهر على هشام أنه قد استمع لتعليق صديقه، فلقد كان يردد  
رفقه الخاف يخفاف حلقه وهو يتابع تساؤلاته:

- وزوجتي؟

عادل الطبيب من وضع عوداته قبل أن يجيب بعجلة شيئا الخوار

- بخير، ونستطيع أن نأخذها معجزة أن نستيقظ

ابنسم وهو يستدير ليعاثر فلم يستطع عادل كنم الضعفاءه أكبر من  
هنا، أدار هشام ليوأجهه وهو يهتف بالترعاج

- ماذا حدث معكم يا هشام، أي عقار تهلوس هذا؟

ثم هشام وهو يتجه نحو أقرب شخص ليرمي فوقه حمل حبه  
المهلك، الموشك على الإخبار بالكمال، مستندا عرقبه إلى فحبه  
بشفس، وهذه في حد ذاتها معجزة، إنه يتنفس أجورا لقد طرأ به أنه قد  
فقد القدرة على التنفس منذ أن سقطت والدة أم عيبه وحتى خرج  
إليه الطبيب ليضمده بالحقا بخير، أخرج الضعفاءه في رجوة طوية طوية قبل  
أن يلتفت نحو عادل الذي جلس على المقعد الخوار له مائلا بجذعه  
نحوه عيده مرققان لما سيخرج من بين شفطي هشام بقلة صبر، وبما  
يقص عليه ما حدث منذ دخول الشيخ عبد القدر الضعفاء إلى حارة



بعد أن دفع له مئة جنية عن الزيارة الواحدة، وحتى خروج والدته وزوجته إلى سيارة الإسعاف.

ضرب عادل ركبتيه بقبضتيه وهو يهتف بعصية لم يستطع التحكم بها:

- النصاب، ابن الـ (.....)، كيف تدخله بيتك يا هشام، كيف!!

مرت أمامهما ممرضة في هذا التوقيت الحاطي، فالتفت نحوها بتقزز وقد ضرب لفظ عادل أذنيها، وأسرعت خطواتها لتخطأها بتفجور.

وضع هشام يده على قبضة عادل المستقرة على قدمه، وربت عليه مهدئاً وهو يقول بإنهاك شديد:

- سأحرر محضراً ضده في الصباح، الآن أنا مقتول ذهنيًا يا عادل، أرجوك

استند كلاهما إلى ظهر مقعديهما في صمت مطبق، كل منهما في عالمه الخاص، هشام غائب في زوايا عقله حيث ذكريات اليوم المولمة تمر أمام عينيه بحركات بطيئة والإفتراضات تغزوه من كل اتجاه متصوراً بأن عقار الملوسة ذاك الذي وضعه عبد الفتاح مع الزعفران في زجاجة المياه، كان بدلاً منه عقاراً آخر، ربما مُنوماً، ماذا لو أصر على أن يشرب هشام هو الآخر، كان ثلاثتهم سينامون منزوعي الإرادة وبصحبة نصاب ومساعدته، ترى ماذا كان سيحدث، نفخ رأسه بقوة وهو

يرفض تلك الصور البشعة التي مرقّت بعقله. تضرب رحلته في مضى عادل معه حق، هو السبب بلا شك. كان مخفياً عندما قال له بأنه ينظر إلى ميزة مواجهة مشاكله. ولا ينظر أبعد من نفسه. شعر به عادل قرب على كشفه وصوته الهادئ، يتسلل إليه متسللاً:

- ابن جنى و لجين الآن؟

إكفى هشام بالنظر بطرف عيبيه وهو عليه خفوت

- هذه ميزة الأحياء الشعبية يا عادل. عندما وقفت سيارة الإسعاف أمام المنزل ورأى الجرحى والذى وروحى بدحلات إليها. أصرت أكثر من جارة لنا على اصطحاب ناهى معها في بيتها. والحمد لله لقد كانتا بالنسبة أثناء كل هذا في شقة والذى بالأسفل فلم يشعر بشيء. وفي النهاية استقرت عند زوجة ياسين جارنا. أنت تعرفه

أوما عادل برأسه مؤكداً بوجه قاتلاً.

- نعم. وسأمر عليه لأخذهما معي إلى بيتي حتى تتحسن صحة زوجتك

رفض هشام رفضاً قاطعاً بعد أن شكره ثمناً. فزوجته ستعود معه بمجرد أن تستيقظ من النوم على إثر المهدىء الذى حقنها به الطبيب وقد كانت حالتها يرثى لها وهى لا تتوقف عن الهذيان والقيء .

وأخذ يمني نفسه بكل ما هو جميل. سيعود كل شيء على ما يرام  
سنعاف روحته وبعد أيام ستخرج والدته من المستشفى وقد سعدت  
صحتها. وترجع سائته إلى دار الزوجة وستحس حاله بالحر والكم  
لديهما ويصبحا مثل أقرانها في تلك النس. استطاع نفس الغلة بعد  
صدور العدد القادم منها وسبحد أنه لا رسائل أخرى تفعل صبور  
قالت في "نعم، سيكتشف بأنها كانت مجرد فرجة. مرحلة سعيدة لا يعلم  
مصدرها. كل شيء سيكون بخير. لاشك في ذلك"

\*\*\*

في اليوم الثاني عادت جدابل بصحبته إلى بيتها. ولكن رافضة لأي  
تواصل معه. ترفض حتى التواصل الضري ولو بطرف واحدة. أحدثت  
الفتاتين من بيت ياسين ساكرة زوجته ثم صعدت حيث شقة حماتها.  
أصرت على عدم الصعود معه لشقته. انفصلت عنه اتصالاً تاماً لأيام.  
لم يرها فيها إلا أوقاتاً قليلة جداً. إما عندما يأتي بعد عودته من العمل  
ليلاً ليرى بناته لدقائق قبل أن ترفض هي أن ينام معهن بنفس الشقة.  
أو عندما تذهب لزيارة والدته في المستشفى وفي نهاية الزيارة ترفض أن  
يقلها بسيارة اجرة إلى المنزل وذلك في المرات الشحيحة التي تصادف  
تواجده مع حضورها هناك .

وكعادته انتظر، إنتظر حتى تُحل الأمور من تلقاء نفسها مع الوقت  
وكان شيئاً لم يكن. غافلاً عن الإشتغال الذي يزيد بتجاهله لشرارته

وتركها نظفاً وحدها. ها هنا هو الإهمال الذي كانت هالة تتحدث به  
في وصيتها، الإهمال القاتل. تشعل الخراف، صاروا كعادته عرض الخط  
معرفته الحديثة بأن طرق باب قلب الأذى يستلزم قلبه حمل خطب  
الإهمال

\*\*\*

وجاء اليوم الذي كان يستلزم غللي. يوم صدور العدد الجديد من  
المجلة. لم يكن في كامل تركيزه ذلك اليوم أثناء غسله. ذهبه فلبس ثيابا  
لدرجة أن السراويل التي كان من شدة البرودة. عساه وحظا على  
مراقبته وكأنه منبه لا يريد يقوى القاصيد. وقبل نهاية اليوم حاول أن  
يسأله يقوى عن السب. معقدا أنه ربما ساءت حاله والدته الصحية  
ولكن هشام طمأنه بأنها خير وأن الطبيب سمح لها بالعودة عدا إلى  
المنزل.

كم يحب هشام صديقه بما يؤرقه. وكم يكره قيامه بتسليط الضوء  
على المشكلة الحقيقية بداخلها. لم يكن يتصور عادل الضغط عليه  
ليتحدث أكثر من هذا. فهو أيضا يعيش نوعا من التوتر مع زوجته رؤى  
دون سبب واضح. ورغم إصراره عليها يوما أن تخفي له ماذا يوترها.  
فتبدو وكأنها ستتحدث. وقبل أن تنطق يخوف واحد تعلق شفيتها  
وتدعي حاجتها للنوم. زفر ببطء طاردا جميع انفعالاته المطردة. وانفت  
نحو هشام الجالس على المقعد الجلدي خلف مكتبه ومال بجذعه نحو

ثم قال ينفوت:

- مواعيد العمل شارفت على الانتهاء، ما رأيك لو تنصرف الآن،  
فانت متسافر باكراً ولابد وان ترتاح جيداً

سقطت عبارته على منطقة حيوية براسه يفكر بما منذ ان جاء إلى  
العمل صباحاً، متى سيغادر ليشتاع الحلة؟، بل متى سينفرد بنفسه لبحث  
فيها عما لا يريد أن يجده؟، تدرعت عينه بالإحابة رافقها تحرك جسده  
وهو ينهض على الفور و يومئ براسه بتعب مُدلِّكاً عنقه المُجهَّد وهو  
يقول:

- أنا فعلاً في حاجة شديدة للراحة استعداداً للسفر

جمع أوراقه المبعثرة بإهمال فوق سطح مكتبه يُضخِّمهم إلى بعضهم  
البعض بداخل أحد الدفاتر، ثم أغلق خزانة المستندات بإحكام قبل ان  
يلتفت إلى عادل مُخيمًا إياه وهو يغادر إلى أقرب بائع حراند ومجلات  
يقابله في طريقه.

\*\*\*

منذ ان ابتاعها وأمسكها بيده وهي تقلده بين هواجسه المتوالية،  
تُشعل فتيلها شيئاً فشيئاً، حتى قَرَّب صبره على الانفجار، وعندما وصل  
إلى المنزل لم يمر على شقة والدته كالعادة، لم يكن باستطاعته ممارسة  
الإنظار أكثر من هذا ١.



وفي غرفة نومه وفوق فراشه استلقى بكامل ثيابه، لم يتزع عنه سوى  
حذائه فقط، الأمر بالنسبة له حياة أو موت، كمن تأتيه رسائل من قاتل  
مجهول، وفي كل رسالة يجد بها علامات ترشده إلى شخصيته الحقيقية،  
بدأ يقلب صفحاتها بقلّة صبر، حتى توقف أخيراً أمام صفحة برید "بن  
الناس" إلتهمت عيناه السطور حتى سقطت على ما لم يتمن يوماً  
مُعابنته، الرسالة الثانية منها إلى الصحفي عبدالحائق مروان، تحت عنوانها  
التي اختارته في السابق" قالت لي :

هل تعرف سيدي قول الكاتب آرثر ميللر عن هؤلاء الأشخاص  
الذين يُفضلون أن يُشنق الجميع على أن يوجه إليهم عتاب ما أو يعرفوا  
بأخطائهم؟!، أحد هؤلاء الأشخاص هو زوجي!، فعندما كانت تنكث  
بصدري أفعاله حتى تتعاطم ولم أعد قادرة على حبسها بداخلي أكثر من  
هذا فأعاتبه عليها، وقتها كنت أشاهد وجهه يحنق بالضيق، قبل حتى  
أن يفهم مشكلتي الحقيقية، يُغلق قلبه عن سماع بقية عتاي وبذلك  
عصبته تُنصت لي وحدها، نظراته تتحول إلى صخر، وكأنه لا يراني أمامه  
في تلك اللحظة، فقط يرى أخطائه تتجسد في، فتكرهني عيناه بشدة  
ثم يحدث الانفجار!

إنفجار يطيح بي وبه، يُعثر أشلاء سنوات قضيتها معه، في خدمته،  
وفي محراب حبه، والآن أتساءل، ماذا لو كان يسمعي وقتها بقلبه، ماذا  
لو تفهم عتاي، ماذا لو تحركت شفاته بكلمات تروي صحراء حي

القاحلة، بدلاً من ديبب الصمت الذي يُعمن في قلبي به !، أعلم سيدي  
أن في تلك اللحظات كان للصمت عندي ضجيج يثر أعصابي ويفقدني  
ما تبقى لدي من تعقل !، لا لأن الصمت هو من يؤدي في حد ذاته،  
بل لأنه كان يلتهم مني كل صبر وأنا أنتظر كلمة واحدة منه تُطفئ النار  
المشتعلة بروحي !، صبر مغموس بالانتظار الدليل، ككلب يلهث ينتظر  
أن يُلقى إليه سبده بفئات طعامه .

ولم يكن يفعل !، ومن شدة عجزتي وقهري منه ذات ليلة، أتيت  
بسكين وحزرت أطراف شعري حتى شغرت بألم مُبرح يغزو فروة رأسي،  
ثم وضعت شعري الممزق على شاشة هاتفه وهو نائم، أعلم أنها حالة  
جنونية أصابني ولكن الجنون الأكبر أنه عندما استيقظ ليأخذ هاتفه  
أزاحه بعيداً وتناول إفطاره وذهب إلى عمله، لم يُكلف خاطره باللقاء  
نظرة علي ليتفقدني هل أنا على قيد الحياة أم لا !، وكان قهري أصبح  
من المُسلمات البديهيّة لديه !.

أعلم أنك ربما تُفكر أو أحد قراءك، لماذا لم أطلب فراقه؟، لماذا وقد  
استحالت العشرة بيننا إلى جحيم صامت؟، ذاك السؤال طاف بذهني  
ذات يوم وأح علي بقوة حتى كدت أن أتخذ قراراً به، ولكنني توقفت في  
 لحظة صدق أمام المرأة، أنظر إلى نفسي، امرأة تجاوزت الثلاثين و  
 طفلتان، أنفقت كل ما تملك على شقته والأثاث المتواضع بها، نبذها  
 أهلها بسببه، نبذها هو شخصياً، عاطلة لا تعمل !، ترى ماذا ستحصل

في النهاية إلا على ضياع كامل، في مجمع تحمل المرأة المختلفة كل  
الأسباب، كل العيوب، بل ويطلع بها أيضًا !.

أما الآن ومع زوجته الجديدة "جيم" فهو متفهم للغاية، فمختصر في  
ولمشاكلها، أعرف بأنه أحضر إلى المنزل رجلًا نصافيًا ليسعني عنها!، وإن  
كنت بينهم، أشاهد وأضحك. كان مشهدًا مثاليًا لتسليتي بالفعل. كان  
يستحق ما حدث له في النهاية. ويستحق ما سيحدث له بعد ذلك.  
فلقد قررت أن أغني تلك اللعبة بطريقتي .

ماذا هو يوم معها بينما كنت أنا كنت أتعذب لديه. لأبد وإن  
يفقدها لي شعر بما شعرت به يونا، بشعر بالعجز، بالقهر، بالذل. ولن  
يجدها ثانية .

كنت أريد أن يكون السلام حتمي، ولكن تلك الكلمة غريبة  
عندما تبحث عنها بين دفتي أيامي .

من هتاف قرا ونقرأ ونهت سطور رسالتها في اللحظة التي  
اكتشف فيها أن علامة الدموع في عيني أصبحت ثقيلة للغاية، ثقيلة  
لدرجة لجعله يجهل صرعه في النظر إلى السطور القليلة التي كتبها عبد  
الخالق مروان لعلينا على رسالتها.

- حالة يريد تفردا تفردا. حالة مجهولة الخطر، سقت أطراف  
مشاعري وتفكيري إرباكا من نوع خاص، يُغري حاسني على  
السعي ما أكثر في محاولة لفهمها. بل ومحاولة مراسلتها لتكتب



أكثر وأكثر عن نفسها. وعليه فلن أتوجه بنصح إليها الآن.  
سأجعل قلبي فخاذا وهو يوجه حروفه نحو بعض الأزواج من هذا  
النوع، واليهم أقول :

- إرفع رأسك أيها الزوج وانظر إلى المساحات الشاغرة. في قلبك.  
ومن حولك. وابحث عن زوجتك. تغطي جدار البيت الذي علا  
بينكما يوما بيوم. فلربما تجد هناك نساءً أخرى تبكي ليذها بفهم.

أمدلت عيناك ستائر جفونها وسقطت اجللة فوق وجهه. لقد أيقن  
بأنها كلمات هائلة. ولغرائبه لم يرتعب كما المرء الأول. حتى وإن شعر بما  
حوله في تلك اللحظة. حتى وهي تقول بأنها لن تتركه يعم بسلام. رفع  
رأسه واستسلم لأي شيء. اللهم إن انتهى كل هذا !

\*\*\*

استيقظ في الصباح وهو لا يعرف كيف سرفه النوم بالأمس. كل ما  
يتذكره آخر كلمات المرء وأغمض عينا دون أن يشعر. بينما سقطت  
الجللة فوق وجهه تفصله عن العالم. نهض فجأة كالمسوع وهو يهتف  
باسم " جدابيل "، شيء غامض بداخله بيت فجأة لا يعرف ما هو. كل  
ما يعرفه بأنه يخبره بأن حياته أصبحت. ناقص واحد !، شيء اختفى.  
وربما إلى الأبد !.

نظر إلى ساعة معصمه العالقة بيده منذ أمس، لقد تأخر كثيراً، كان يجب أن يكون في طريقه إلى محطة القطار الآن، لم يفعل شيئاً سوى أن ضرب وجهه بعدة دفعات من الماء وهو منحني أمام المصور، ثم انطلق يرتدي خذانه على باب شفته ويهرول على الدرج، كان لابد من أن يطمئن عليها وعلى فتياته ولو لدقيقة واحدة، فتح الباب فتفاد الخاض وأخذ يثقت حوله وهو ينادي عليها سرّاً محفظة، ولكن لم يجبه إلا الصمت المطلق، حدث نفسه بأنها ربما تكون نائمة فلوقت لأزال باكراً جداً وموعد دار الروضة لم يبق بعد، كاد أن يغادر ولكن آخر عبارة برسالة هائلة فقررت إلى دمه ودفعت قديمه للبحث عنها بجميع الغرف، لا أثر لأي منهن بالنسبة على الإطلاق، وقف بمصنف الزدعة يحاول طرد الأفكار السيئة عن عقله، ربما ذهبت لزيارة والدته بالمشفى؟ أم؟ أم ماذا؟ إلى أين سغادر في تلك الساعة؟

أغلق الباب خلفه بتوتر وعناد يقفز درجات السلم فحدها المشفى هدفه وبالتأكيد سيجدها هناك، أصطدم رغباً عند نجارة ياسين الذي كان يخرج من شفته في ذلك الوقت متوجهاً إلى عميله، فابتسم ياسين له وهو يلحظ حالة هشام المرتبكة المشبعة وقال بخمسة:

— أستاذ هشام، صباح الخير

تجاوزته هشام وهو يرد تيمناً سريعاً ولكنه توقف فجأة عندما سمع ياسين يقول من خلفه:

- لا يلقى على يديك، ولا يلقى عليك من لا يلقى على يديك  
ولا يلقى عليك من لا يلقى

الذي يلقى على يديك، ولا يلقى عليك من لا يلقى على يديك  
ولا يلقى عليك من لا يلقى

-

جمع ما من أخيه في كل ما يلقى في حاله وهو من سطره

- ولا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره  
على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره  
لا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره  
لا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره  
لا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره  
لا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره

لا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره  
لا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره  
لا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره  
لا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره  
لا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره  
لا يلقى من سطره على سطره، ولا يلقى من سطره على سطره

- من يلقى، لا يلقى من يلقى، ولا يلقى من يلقى  
لا يلقى من يلقى، ولا يلقى من يلقى

ثم غادر سريعا بعد أن أومأ له ياسين موافقا بالمشاق. أسرع بعد  
تجاه أول سيارة أجرة استجابت لإشاراته. وتحمرد أن اسطر حاجبه  
حتى أخرج هاتفه فحربا اتصالا بصديقه فحربا أياه بما حدث بصور  
منقطع وبغير تركيز، فقال عادل على الفور وهو يمسح وجهه بين  
الأخرى، محاولا إيقاظ حواسه التي كانت مزلت نائمة

- لا تفعل هنا يا هشام. عندما تصل إلى المستشفى وتطمس على  
والدتك وزوجتك أتصل في. وادهب انت حتى لا تقوت قطارك.  
وأنا سأتكفل بالأمر.

أبواب المستشفى كانت فعلة الا من الأبواب الخاصة بالعبادات  
الخارجية الملحقة بها فقط فبعد الزيارات لم يمس بعد. دخل من تلك  
الأبواب وحل بعدو بين أزقتها الطويلة تيملا ويسارا ثم استقل المصعد  
المؤدي إلى الطابق المنشود، انطلق مباشرة من المصعد بعد توقفه. حيث  
غرفة والدته. دلف إليها ببطء برأسه أولا وهو يدعو أن تكون جدائل  
قد اتخذت نفس الطريق إليها. ولكن عينيه صدمت بالسرير المرافق  
لسرير والدته خاليا. ولا يوجد أحد غيرها بالغرفة. وهي سائحة في نومها.  
انفض عندما شعر بيد توضع على كتفه ثم صوت أنثوي يقول:

- ماذا تفعل هنا في تلك الساعة

الفتت مستديرا للخلف فوجدها المريضة المسؤولة عن هذا الرواق  
بكل المرضى الساكنين غرفه. زفر بتوتر ثم قال بخفوت:

- هل تعرضت والدتي لمضاعفات بالأمس

زمت الممرضة شفيتها وهو قمى حانقة:

- كنا سنتصل بك لو حدث ما تقول، والدتك نعيم وستخرج اليوم  
ولكن ليس في هذه الساعة بالتأكيد

سألنا عن زوجته فأجابت بنفس الخلق أنه أول شخص تراه اليوم في  
الرواق بأكمله، ثم طردته من الغرفة وهي تتوعد رجال أمن الموابات  
المستأهلين، خرج من المستشفى بنفس الطريقة التي دخل بها، هاتفه  
ملتصق بأذنه في محاولة ربما تجدي نفعاً، ولكن الهاتف القاطن بيت  
عصيا انقطع رنينه مرات ومرات ومارال لا يوقع سماعته أحد، يكاد  
يخن، نظراته تتوج بين الهاتف ومساءة معصمه، لم يبق الكثير، لابد وأن  
يتصرف، لم يكن أمامه حل آخر سوى إجراء اتصال آخر به عادل  
ليطلع على التطورات ويرجوه أن يسافر بدلاً منه فكلاهما يستطيع  
تنفيذ المهمة.

\*\*\*

بحث عنها في كل مكان من الممكن أن تتواجد به، واتصالاته  
المشكورة بمنزل عصيها لم تتوقف، ولكن دون فائدة، إن كانت لم تذهب  
إليهم فلماذا لا يجيب أحد على الهاتف على الأقل، الاتصالات لا  
تجدي نفعاً، الطوابق التي صعد بها بتردد بصحبة والدته من قبل يصعد

سَلَمَها الآنَ قَفْراً، طَرَقَات وطَرَقَات ولكن لا تُجِيب أبَداً، ما زالت  
الرُسُومَات على الحائِطِ المجاور للشفقة تستغزوه وتُثير غيظَه أكثر، فتح  
باب الشفقة المُقابِلَة وأطلت مِنها رَأْسَ امرأةٍ أُرْعِيْنِيَّةٍ بِمَلامَحٍ مُنحَطِرَةٍ،  
ومن بين حافِي البابِ ظَهَرَت يَدَها تَحْمِلُ مُنْفَضَةً غِباراً، هاتِفَةً بِعَصبِيَّةٍ:

— من أنت وماذا تفعل ؟

استدار إليها محاولاً الإعتذار بتوتر ولكنها لم تصمت أو تتراجع وهي  
ترمي باعتذاره عرض الحائط بتصميم شديد على أن يُعرف نفسه، لم يشأ  
أن يدخل معها في جدال طويل، فالمنفضة في يدها المُمْتَلِئَة تُنبِئُ عن  
قوة سلاح لم يُختبره بعداً، فقال بأدب:

— أنا هشام، زوج جدائل التي تسم،

لم تُثْمَلِه لِيستَكمِلَ عِبارَتَه، ولكن هجوماً هذه المرة مختلف وقد  
تغيرت ملامحها إلى الترحيب والتبسط، حاول بشق الأنفس مقاطعتها  
والسؤال عن جدائل وعمها، فأجابته بدهشة وهي تُلَوِّحُ بِالْمُنْفَضَةِ:

— لقد سافروا بعد زواجكما يا أستاذ، ألم تكن تعلم ؟!

من المؤكد أن هذا هو اليوم العالمي للدهشة والمفاجآت، متى  
سافروا؟ وإلى أين؟ تلك التساؤلات مرت من عقله إلى شفثيه فلم تزد  
المرأة إلا تعجباً وهي تقول مُثَرِّرةً:

- والله لا علم لي يا أستاذ، ولكن زوجة عمها أخبرني أنها في الأساس مستقرين في الخارج منذ سنوات طويلة مع أولادها الكبار ولم يأتوا هنا إلا لإجازة قصيرة، فهما لا يستطيعان ترك أولادهما أكثر من هذا وحدهم

يُصر هذا اليوم على أن يفقده عقله، لو كانت ما تقوله المرأة ذو المنفضة صحيح، فكيف قال له عمها بأن جدائل تعيش معه منذ أن فقدت والديها، جمعت المرأة شتات أفكاره مناديةً باسمه، رفع رأسه تجاهها دون تركيز، فقالت تسأله بفضول:

- لماذا تطرق الباب، هل ضاع منك المفتاح؟!

أجابها بنفاذ صبر بعد أن أرسل زفرة طويلة ربما تعود إلى شقتها وترحمه:

- ولماذا يجب أن يكون معي مفتاح؟

بعفوية وتلووينة أخرى من منفضتها وكأنها توبخه:

- لأنها شقة زوجتك، ويجب أن يكون معك مفتاحاً احتياطياً، أهذا

أفضل أم تصديع رؤوسنا بطرقاتك على الباب؟!

شقتها وليست شقة عمها؟!، مفاجأة أخرى أدارت رأسه وجعلته يشك بكل شيء كان يعلمه من قبل، جعلته يشير إليها أن تتوقف قليلاً ويسألها محاولاً الفهم:



- هل أنت متأكدة بأنها شقة جدابيل وليست شقة عمها؟

زهرت بصيقل وعلا رنين هاتف منزلها فنظرت للداخل ثم التفت نحوه مجدداً وهي تخرج من صدرها مجموعة مفاتيح مجموعتين في سلسال من حيط الصوف، بأسنانها فكت عقدة الحيط وأخرجت منها مفتاحاً وحيداً وعادت تربط الحيط من جديد، مدت له يدها بالمفتاح وهي تقول على عجلة:

- زوجة عمها تركت لي نسخة من المفتاح لأي طارئ، تفضل خذ، أنا غير متفرغة لكل من هب ودب.

ألفت له المفتاح فتلقفه قبل أن يسقط وقبل أن يعود بنظرة المذهول إليها كانت قد عادت للداخل مُغلقة الباب في وجهه بنزق !.

ظل متجهماً مكانه للحظات، وأخيراً استطاع التحرك نحو الباب، أدار المفتاح وبسهولة كان داخل الشقة، لم يرى من تلك الشقة سابقاً سوى جزءاً من الردهة وغرفة الاستقبال التي دخلها أكثر من مرة بعد أن رأى جدابيل فيها لأول مرة، بتوجس دلف من غرفة إلى أخرى، رائحة الفراغ من حوله تخنق أفكاره وتشتتها أكثر، الآن هو في غرفة ضيقة بسرير خشبي صغير، ومكتب خشبي أصغر منه، خلفه مقعد له أرجل رفيعة للغاية خشبي أن يجلس فوقه فيحطمه، يده تعبت بلا هدف فوق سطح المكتب باحثاً عن شيء يدلّه في متاهته تلك التي دخلها بإرادته، أي إشارة لطريق العودة!، لفّت نظره دفتراً صغيراً مألوف لديه،



اسم ابنته جنى المدون عليه وفر عليه الكثير من محاولة تذكر أين شاهده من قبل، بمجرد أن أمسكه بين يديه تذكر كل شيء، إنه الدفتر الذى كتبت فيه هالة وصيتها له، وأخذته والدته من يومها ولم يره، هل حياته لدى جدائل؟!

قلب صفحاته بشرود حتى وقعت عينيه على الرسالة التى كتبتها هالة وتركتها لـ جنى و لجين، لم يقرأها تفصيليًا من قبل، فقط وقعت عيناه على بعض كلمات مكررة منها، بدأ يقرأها من البداية وحتى نهايتها حتى وقعت عيناه على جملة لم يكن ليلحظها فى ظروف أخرى "ولقد وصيت جدتكما أن تحتفظ بكل أشيائى لكما، لم أستثنِ إلا حجابى الرمادى، فهو لمعلمتكما رؤى التى ستصبح أمًا لكما بعد وفاتى، لقد خصصتها به لعدة أسباب، الأول لأننى أردت دعوتها بشكل غير مباشر لارتداء الحجاب، والثاني لأنه يليق جدًا بعينيها الرماديتين".!

\*\*\*

مال عادل باتجاه رؤى التى بجواره بداخل القطار يتأملها وهى تنظر من نافذته بشغف كبير، عندما فاجأها صباحًا بسفروه السريع تشبثت به وهى ترجوه أن يصحبها معه فهى لم تزر الاسكندرية من قبل، وبرغم برودة الجو إلا أنه لم يستطع رفض رجاء عيناها وإلحاح كلماتها، كل ما استطاعه هو أن يؤكد عليها بأنها ستكون وحدها فى الشقة التابعة للشركة طيلة النهار تقريبًا، فالمهمة فى الأصل مهمة عمل، وهى وافقت

بسعادة، ستجلس في الشرفة تُشاهد البحر وأمواجه العالية في هذا الفصل من السنة وستجمد أطرافها، ولكن لا يُهم، المهم أن تراه ولو من بعيد، رحبا والداه وبالأخص والدته باستضافة طفله حتى يعودان في الغد، وهما يجلس في المقعد المجاور تستمع بكل ما يمر بها من حقول وحيوانات حتى أعمدة الإنارة المطفئة !، همس بأذنها مُداعبًا:

- سعيدة يا زيتونة ؟

إلفت نحوه بنزق وهي تذكره بخفة في ذراعه:

- توقف عن منادائي بزيتونة، وإلا رميتك من القطار الآن

ضحك بخفوت وهو يرفع كفيه باستسلام، وببرة خاصة تُحبها قال:

- وهل ذنبي أن عينك سوداء سواد الليل يا زيتونة

أطرقت برأسها بخجل فوضع أنامله أسفل ذقنها ورفع رأسها مُتابعًا بعتاب وقد وجدها فرصة سانحة:

- ألن تقولي لحبيبك ماذا تُخبئين بقلبك

ألقت نظرة سريعة إليه فلاحظ غلالة من الدموع بدأت تتجمع بعينيها، مسح وجنتها بخنو ودفن كفها بداخل راحته الكبيرة وهو يربت عليه بمساندة و يحثها على الحديث قائلاً:

- تأكدي أن ما تداريه عنى لن يُغير من حيي لك شيئًا مهما كان



أدهمت عينهاها بسحب تنذر بحطول دمعها وتفضح شعورها بالذنب  
نجاهه وقالت بصوت خافت مُتقطع:

- هل تعدني؟

أوما برأسه بثقة مؤكدا لها صدقه، وصدرة يضج في انتظار تلك  
الحقيقة التي تخشى أن تبوح بها بقلّة صبر استطاع أن يُداريها حتى لا  
تتراجع، وهو يُتمتم بقوة:

- أعدك حبيبي

سمع تنهداتها الناعمة المضطربة قبل أن تميل برأسها نحو كتفه وتقول  
بحفوت:

- ولكن لا تُقاطعي أرجوك، هل تذكر اليوم الذي عدت فيه من  
عملك فوجدتني أرتعش وأبكي واختبات في حضنك؟، لقد كذبت  
عليك هذا اليوم عندما سألتني، أنا لم أفقد وعيي في المتجر كما  
قلت لك ولم أقض اليوم مع عاملاته، لقد، لقد كنت عند جدتي  
في منزلها

أنفض بعنف في مقعده وهو يستدير نحوها بجسده كله هاتفا دون  
وعى:

- ثانية يا رؤى؟، تذهبين دون أن تُخبريني!، وماذا حدث هناك،  
تكلمي

علا صوت نسيحها وهي تُجيب متألمة:

- كيف أحرك وانت ترفض أن أذهب هناك. جديني هي من ربي  
يا عادل ولا أستطيع تركها هكذا وقد بلغ بها المرض بالمر  
أصبحت مقعدة ولا تستطيع حتى تناول دوائها. وهي كل ما  
ترجود أن أجالسها وأطعمها. ألسينا بعض الحكايا

ضغط كفها الذي مازال يسكن راحته بضعف وهو يقول بعصبته  
التي اعتادتها منه عندما يغار بشدة:

- وهل تلوميني. ماذا لو صادف وجود ذاك الحيوان "حالك" هناك  
ماذا كان سيحدث حينها؟

وتخافها ذكرته قيمتها عندما عاد إلى بيته ووجدتها ترتجف فقال  
بعنف بعد إدراك متأخر:

- هل كان هناك ذاك اليوم، هل تعرض لك من جديد؟

إنه اهتزاز كشمها بوضوح وهي منظرها للأسفل نكم  
شهادتها براحتها الأخرى بأنها تمكي بشدة، ولا تستطيع التوقف، هو  
يعرفها. هي زوجته ويعلم كل خلجة بها. لا تنهار هكذا إلا إذا تعلق  
الأمر بذاك الحال الحقيق، الذي لم تمنعه صلة القرابة من أن يستغل وحدة  
ويتم ابنة أخته المتوفاة. ويحاول التحرش بها مرة بعد أخرى. إلا إنها  
كانت تدافع عن عفتها بضراوة. لا ينكر عادل في بداية ارتباطه بها أنه

كان متفاجئا بعض الشيء من موافقتها السريعة على الزواج ولكن تلك المفاجأة لا تعنى شيئا أمام ذهوله وهى تصارحه بذلك الحقيقة، وترجوه بأن يعجل بالزفاف، لتخرج من هذا البيت بأسرع وقت، فبالرغم من حبها لجدتها التى ربتها إلا أنها كل يوم تنام مرتعبة مما يمكن أن يحدث لها فى الغد. لذلك منعها بعد أصبحت فى بيته من زيارة جدتها وشدد على ذلك. الحالة التى تعانيها الآن تعنى بأنها قابلته فى ذلك اليوم. ترى ماذا فعل بها؟!

ترك كنفها وقبض على كتفها وهو يديرها نحوه قدر استطاعته. هاتفا من بين أسنانه:

- أقسم بأن أقتله. تكلمى يا رؤى ماذا حدث منه

ففت منها شهقة نارية ثم نائمة وأصابعه تتعرج دون أن يشعر بكنفها فتولها فقالت وهى تنالم:

- لقد قال لي بأننى الآن ليس لى لدى ما يمنعنى عن قبول عرضه بعد أن تزوجت. وحاول لمسى وأنا خفت، خفت بشدة يا عادل. كانت عيناه دموية مزرعة. لم أشعر بنفسى إلا وأنا أضربه على رأسه برجاجة الماء، فسقط أسفل قدمي فدرجا بدماءه، تصورت وقتها أننى قتله. ولكنه أصيب فقط.

أثمت عبارتها وقد فقدت القدرة على كتم شهقاتها فالتفت نحوها من مجلسون فى المقاعد المجاورة بفصول. ولكنه لم ينتبه إلا لها هى فقط. ترك

كفيتها وضمتها إلى صدره بقوة وهو يسه ويثو عنه بالفض. أعاد  
ملتهبة حارقة والعليان يعلو بصدره وأفكاراً شيطانية نوسوس له بالعودة  
إلى القاهرة وتزريق قلبه بيديه العاريتين. دفست رأسها بصدره بقوة وهي  
تحركها وتقول برفض. فبللة سترته بدموعها المبهدة على قلبه غرق.

- لا تفعل يا عادل أرجوك. لا تجعله بأحذك مني. أنت كل ما نفي  
في الدنيا. أرجوك سامحي أنني ذهبت دون علمك لم أكن أعلم  
بأنه يتواجد في تلك الساعة. جدي مريضة وأنا لا أريد إعصاك  
فماذا أفعل؟

سكت لدقائق طويلة وتركها تفرغ كل دموعها على صدره وعندما  
هدأت قال بصوت عبق جداً. وكالة أب من عبق نر سحيق.

- أسمعك حبيبي. جدتك سأقلها إلى بيما لنقومي برعايتها كما  
لنحي. أما ذلك الحقير قل بثلث من يدي.

رفعت رأسها إليه والامسك بقفاها بعينها المتورمتين من اليكاه.  
استطاع رسم ابتسامة واسعة على شفاهه لطالها ولكنها وحدها تطرق  
مرة أخرى برأسها قبل أن تجلد نفسها قائلة.

- ولكن. أنا لا أستحق ما تفعله معي. لقد خدعتك!

أمسك وجهها ورفع له لنظر إليه. وهو يشعر بأنه لم يسمعها جيداً:

- ماذا؟

اعادت رأسها إلى صدره تحتمى منه به، وهي تقول مُعترفة لجمل غير  
مُترابطة:

- صدقني أنا لم أكن أقصد، لم أنو خداعك، كنت فقط أريد ترك  
بيت جدتي، كنت أخشى على نفسي لذلك سكنت، اليوم الذي  
رايتني فيه للمرة الأولى في دار الروضة التي أعمل بها وفاتحتني في  
الزواج، أنا علمت بعدها بأنك لم تكن تقصدني أنا، كنت تقصد  
رؤى أخرى، غيري !!

\*\*\*

## النهاية

بدت غير شاردة جدًا وهي تجمع متعلقاتها من فوق سطح مكتب  
بداخل المركز الطبي وقد انتهى وقت عملها في انتظار حضور روبي  
الدكتور بلال لتحدث معه فيما حدث اليوم صباحًا. عندما شاهدت  
ياسين يجده المكنز وقامت القصيرة يقف أمام جهاز التعقيم تغير  
أدوات الخجامة ويعتمها وهو يتحدث إلى نفسه بصوت مسموع كس  
يحاول حل شفرة ما. وعندما سأله عما به وهي تتصور بأنها مشكلة  
جديدة مع زوجته. فاجأها بالقصة التي انتشرت باخي عما دار في شقة  
هشام والنصاب الذي كاد أن يودي بحياة والدته وزوجته. والكلام الذي  
تناقلته جاراتها فيما بينهن عن الحالة التي أصحبت عليها زوجته فذ أن  
عادت من المشفى بالإضافة إلى مغادرتها قبيل شروق اليوم في حالة يرثى  
لها. زمت شفتيها باستياء وهي تلقى باللوم على والدته هشام التي نقلت  
كل ما يحدث في بيت ولدها إلى تلك المدعوة عنبر. من المؤكد أنها  
بتلك المعلومات التي قامت بتعريضها إلى ذلك النصاب عبدالفتاح  
ساعدته على إتهامهم بما يريد بسهولة لتحقيق مآربه. ولكن شعورها  
بالشفقة على المرأة العجوز غلب عليها في النهاية وهماي تُفكر في



زيارتها بالمشفى فلربما كانت تحتاج إلى مساعدة في تلك الظروف الصعبة  
التي يعرفون من نفسها

ذلات طرقات تعرفهم جيدا جعل وعنها يظن من حميد فوق  
سطح أفكارها. راقبت دخوله خجرتها بتحية منقطة بالسمامة لوجه  
عنها فما وحدها. تلك الابتسامة التي التفتت من عصبه إلى نصيبه  
فلست سريعا أظافر ظلال مشاعر سليمة نجوم حول قلبها. كغشاء  
العريضان احملنا مجال رؤيتها. مما نجر نظراتنا ان نخط على خبثه المهددة  
بعناية. رنا نحوها وهو يعدل من وضع نظاره الطبية الأنيفة فوق حبيبه  
بحركة اعتيادية وهو يقول:

- لا داعي لكل هذا الإعجاب في عينيك. فانا رجل متزوج.  
للأسف!

لقد سنوات وهو يستطيع استئالة ضحكاتها رغما عنها. قدومه  
تخفيها الجلدية فتلقفها في الهواء وهو يشرب منها بجرح ويرفع غطاء  
وجهها فقبلاً جهتها فدفعته لدعابة استياء كاذب من اقترابه الذي لم  
يلق بالمسافات بينهما يوماً. هاتفة بغيظ غريب:

- تحسن حفظك أنني لست في مزاج جيد هذا اليوم

لم يندهش كثيراً، فهو يعلم أنها بحكم عملها واختلاطها بأنواع مختلفة  
من صنف النساء من الممكن جداً أن يتعكر صفوها أو تفقد القدرة  
على الصبر آخر يومها. هو أيضاً بحكم عمله يحدث معه ذلك وأكثر

ولكنه يشدق كل هذا عند قديمها في تلك الدقائق القليلة التي يلفظ فيها بعد عودته من المنفى وبداية عمله في مركز العلاج الطبيعي خاصته. جلس على المقعد المقابل لمكثها وهو يطلع نظاره عن عهه مذلجا أعلى أنه وهو يقول بساطة:

- الأمر يعود إليك حسبي، لو العمل هنا يرهقك فلا داعي منه وتفرغ للأولاد فقط

ثم انفتحت نحوها متذكرا أنه لم يسأل عن أطفالهما:

- على ذكر الأولاد، أين هما الآن يا نرى

جلست بدورها على مقعدها الخلفي خلف مكثها، وتفرغ بعومة قائلة:

- أختي عزة هنا في احدة ولقد أصبحت على اصطحاب الأولاد من المروضة إلى بيتها اليوم، ومن المفترض أن الحظ قسم عندها الآن، ولكن حدث أمر غير وجهتي.

أوما برأى بالهيام بحثها على التحدث شدات نسرد عليه ما أخبرها به ياسين في الصباح، ورعيتها في زيارة أم هشام في المنفى وقد ساءت حالتها كما علمت، فهي كل الأحوال المرأة كانت تعرض على زيارتها بشكل دائم وتتودد إليها وقد أحبتها للعابة رغم عدم رضاها عن بعض من تصرفاتها مع زوجة ولديها الراحلة

تعدده يذكر قليلاً قبل أن يحسها عن امر كهذا. وكعادتها تنظر  
 فرز الذي لم يكن يوماً صمد وحسبها إلا نادراً. وأخيراً تأمر لها القصر،  
 واحصر ليعز إلى موافقه بسلام ولكنه اشترط أن يصطحبها بنفسه إلى  
 هناك حتى يقطن عليها. فقص من مجلسه وهو ينسج لها بأن لنسجل  
 عندها وحدها فحذراً. خرج من العرفة متوجهاً نحو عرفة الكشف الخاصة  
 به. فوجد ياسين يهيم بها وترتيبها قبل بداية العمل. وطلب منه تأجيل  
 مواعيد المرضى إلى ما بعد صلاة العشاء ليكون لديه متسع من الوقت  
 وهو يصطحب زوجته إلى زيارة أم هشام. أعلى الامتنان في عيني ياسين  
 عن نفسه بوصف وهو يهتف شاكرًا له بحساس وتقدير



جلست والدته هشام على فراشها الأبيض وقد ارتدت جميع  
 ملابسها مستعدة للخروج من المستشفى، وأمامها حقيبتها الزرقاء الكبيرة  
 التي جبرت فيها أغراضها مسطرة محي. عادل. فهي تعلم بسفر هشام  
 مقر الشركة وبأن عادل هو من سيصطحبها إلى المنزل. عندما أخبرتها  
 الممرضة بأن ولدها حضر باكراً جداً ظلت بأنه كان يريد الاطمئنان  
 عليها قبل سفره. وهامى الساعات ثم وجدائل أيضاً لم تأت .

ضربت الأرض الملساء بعصاها وهي تزفر متسلمة بجلستها. وهي  
 تستعد للهبوط بنزف. سخرج وحدها وتعود للمنزل وستضربهم جميعاً  
 بالعصاة على رؤوسهم حتى قتلها. طرقات خفيفة جعلتها تكافح

تقدم افكارها العيفة بالتراجع، قتل وجهها فجأة وهي ترى غير ذلك  
من الباب يخرج بالغ وأعجبها بخفوت، عرفتها بالرغم من غطاء وجهها أو  
كما تقول لها دائماً - أستطيع تمييزك من بين مئات المنتقيات

أخبرتها غير بأن ياسين قص عليها ما حدث لذلك أنت لزيارتها وأن  
زوجها بلال ينتظر في الخارج، أصرت المرأة على دخول بلال وقد هاد  
وجوده بالخارج كالمطرود، تركت غير وخرجت إليه وهي تقسم عليه أن  
يدخل ويجلس معهما بالداخل، كان متخرجاً بشدة ولكنه لم يستطع  
مقاومتها وخصيصاً وهي مقدمة على جذبه من ذراعه، فاختار الدخول  
بكرامته أفضل !

كل ما قالته لها غير كانت تعرفه لذلك لم تعلق إلا بمصصة شفاها  
وهي تتحسر على ذكاتها الضائع ولكن جملة غير الأخيرة والتي نقلتها  
عن ياسين عن خروج جدائل بتلك الهيئة ثم تبعها هشام بحينة لا تقل  
عنها تشعناً هو ما أثار ربيتها وشرودها من غرابة ما تسمع .

فُتح باب الحجرة دون استئذان، وبلا وعي حاضِر دلف هشام بحمل  
دفتر ابنته جنى بيده، وبالرغم من سقوط نظراته على بلال وغير ولكن  
إدراكه سقط على والدته فقط وهو يمد لها الدفتر بيديه مؤشراً بأنامله  
على العبارة التي جعلته يدور حول نفسه منذ أن قرأها في شقة جدائل  
قائلاً بصوت مشحون:

- فقدت قدرتي على الفهم، أفهميني أمي، جميعكم خدعتموني  
أليس كذلك؟!

زفرت والدته بعدم رضا وهي تنهض واقفة مُنحنية الظهر قليلاً وهي  
تُجيبه زاجرة:

- أنت السبب، رأسك كان كالحجر، رفضت رؤى دون سبب لمجرد  
أنها كانت تعمل وكأنها وصمة عار بالرغم من أنني أكدت عليها  
بأنها لن تعود للعمل مُجدداً، اخترت راحتك على مصلحة بناتك،  
وتناسيت أن اختيار رؤى من الأساس كان لأنها الأقرب إليهما  
وتعرف كيف تتعامل مع حالتهما، ولكنك فكرت في راحة بالك  
فقط.

أنحنى بلال نحو عبير الجالسة بجوار الفراش تشعُر ببلاهة مما تسمع  
من الحوار الدائر وهمس لها ليرحلا، فالموضوع المثار عائلي للغاية، بمجرد  
أن نُحضت عبير وهي تستأذن للمغادرة، قبضت المرأة على ذراعها قائلة  
بعصبية زائدة:

- انتظري يا دكتورة عبير سأرحل معكما لا أريد البقاء مع هذا  
المعتوه

عاد إدراك هشام يعمل من جديد على بقية مساحة الحجرة دون  
والدته والتفت بحدة لم يقصدها نحو عبير وقد كانت بالنسبة له كسفينة



إنقاذ أخته وهو يصارع أمواج بحر يوشك على الهلاك فيه، وهتف وهو يقترب منها خطوة واسعة:

- أنت الدكتورة عبير؟، كيف لم أفكر بك من قبل وأنا أبحث عنها في كل مكان، أين أجد زوجتي الآن أخبريني؟

تلك الخطوة كانت كفيفة بأن تجعلها مأسورة خلف جسد زوجها الذى وقف أمامها مباشرة واضعاً يده على كتف هشام بخشونة ولسانه ينطق بشراسة أقل حسيماً من التى انطلقت شرارتها من عينيه:

- اقترب خطوة أخرى وستندم صدقنى !

رفع هشام نظره بدهشة نحو بلال وكأنه لم يلاحظه إلا الآن، بينما تدخلت المرأة بينهما وهى تسحب ولدها بعيداً عن يد بلال، فالوضع لن يكون متكافئاً أبداً، بالإضافة إلى ضيق صدرها الذى شعرت به وقد فاض بها الكيل مما يمجج به، يكفى مُداراةً وصمتاً وليفعل ما يفعله لقد تعبت، أبعدته الخطوة التى اقتربها وهتفت غير مبالية بوجود آخرين معهما:

- الدكتورة عبير لا تعلم شيئاً عن جدائل، ألا زلت أعمى البصيرة حتى الآن؟، أنا بالفعل طلبت منها أن تُرشح لي عروساً لك ولكنها لم تجد من توافق على ظروفك العائلية، وبما أنك لم ترَ رؤى حتى، وركبت رأسك ورفضتها دون أن تعلم حتى اسمها اضطرتت

أن أسألك وأخبرتك أن هناك عروسًا أخرى من طرف الدكتور  
غير .

غرز هشام أصابعه المرتعشة بين خصلات شعره بقوة ثم يحرك رأسه  
يمينًا ويسارًا كأبله لا يفهم ما يُقال له بوضوح، ولكن كيف؟ فتح الدفتر  
مرة أخرى ونظر لسطوره وهو يهذي بالعبارات الغير مترابطة التي تطحن  
عقله بلا هوادة:

- أمي، هالة تقول في وصيتها للفتاتين أن رؤى مُعلمتهما غير مُحجبة  
لذلك أهدمتها وشاحها الرمادي لأنه نفس لون عينيها، ورؤى زوجة  
عادل هي نفسها مُعلمة البنات ولقد كانت غير مُحجبة بالفعل  
ولكن عينيها سوداء، أنا رأيتها بنفسى عندما ذهب عادل ليراها  
في الروضة، وجدائل زوجتى عينيها رمادية ومستديمة على ارتداء  
حجابها الرمادي، سأجن بالتأكيد !

زفرت والدته بضيق ولكن الحدة خُفَّت في نبراتها وهي تربت على  
كتفه بتفهم:

- رؤى زوجة عادل ليست هي رؤى نفسها التي أوصت لها هالة  
بوشاحها، هي زميلتها وقد كانت تعمل معها بالروضة، حدث  
خلط بينهما عندما ذهب عادل ليراها، ولو توقفت عن مناداة  
زوجتك بجدائل لحل الموضوع من تلقاء نفسه .

وكأنها ضغطت قابسا أحمر كبيراً في عقله، أضاء بضوء الإدراك  
 المتأخر دافعا إجابات منطقية لكل أسئلته بتلايف عقله بقوة وسرعة  
 وليدة. عندما استقبله عنها وقتما ذهب لرؤيتها، حدثه عن مدى  
 ارتباطها بوالدها رحمه الله. ومدى تدليلها حتى أنه أطلق عليها اسم  
 جدائل كتدليل لها. جدائل اسم جدتها من أبيها وكان ذلك سببا لكي  
 يجعل والدتها ترفض أن تكتبه في شهادة ميلادها. وأصررت أن يسجلها  
 باسم رؤى!. ومنذ ذلك الحين والجميع يناديها بـ جدائل إلا والدتها  
 وبعض من زميلاتها. لذلك أحب هو أن يناديها بد ليُشعرها بالألفة تجاهه  
 منذ اللحظة الأولى حتى نسي أو تناسى اسمها المسجل بالأوراق "رؤى".  
 لم ينتبه إلى تلك الحقيقة في البداية. اعتبره مجرد تشابه لا أهمية له.  
 ولم يكن له أهمية وقد تزوجها صديقه وانتهى أمرها بالنسبة له!. والدته  
 خدعته بمكر. ولكنها ليست وحدها !

رفع عينيه إلى والدته والغضب يُعده مشنيد وسوادها بخطوط لا تقل  
 سوادا عن لونها وهو يهمس من بين أسنانه :

- وبالتأكيد زوجتي الفاضلة وعصيا المذهب وافقا على تلك الخطوة.  
 كنتم تضحكون فيما بينكم على الأحق الذي صدقكم جميعا

أزاحت يدها من فوق كتفه سريعا وكان لمسته تحرقها واستندت  
 بظهرها بإرهاق بدا على وجهها وجعل جسد عير يتحفز تلقائيا



استعدادًا للسقوط الذي سيحدث بين لحظة وأخرى ولكنها وجدت المرأة تستعيد بعض من قوتها بعد أن تنفست بعمق ثم قالت له:

- يا بني افهم، جدابيل زوجتك..

قاطعتها ضحكته العصبية الساخرة وهو يهتف :

- تعين رؤى زوجتى، أليس كذلك!

عادت تنفس عيقًا من جديد فستعينة بعصاها تلقي ثقل جذعها عليها قبل أن ترد بجذوة لا يتناسب مع الضيق الذى يعترى دواخلها:

- نعم رؤى زوجتك، كانت وحيدة جدا يا ولدى بعد أن فقدت

والدتها أيضا، وعصيا وزوجها حياثا مستقرة خارج مصر، رؤى

زوجتك هى من هاتفتك وهى تسكى راحية إباد أن يأتى ولو لزيارة

قصيرة لمساعدتها على نقل والدتها إلى الشقة الجديدة التى أجبرتها

إحدى حاراتها على الانتقال إليها وقد ستموا صراخ أمها كل ليلة.

لذلك ترك عصيا وزوجها أولادهم هناك وجاءوا إليها ولكن

للأسف بعد انتقالهم بيوم واحد هربت والدتها عائدة إلى شقتها

القديمة وهناك ماتت مخترقة أعادنا الله. كانت الفتاة ضائعة تماما

وبالأخص وهى تعلم بأن عصيا وزوجها سيعودان مرة أخرى بعد

فترة قصيرة وستصير وحدها تماما. أنت وبناتك كنتم آخر أمل لها

في الحياة فإذا كنت تريدنى أن أفعل، أتركها وقد وصتنى عليها

هالة رحمها الله.

دون أن يرى وجهها شدد مُسانداً على كنفها بعد أن أحاط  
بذراعه. كان يعلم أنها تبكي في هذه اللحظة نائلاً بما تقوله المرأة من  
حكايا عن تلك الرؤى. كم من أبواب مُعلقة يحصل خلفها ما لا يمكن  
تصديقه. منه ما ينسل من أسفل بابها، ومنه ما يُحكى على العُلم. ومنه  
ما يُوسر بقلوب شوج به وحدها، قلوب رأت كل شيء. حتى مات فيها  
كل شيء. تلاطم الحديث العاصف أجبر بلالاً على الخروج من تأملاته  
وهو يسمع هشام يهتف بدهشة:

- معنى هذا أنها هي من كانت تكتب وترسل تلك الرسائل إلى  
الجملة. ولكن كيف لها بتلك الأسرار. هل هالة تزورها بالفعل، هل  
أجبرتها، هل اختطفتها كما توعدتني. هل هي في خطر الآن؟ ماذا  
يحدث لي. كلما حللت عقدة تُسرّع إلي حياتي أختها؟!

أخى كلماته وهو مُمسك برأسه. يشعر به على حافة الإنهيار. لم  
تستطع والدته كتم فضولها. سأله بتربخ خوفاً من انفجاره عن تلك  
الرسائل التي يتحدث عنها. ترك جسده ينزلق كورقة في مهب الريح إلى  
الأرض الباردة مُسنداً بظهره إلى الباب المُغلق. الغليان الذي تضج به  
عروقه جعله لا يشعر بتلك البرودة القارصة التي بدأت تلف الحجرة  
أكثر فأكثر كلما غربت الشمس وهو يقص عليها ما أراد أن يُخفيه من  
قبل. وكلما توغل بين غابات حكاياته كلما تملل بلال في وقفته وهو  
ينظر عبر وكأنه يسألها النصيحة. الأمر بات مُخرجاً بالنسبة لهما كثيراً،

هشام يقول أشياء تُسود فيها صفحات كتابه ١. لولا استناد هشام وهو في تلك الحالة لباب الخجرة لسحب زوجته وخرج منها دون أن يلتفت لرفض المرأة وتشبهها به غير. هذا الزوج المُعذب يُثير عجبك لا إعجابه. لو كان ذو فطنة ولو قليلاً لما كابد كل تلك المعاناة !

اتبه في تلك اللحظة على صوت زوجته المُشبع بالبكاء وهي تسأل تلقى على رؤى ويخفاء موجه نحو هشام وحده. وكأنها تعرف رؤى منذ سنوات غابرة وتناجح عن قضيتها:

- هل سنجلس هكذا نضيع في الوقت بأحاديث ليست ذات أهمية. ولا نعلم مصير الانسانة المختفية منذ الصباح وحتى الآن؟  
قنمت والدة هشام وكأنها لا تعلم أنها دروسها:

- كنت على حق عندما قلت أن روحها تسكن الشقة!

تسعت عيناها شيئاً فشيئاً وهي تتابع بصدمة:

- معقول. هل من الممكن أن تكون أخذتها معها تحت الأرض!!

شهقت بصوت مسيوع عندما علت طرقات عصبية على باب الخجرة. تحرك بلال فسرعا وهو يساعد هشام على نخوض مُمسكاً أياد من كتفيه. فتح الباب ودلفت الممرضة على عجلة من أمرها تسألهم للرحيل. فينالك حالة أخرى تنتظر.

\*\*\*

سرت بعض المهمات في المقعد الخلفي للسيارة بين عمير ووالدة هشام. بينما ولدها يجلس صامتا بجوار بلال بداخل سيارته. اضطر للموافقة وقد ألح بلال على أن يقلعهما بسيارته إلى المنزل. الآن وقد استوت الأمور برأسه أكثر من ذي قبل وبدأ يهدأ ويفكر بعقلانية منطقية على نفسه يستند برأسه إلى زجاج النافذة المغلقة بجواره. لا مفر أمامه من استكمال البحث عنها. بل لا مفر من العنوان التي أعطته والدته إياه وهي تقول له بعقوبة:

- هذا عنوان الشقة رؤى القديمة التي صجرتك بعد أن احترقت فيها والدتها.

عنوان أثار بعض مخاوفه. ذكره به أفراد من حلال يريد بين الناس. وهي تتحدث عن الشقة وعن يسكنها من أصاح من كانوا يسكنوها يوما وهم أحياء. والدتها. والدها. هالة التي تعدهما بالشر. وسؤال حول رؤى يخشى الإجابة عنه منذ أن استقل السيارة. ترى هل مازالت حية؟.

بدأت قطرات الأمطار القليلة ثقيل زجاج السيارة الأمامي وهو يراقبها وكأنه يخلصها. أخرجه صوت بلال الهادئ من حساباته عندما سمعه يتسائل:

- علمت بأنك حررت محضرا لذلك النصاب عبد الفتاح، فهل هناك جديد؟

تنجح هشام لبجلى حنجرته صارفاً أفكاره بعيداً قليلاً عن عقله  
الآن :

- المحامى أبلغنى بأن الرجل حُرر ضده محاضر كثيرة من قبل وجاري  
البحث عنه، حتى عنبر التى لم تظهر سوى بعد أن علمت أن  
والدتى بخير، عندما قبضوا عليها لم تستطع أن تدلم على مكان  
سكن مُحدد له ولا زالوا يحتجزونها لديهم حتى الآن.

أوما بلال برأسه، وهو يُحاول فتح أحاديث جانبية مع هشام حتى  
يصلوا إلى منزله، لقد استطاع أن يقرأ عينيه ونظراته المضطربة ووالدته  
تمنحه عنوان الشقة المهجورة وتحدثه عنها، لذلك أراد صرف أفكاره  
لبعض الوقت ليتمالك جأشه ولو قليلاً، ليستطيع المواجهة، لا مواجهة  
الموقف، بل مواجهة مخاوفه!، فالمخاوف لا قيمة لها دون أن تؤمن بها،  
ونُصدقها !.

- ياسين جارك فى نفس البناية، أليس كذلك؟

- نعم

ابتسم بلال وهو يُدير عجلة القيادة قائلاً بثقة:

- هذا يؤكد لي أن المحامى الذى نتحدث عنه هو فارس سيف الدين

التفت هشام نحوه بابتسامة صغيرة متسائلاً:

- كيف عرفت؟

ضحك بلال بخفة وهو يُجيب ببساطة:

- ياسين يُحب فارس جدًا ويجمع له الزبائن من كل مكان

ابتسامة ضائعة ارتسمت على شفتيه وقد بدا الاهتمام يظهر على  
نبرات صوته:

- هل تعرف الأستاذ فارس؟

ظهرت التسلية على ملامح بلال وهو يقول بخداس:

- صديقي منذ سنوات. منذ أن كان مضطربًا على مواجهة الشياطين  
هو أيضًا. ولكنها كانت شياطين الإنس. وصديقي هؤلاء من يستحقون  
خوفك بحق، سأحكى لك قصته فيما بعد. بعد أن تنتهي من أشباحك  
الخاصة.

ألقى كلماته وهو ينظر في المرآة أمامه تبادل غير النظرات بابتسامة  
وهو

في هذه اللحظة كانت والدته هشام تمد يدها واضعة إياها على كتف  
ولدها من الخلف وهي الأعراف بحالة في تلك اللحظة قائلة:

- سأذهب معك إلى هناك لا تقلق

---

\*\* شخصيات فارس وبلال وغيرهم من أبطال رواية سابقة بعنوان - مع وقف التنفيذ -

حرك هشام رأسه نفيًا وقبل أن يجيب سمع بلال يتدخل قائلاً بحسم:  
- لا يا خالة، سأقلبك أنت وزوجتي لبيتك وسأذهب أنا مع هشام  
ثم وجه حديثه إلى عبير مُذكرًا أياها:

- حبيبتى، لا تنسى أن تهاثفى أختك لتطمئنى على الأولاد وتعلميها  
أين أنت

أدار هشام رأسه نحوه بنظرات مُستنكرة، هل يقول لها حبيبتى أمام  
الناس؟، هكذا ببساطة وكأنه يناديها باسمها !.

أوقف بلال السيارة أمام البناية ولا زالت قطرات المطر الخفيفة  
تداعب وجهه عندما ترجل هشام من السيارة صاحبها فى تلك اللحظة  
صوت آذان المغرب يصدح من المسجد القريب، دار حول السيارة من  
الأمام ليوافقه بلال الذى ترجل هو الآخر مُوصداً بإيها خلفه، مُستنداً  
إليه وهو يُراقب خطوات زوجته إلى أن اختفت داخل البناية ثم استدار  
تجاه هشام واضعاً يده على كتفه وهو يقول بأريحية وكأنه صديق قديم:

- نُصلى المغرب ثم ننتقل إلى هناك، سنجدها إن شاء الله، لا  
تقلق؟

أوما هشام موافقاً وهو يشعر بالألفة معه، بينما كان قلبه يُعاتبه  
مُتسائلاً عن آخر مرة دخل فيها المسجد مُصلياً؟!



عندما انتهت الصلاة وخرجنا من المسجد ركضنا إلى السيارة وقد بدأ المطر بارسال زخاته إلى الأرض مُعلنًا عن انتهاء وقت الدعاة بريق يصحبه رعد شق السماء المظلمة، كظلمة مخاوفه التي لم تنطفئ نجومها بل تومض بقوة اعتقاده بها.

الشارع المظلم الذي ولجته السيارة بمساعدة مصابيحها والذي لم يكن خاليًا تمامًا من المارة، لازال البعض يدخلون إلى البنايات فيه جريًا تجنبًا للمطر والبرك التي صنعت لنفسها زوايا حيوية منه كفخاخ للبشر.

أوقف بلال السيارة جانبًا ببطء وحذر إلى جانب السيارات المرصوفة والمغطاة منها إلى جانب البناية المقصودة تمامًا، ترجلا من السيارة سريعًا قاصدين مدخلها مباشرة قبل أن تبتل ملابسهما بالكامل، الأضواء القادمة من الطابق التالى هي التي كانت تمد غالبية الطابق الأرضي حيث شقة رؤى بالإضاءة، فالمصباح الخاص به مُغطى بالغبار وإضاءته ضعيفة للغاية، رعشة صدمت أوصاله عندما وقعت نظراته على الشقة المنزوية خلف السلم قليلًا حيث ظلال الأضواء تقع على جزء منها صانعةً ظلالاً خادعة للنظر، رائحة الفلفل الحارق مخلوطًا بروائح أخرى مُغلقة بالغبار تصل إلى أنفهما بشكل مُزعج، تحولت نظرات هشام إلى بلال الذي يقف بجواره يتأمل المشهد بتفاصيله وقال بضياء وكأنه تذكر للنو أن لكل شقة مفتاحًا يخصها:

- كيف سندخل ؟



مط بلال شففيه وهو يضع يديه في خاصرته متسائلاً وهو يقيم  
الباب بنظره:

- ما رأيك، نكسره؟!

بعد ما يقرب من نصف ساعة كان هشام يُمسك بمفتاح الشقة بين  
أصابعه المُرْتَعِشَة وهو يقترب بخذر من الباب مُتَحَلِّياً بشجاعة ظاهرية،  
بينما بلال بجانبه يسانده بنظراته ويومئ له برأسه، ومن خلفهما يبضع  
خطوات تقف فتحية صاحبة البناية وبجوارها زوجها بعد أن كانت  
رافضة أن تمنحهما المفتاح خوفاً من خروج اللعنة إلى بقية الطوابق  
وطوال الدقائق الماضية وهما يتجادلان معها في محاولة إقناعها ولكن  
لا جدوى، لولا تدخل زوجها الذي قلق بالفعل على رؤى بعدما علم  
بأنها غائبة منذ الصباح وزوجها يبحث عنها، وهما هو وبعد معاناة معها  
يقف بصحبتهما خلفهما في انتظار النتيجة .

دفع هشام الباب بحرص ففتحه على مصراعيه أثناء ما كان بلال  
يهمس له بتخرج وهو يفكر بأنها لو كانت بالداخل فبالأكيد ستكون  
مُتَكَشِّفة ولو قليلاً:

- هل تريد أن تدخل أنت أولاً؟

ابتلع هشام غُصَّة بحلقه الجاف وعيناه تحاول اختراق الظلام  
بالداخل، في محاولة ضعيفة للإجابة ولكنه لم يستطع نطق كلمة واحدة  
عندما تسلل إلى سمعه همهمات آتية من الداخل، وفجأة ودون

مقدمات، دوت صرخة جعلت فتحية تقفز بين ذراعي زوجها الذي تمتم  
بالاستعاذة على الفور وهو يتراجع بها خطوة للخلف كرد فعل غريزي،  
أما هشام فلقد انزلت حرفيًا كُتلة من الثلج من أعلى ظهره وحتى نهايته  
وصولاً لقدميه، والبسمة لا تفارق شفتيه، إلا أن خارجه كان صامداً  
كرجل أمامهم دون أن يسمح لقدميه بخذلانه، عندما شاهد بلال يتخذ  
خطوات ثابتة للداخل تبعه دون تفكير، يدها تتحسس الجدار بترقب في  
انتظار شيء ما سيقبض عليه في أية لحظة، فجأة أضيء مصباح الردهة  
فالتفت ليجد بلال يرفع يده من فوق زر الإضاءة خلف باب الشقة  
مباشرة ثم قال بخفوت:

- إعتياد أعمال الكهرباء تنفُج أحياناً

زفر براحة وهو يدور ببصره بين أركان الشقة وزكام الأتربة الذي علا  
كل شبرٍ منها يُخلخل ظنونه بوجودها هنا من الأساس، في الاتجاه الآخر  
غرفة مُحترق جزء من بابها ومتهالك للغاية، عندما نظر بداخلها، حيث  
الجدران المحترقة السوداء، شعر بأنه داخل غرفة خُصصت لتحضير  
الأرواح كما كان يُشاهد في بعض الأفلام القديمة، لم يدرك أن لسانه  
يُتمتم بما يدور بذهنه في تلك اللحظة إلى عندما سمع بلال يقول مُعقبًا:

- الأرواح التي يقبضها ملك الموت عند انتهاء أجل أصحابها  
تذهب إلى عالم البرزخ، ولايستطيع أحد إحضارها من هناك



رفع هشام عينيه إليه بصمت يلاحقه إهتزاز مُقلتيه، فتهد بلال  
بعمق وهو يُجادل بنظراته عيني هشام المُتشككتين، أصنام الجاهلية  
هُدِمت بقلوب من كفروا بها قبل سواعدهم، فهل تقدر قلوبنا اليوم على  
كسر أصنامنا الخاصة؟!

حاد هشام بنظره بعيدًا نحو الممر المؤدى لغرف النوم، لم ينتظر هذه  
المرّة نظرة تشجيعية من بلال، رجولته أبت ذلك، وفكر كما فكر بلال  
من قبل باحتمالية وجودها بالداخل مُتكشفة، إن كانت موجودة من  
الأساس، مرت عيناه سريعًا على الغرفة الأولى، فارغة سوى من أثائها  
فقط، لفت انتباهه خف منزلي موضوع بعناية فوق الأرضية المُتغيرة  
أسفل الفراش في انتظار قدمي صاحبه، سرت قشعريرة في جسده  
واستكمل ازدراد ريقه وهو يستكمل سيرة للغرفة الأخيرة، كانت مُغلقة،  
وقبل أن يمد يده ليتناول مقبضها ويعتصره ألقى نظرة للخلف، وشعوره  
بتلك الإنقضاضة الخلفية يلازمه دومًا في كل حركة يقوم بها، دفع الباب  
فجأة وهو يقف على عتبته كما فعل مع باب الشقة ونظرة واحدة إلى  
الداخل جعلته يهتف بلوعة وهو يراها مُلقة على الأرض شاحبة الوجه:

- جد ايل !

\*\*\*

انحنت عبير وهي تُطعم الفتاتين وتُداعبهما بينما والدته هشام تجلس  
أمامها وتناظرها بامتنان شديد، منذ يومين وهي لاتفارقها إلا لساعات

قليلة، طلبت من ياسين تأجيل جميع مواعيدها في المركز الصحى، وتظل معها هي وأولادهما في بيتها من بعد الظهر وحتى يأتى زوجها ليلاً ليقلها وأولادهما إلى المنزل، زوجها الذى لم يترك هشام منذ أن وجدا رؤى في شقة عائلتها القديمة مُلقاة أرضاً شاحبة كالأموات، وفي المشفى ازدادت حيرتهما عندما قال الطبيب:

- صحتها جيدة، مجرد هبوط لا أكثر إلا أنها لا تريد التحدث مع أحد !

وعندما دخل هشام إليها في حجرتهما بالمشفى لم تنظر له وظلت عينيها معلقتين في الفراغ، وحين أمسكها من كتفيها ارتعشت ونفضت يديه بقسوة وكأنه أخرجها من مكان تحبه عنوة، ولما ناداها باسمها المحبب:

- جدايل

ظهرت على وجهها ابتسامة لا حياة فيها، ابتسامة تشفى، وتجمدت نظراتها بجفاء داخل عينية وهى تُحرك شفتيها الباهتتين وتهمس بنبرة خافتة شرسة :

- جديلتك هذه تركتها ل هالة كما تركت أُمى للنار

لم يملك بعدها إلا أن ينصاع لنصيحة بلال عندما قال له:

- زوجتك تحتاج إلى مصحة نفسية، أنا أعرف طبيًا نفسيًا جيدًا  
يعمل في واحدة

وتم نقلها إلى المصحة ومن يومها وحتى الآن وهي تخضع لجلسات  
نفسية لتحديد نوعية مرضها المجهول هذا. ولقد كان من المستحيل  
تقديم هويته دون أن يعرفوا ما حدث لها بالوسط وهل لها تاريخ مرضي  
أو لا ؟. كانت الخيوط مبعثرة، ومهمة الطبيب في جمعها كانت صعبة  
للقاية. منحته والدته رقم هاتف عمها في الخارج وعندما علم بخالتها  
وعدهم بالحضور السريع قدر ما يستطيع .

رفعت والدته هشام رأسها التي كانت تستند بها على رأس عصاها  
وهي تقول موجهة حديثها نحو غير مقاطعة حديثها الذي كان من طرف  
واحد مع الطفلتين:

- لا أعرف كيف أشكرك انت وزوجك يا ابنتي على كل ما فعلتموه  
معنا

أرسلت غير تهيدة باعثة وهي تلتفت نحو والدته هشام وتُجيب  
وكأنها لم تسمع شكرها الذي تكرر كثيرا على سمعها منذ أن حضرت  
صباح اليوم:

- خالتي، جني و لجين تحتاجان إلى بيئة مختلفة، أشعر أنهما منظومتان  
أكثر من اللازم. هما في حاجة للاختلاط أكثر بأطفال. الروضة  
مهمة بالطبع ولكنها لا تكفي.



زمت المرأة شفيتها وهي تناوه بيأس قائلة:

- النصيب يابنى ماذا نفعل، ليس لدينا فى أسرتنا أطفال فى عمرهما، أبناء عممتها الوحيدة كبار، وكذلك أبناء أخواتها، بالإضافة إلى أن العلاقات لم تكن تسمح بالزيارات من الأساس

نحضت عبر جالسة بجوارها وهي تربت على كتفها مقترحة بجدية:

- مارايك يا خالتي، لقد تحدثت مع مُهرة صديقتى عنهما وهي طلبت مني أن أصطحبهما لزيارتها بعض الوقت يومًا

- هل هي طيبة تخاطب أو ماشابه؟

قالت عبر وهي تلوح بيدها بحماس مبتسمة:

- أكثر من هذا، مُهرة لديها طاقة لا تنفد مع الأطفال، أطفال الحى لا يُغادرون بيتها، إلا إذا حضر زوجها من عمله أو طردتهم هي لتستذكر دروسها فهي لازالت طالبة جامعية .

صمتت والددة هشام لتفكر فى الأمر، وعيناها مُعلقة بالطفلتين الجالستين بهدوء لا يتناسب مع أعمارهما فى هذا السن، ثم أومأت برأسها موافقة لها، ولم لا، ربما تتغير نفسيتهما عندما يعيشان بعض أجواء المرح لبعض الوقت فى بيئة أخرى صحية، بعيدًا عما يُعانونه جميعًا هذه الأيام .

\*\*\*

جلس عندها أمام الطبيب المعالج، هو القريب الوحيد لها، هو فقط من يعلم عنها ما لم يعلمه غيره، حمد الله أنه استطاع الحصول على مقعد في الطائرة المتوجهة إلى القاهرة في اليوم التالي مباشرة من مكاملة هشام له، وهاهو الآن يجلس برزانة أمام طبيبها وساعده يرقد بأريحية فوق حافة مكتبه وهو يجيب عن أسئلة الطبيب بصدق:

- نعم، بالرغم من تواجدي خارج البلاد بصفة مستمرة نظراً لظروف عملي واستقرار أولادي في دراستهم هناك إلا أنني كنت أتواصل هاتفياً كثيراً مع أخى رحمه الله وأعلم الكثير عنهم، والدتها رحمها الله منذ أن تزوجها أخى وهى تعاني من مرض الوسواس القهرى، وعندما حاول أخى أن يعرضها على طبيب رفضت بشدة واتهمته بأنه يريد وضعها بمشفى الأمراض العقلية، وقد كان رحمه الله يُحبها بشدة لذلك قرر أن يُعالجها بنفسه .

وكان هذا أكبر خطأ ارتكبه في حقها دون قصد، فبعد أن بلغت جداول الخامسة عشر من عمرها زادت الوسواس لدى والدتها، بدأت تكره ابنتها وتقول بأنها تريد قتلها وهى نائمة، كانت تكره اسم جداول بشدة ليس لأنه اسم حماقتها فقط بل لأنه كان اسم التدليل الذى أصبح وكأنه هو الاسم الرسمي لرؤى، الاسم وحده كافٍ لجعلها تنزعج حتى بدأت تُفصح عن وساوسها بوجه رؤى وتقول لها دوماً بأنها ستقتلها وبأنها تكرهها لأنها دميمة وعينيها رمادية تُشبه عيون الأموات، وبالرغم

من أن رؤى ليست دمية على الإطلاق إلا أن معاملتها كدمية جعلتها تعتقد ذلك بل وتختلف من لون عبيها المسير أيضاً

كان خطي أنا. فقد رأيت حاشتها تسوء بعد موت أخي رحمه الله ولم أفعل شيئاً لها أو للشفقة المسكينة. بعد أن انتهى العراء ذهبت إليهما لأودعهما قبل سحري وسمعتها تلشها بكلمات بديلة وتعيها بأنها قاتلة والدهما. وبالرغم من ذلك سافرت وتركتهما وأخذت عن مسؤوليتهما بدعوى أن هاتئ معهما لو احتاجن بشيء ضروري سأكون عندهما في اليوم التالي. بعد أشهر قليلة حاضني جداه

قاطع الطيب الذي كان يدون بعض الملاحظات في دفتر خاص قائلاً بفتية:

- من فضلك، لا أحد يلادها - جداه بعد الآن. من الواضح أن لديها إشكال مع هذا الاسم

أوما له عني بالموافقة دون أن تعلق فأشار له الطيب بأن يستكمل بما يعرفه عنها فقال مُردفاً:

- بعد أشهر قليلة حاضني رؤى وطلبت مني الخضوع بشكل ضروري لأن والدهما حاشا تبدل من سيء إلى أسوء والجيران يريدون طردهما من الشقة لأن والدهما كانت تصرخ طوال الوقت فكانت تُفزع أطفالهم. وقالت لي وقتها بأن جارة لها لا أذكر اسمها منحها شقة أخرى بالإيجار في مكان قريب من شقتها القديمة



ولكن والدفا ترفض الرحيل وترك الشقة. فاعبرت في الخصور  
أسبوعاً كاملاً وعندما وصلت كانت والدفا تحاول أن تحرق  
نفسها ولكن رؤى منعها في اللحظة الأخيرة وسمعها تنسحب ثانية  
ولكن هذه المرة كان سناً مؤذياً للغاية حتى أن رؤى اهتارت في  
بكاءٍ شديد وهي تقول " ليني تركتك للموت "

في نفس اليوم اقترحت على رؤى أما نيت عليها البحث لها عن  
مشفى أو مصحة للعلاج بعد أن تسفل إلى الشقة الجديدة ورؤى  
وافقت على اقتراحى. وبالفعل أحرقها بالقوة على ترك الشقة وذهبت  
بمنا إلى الشقة الجديدة. في نفس الليلة استلظت فزعاً على صوت  
تغلق قوى لباب الشقة، بحث عنهما فلم أجدهما. فتوقعت أن والدفا  
هربت وهي لحقت بها. ذهبت في إثرهما بعد أقل من عشر دقائق  
فوجدت الجيران يجتمعون أمام البناية وبعض من الرجال يحاولون كسر  
الباب والدخان يسيل من أسفله بكثرة. وبعد كسره وجدنا والدفا  
متسحمة بالكامل في غرفة المكتب و رؤى تنف في الردهة في حالة  
صدمة وأخبار، وسلطت بين ذراعى بمجرد أن لمست كفيها .

ألقى كلامه وهو يحرك رأسه بدهشة فعلاً:

- هل تعلم يا دكتور أن غرفة المكتب كان بابها مفتوحاً على  
مصرعية وبالرغم من تحيط المرأة وهي تحترق إلا أنها لم تخرج منه  
وضع الطيب قلبي فوق الدفتر وهو يسأل باهتمام:

- لماذا تقول رؤى إنما قتلت أمها، هل وجهت لها الشرطة أي اتهام  
أو ما شابه؟

حرك عمها رأسه نفيًا وهو يميل للأمام قليلاً ويجيب قائلاً:

- الجيران في البناية المقابلة قالوا بأنهم رأوا النيران من نافذة غرفة  
المكتب قبل أن تصل رؤى بدقائق

أغلق الطبيب دفتره وهو يستند إلى سطح المكتب بمرفقيه وهو يقول  
بجدية:

- سنحتاجك هنا معنا لبعض الوقت

ظهر عدم الارتياح على وجه الرجل ومشاعره تتخبط بين الواجب  
وعمله وأسرته في الخارج، ليس لديه الكثير من الوقت، يومان آخران  
وسيضطر للعودة، قطع أفكاره طرقات على الباب من الخارج يعقبها  
دخول هشام بلامح هفة متوقفة إلى أخبار جيدة، حياه الطبيب وهو  
يفتح دفتره قائلاً:

- يبدو أنني سأعتمد عليك وحدك يا أستاذ هشام فمن الواضح أن  
عمها ليس لديه الكثير من الوقت

ثلاث نظرات تقارعن فيما بين أعينهم بين ثلاثتهم فقط ..

نظرة للخذلان ونظرة للأمل ونظرة للمجهول !

خلال الأيام السابقة تغيب عادل ليوم واحد فقط، أغنى فيه انتقال  
جدة زوجته إلى بيته وفعل ما كان ينتويه بخاطها الحفير ولم يتركه من قبضته  
إلا وهو كاره للعالم وللنساء خاصة. ثم عاد للعمل بعد ذلك ليتولى أمر  
غياب هشام عن العمل أثناء انشغاله مع زوجته والأطباء والذهاب  
للمصحة النفسية كل يوم وهو يقوم بعمله بدلاً عنه، وقد قص عليه  
عادل ما قالته له رؤى زوجته في القطار. وبأنها قالت من بين اعترافاتها  
المثالية بأن والدته هشام علمت بالخلط الذي حدث بينهما وأخبرت به  
جدائل. وتكتم الثلاثة الأمر فيما بينهم دون اتفاق حقيقي ولذلك ظهر  
الشحوب والإرتباك عليهما عندما ذهب هشام لزيارة عادل في منزله  
وتقابلت جدائل مع رؤى زوجة عادل للمرة الأولى منذ زواجهم. وكان  
تصرفاً ارتجالياً من كليتهما أن يظهرأ وكأنهما تتعارفان للمرة الأولى.  
وعندما اختلنا ببعضهما في الغرفة الداخلية حدث أول اتفاق حقيقي  
بينهما على ألا تغير كل منهما زوجها بما حدث وليبق السر سراً للأبد  
ما دام إفشاءه سبب ضرراً للجميع .



استطاع الطبيب أخيراً أن يجعلها تثق به وتتحدث إليه عما ترى  
وتسمع والأشياء التي تراءى لها من دون من حولها، كان حديثها هو  
الخط الأخير والذي استطاع من خلاله الطبيب ربط جميع الأحداث  
بعضها البعض وإعطاء تشخيص نهائي لحالتها المرضية، وبداية علاجها

بشكل صحيح، حينها حضر هشام في الموعد الذي حددته له الطبيب سابقًا وجلس إليه وبدأ يشرح له حالتها بشكل مبسط يستطيع أن يفهمه وقال:

- زوجتك لديها حالة فصام. ومريض الفصام يعاني من نوبات هلاوس وهذيان وضلالات تفصله عن الواقع تمامًا وتجعله مؤمنًا جدًا بما يرى ويسمع من أشياء عجيبة وغير واقعية، كأن يقابل أناسًا غير موجودين على الإطلاق ويحدث إليهم، ويكون مقتنعًا بما يقولونه له. حتى لو قالوا له بأنه نبي أو رسول.

مسد هشام رأسه ثم جعل ينظر الطبيب بهذرات صائفة ينكسر عندها الإدراك وكأنه لم يفهم ولو كلفته واحدة مما قال وهو يقول:

- لا أفهم، متى حدث لها هذا؟ (ها كانت بخير وطبيعية جدًا). أنا أعرف أن الذي يصاب بهذا المرض يكون له شخصيات متعددة وبشخصيات وأنا لم أخط شيئًا من هذا.

اجتمع الطبيب ابتسامة من كان يتوقع سؤالاً كهذا وهو يضيف موضحًا:

- ما نتحدث عنه يسمى الانفصام أو تعدد الشخصيات وهذا مرض يختلف عن مرض الفصام الذي تعاني منه زوجتك، مريض الفصام لا تعدد شخصياته هو فقط يعيش في ضلالاته وهلاوسه.

ولو ترك بدون علاج مستفاقم حالته ومن الممكن أن يؤذى نفسه  
و من حوله أيضا .

غرز هشام أصابع يديه في جانبي رأسه حتى إلتقيا من خلفها واستند  
بظهره للمقعد وهو ينتظر للطبيب الذى أدرك محاولات هشام  
للإستعجاب فعدل من وضع نظارته فوق عينيه وهو يشرح أكثر قائلا:

- مما سمعته عن والدته زوجها يتضح لي بأنها كانت تعاني من هذا  
المرض. والاضلالات التي كانت تعاني منها كانت تجبرها على كره  
ابنيتها وتقول لها دائما بأنها تستغلها لذلك كانت تردد هذه الكلمة  
دائما على مسامع رؤى صبا سوات. وعندما مات أبوها أمام  
عينها ظلت والدتها تفهم بحقيقتها أنها قتلت والدها. وبدأ  
الوسواس القهري عند زوجها بتلك الفكرة. أنها قتلت والدها.  
وكانت والدتها تغذى المرض فيها بتلك الكلمات حتى هربت من  
الشفقة الجديدة وذهبت للشفقة القديمة لتحرق نفسها هناك وعندما  
خفت كما رؤى ورأتها وهي تحرق وتموت حدثت لها صدمة عصبية  
وروقت مكانها ولم تتحرك، وأما على يقين من أن الضلالات بدأت  
تستفحل أكثر في تلك اللحظة وأقنعها بأنها قتلت والدها بالفعل  
لأنها تركتها تموت رغبا عنها ولم تتدخل لإنقاذها بالرغم من أنها  
كانت مضايقة بصدمة وقتها. أنعلم أنها حكمت لي بأنها رأت حالة  
في القمر وهي توصيها على ابنيتها؟

رفع هشام رأسه مشككاً وقد قطب بين حاجبيه بشدة فأمر  
الطبيب مُردفاً:

- أكاد أجزم أنها كانت أول نوبة هلاوس تمر بها، وبدخلها كانت  
على يقين أن سب انقطاع هالة عن ريارها المتوالية في الروضة هو  
موتها.

- وهل كانت هالة رحمة الله ترونها دائماً؟

- قالت بالهدوء كانت تلتقيان بشكل فطوري، وفي كل مرة كانت هالة  
تختصص معها بعض من همومها القديمة وكانت رحمة الله توصيها  
بأن تلتقيها سرّاً بعيداً فقط، بعضها كانت الأشياء تختصك يا أستاذ  
هشام ولكنها كانت تعدها بذلك سعيها وتعاملها بأفضل ما  
كنت تعمل مع هالة. لأنك لا تترك لها وفي أحد هذه  
اللقاءات قالت يا هالة يا هالة كانت تقول بعد أن عشت رحمة الله  
بإصابتها بذلك المرض الخبيث رسالة حكايتها لربها "يا رب  
أسقط الأرواح ولكنها أصبحت غنية أن تقرأها وتخرج  
الكلمات!

أطرق هشام رأسه وذكروا الحرية والعبودية تناطحت في مدار  
الوقت، هكذا إيان علمت أنّ تلك الأسرار التي قرأها في الحلة، وفي  
هذا العهد كانت هالة رحمة الله كانت واقفاً من أنه سيحب رؤى، ولم لا  
يحب بعضها كانت لكي تلك الحيلة دائماً عندما يتسارع بأنه لم ينجها

ولن يشعر بالحب إلا مع غيرها. كان بداخلها ما يهسى فما بأنها ليست  
أداة للحب في هذه الدنيا، إذن فلا وجود لشيء يسمى شبح حالة أو  
روحها عادت لتنتقم ممن أذوها وهي حية. جميع ما حدث كان من صنع  
مرض رؤى النفسي وخيالاتها الضالة !.

فحص الطبيب من خلف مكتبه والتف حوله حتى وقف خلف مقعد  
هشام مباشرة ثم وضع كفه على كتفه من الخلف وهو يكاد يسمع  
صحيح أفكاره في تلك اللحظة ثم قال:

- رؤى كان لديها استعداد وراثي للمرض. ارتبطت بحالة للعابة  
وعاشت ألمها بكل حورائها حتى أن جزء في زاوية ما يفلجها حقد  
عليك لأنك كنت السب الرئيسي من وجهة نظرها في كل الألم  
الذي تراه تصجداً في هذه تلك الراوية المظلمة أنت غديتها  
عندما رفضتها. ذلك المرض أنك بداخلها ما كانت تزعمه والدتها  
بأنها مرفوضة ودمية، الصراع الحقيقي بداخلها بدأ عندما رأيتها  
في شفتها الجديدة وأعجبتك وبدأت تتودد إليها. لم تكن تتادىها  
سوى بجدايل. شعرت بأنها تأخذ شيئاً كانت حالة محرومة منه  
وتبكي لأجله. وبداخلها كرهت جدائل !. نعم كرهت هذا الجزء  
من شخصيتها. الجزء المحبوب الذي سطا على شيء ليس له،  
واعتقد أن بداية هذا الكره بدأ في ليلة زفافكما عندما جسدت  
لها ضالاتها صورة حالة وهي تبكي في المرأة !.



المت هشام إليه وهو يذكر تلك التذكير التي تسعة لئلا تتعذر  
 أن تكلم الطبيب عنها، يذكر هذا الرغب الذي عاينه في تلك الليلة  
 بسبب الفزع الذي ظهر على وجهها وهي لربما إلى الخلف وأصرح  
 مشيرة للبراف. فهل كانت لئلا فاصدة (رعاية)؟، نفس والفاغدة وهو  
 يتكلم بما اعتدل بصدرة فستاداً

- هل كانت تعرف ما تفعله؟

سار الطبيب خطوات رتبة حتى وصل لسطح المظال له خلف  
 المكتب وجلس هدوء. كان ينظر هذا السؤال من البداية على  
 السؤال الذي يتكرر على صدغه كلما واحد حارة لستاهة، في كل مرة  
 شيئاً ما بداخله يتجده بان التساؤل ليس برياً أم عضولاً، بقدر ما هو  
 استفهام لتحديد المشاعر التي يشعرون به نحو مريضهم. هل  
 سيكرهونه لإدراكه ما يفعل أم سيتفقون عليه لحظه الذي يرح عنه  
 التحكم، ألا يكفي ما يعاني منه، ليجعلهم يشكرون أكثر في الأسباب  
 التي أدت به إلى هذه الحالة. أم كل المهيم في تلك اللحظة معرفة مدى  
 مسؤوليته عما يحدث، مثل القضاة ليتم إصدار الحكم على أساس  
 التقرير الطبي<sup>١٧</sup>، عندها شرد في قول إحدى زميلاته الطبيات لما كان  
 يناقشها عن مدى تعاون أهل المريض معها فقالت له فجيئة تساؤله "لا  
 يهمهم أن يخرجوه من ظلمته، بقدر ما يهتمون بمدى مسؤوليته عن

إبدال الستائر السوداء " ، رفع عينيه إلى هشام الواقف أمامه بشيء من التحفز وقال عجيباً وهو ينظر لعينه بعشق وتركيز :

- هل تستطيع أن تشعر يا أستاذ هشام بمعنى أن صوتاً ما يضل يهمس في عقلك ليل نهار بأنك سارق !. بأنك قاتل ، بأنك فاكحل فاكهة محرمة !. ولا بد وأن تتعذب بها وتخرج من جسك ! هل تستطيع الشعور بمشاعر المريض عندما يرى وحده أشخاصاً وهمية يدورون من حوله في كل مكان يأمرونه بشيء ويقنعونه بتنفيذه ، حتى لو هذا الشيء هو التخلص من حياته !. إذا استطعت الشعور بذلك فوقتها ستعلم الإجابة الصحيحة .



خرج هشام من حجرة الطبيب بعد قليل من المناقشات الأخرى عن حالتها ودوره هو في الأيام المقبلة ، وقد توقف عقله عن طرح الأسئلة ، وبدأ يأخذ منحى آخر عن كيفية إخراجها مما هي فيه ، وبدأ يخله يقين بأنه هو المسؤول الوحيد ، لابد وأن يتخلص من تلك النظرة الضيقة التي أهلكت الماضي وكانت في طريقها لسحق الحاضر أيضاً ، عندما وصل إلى حديقة المصححة النفسية وجد بلال ينتظره هناك ، وبمجرد أن رآه قادماً خفض واقفاً واقترب منه يربت على كتفه متسانلاً عن حالتها وهل استطاع الطبيب تشخيصها والإلمام بما أم لا ، جلس هشام إلى الأريكة

الخشبية بخوارد وهو ينظر إلى المساحة الخضراء أمامه فجئنا بصغير  
مُعذب:

- زوجتي هالة رحمها الله كانت تقول لي دوماً والعبرة تُعقَّبها بأني  
سأحب من بعدها وسأتعذب بهذا الحب مثلما شقيت هي بحبي.  
الآن شعرت للمرة الأولى بما كانت تشعر هي به رحمها الله  
جلس بلال بخوارد وهو يلتفت بجسده كليةً تجاهه قائلاً:

- من الجيد أن نتعلم من أخطائنا السابقة ونستجدها زائدةً لحاضرنا  
ومستقبلنا. لا أن نقتل أنفسنا بها. ولذلك فحالت لي ما رآته من  
بشريات علي وجه زوجتك المرحلة أثناء تعسبها ولو كان الأمر  
كذلك فاعلم أنها الآن مُعسبة وقد نسيت كل أذى لحق بها في  
الدنيا. وكأنها لم تَرِ شراً قط في حياتها. هكذا هي أرواح المؤمنين.  
مال هشام بجذعه للأمام وقد ارتسمت ابتسامة تلقائية على وجهه  
وهو يقول مُستبشراً:

- هالة في أيامها الأخيرة لم تكن تترك ليلة إلا قامت فيها تُصلي  
حتى تتعب وتنام في مكانها. عندما حملت نعلها كانت أخف ما  
يكون ورائحتها كانت طيبة للغاية لكنني وقتها كنت مشغول  
بمسؤوليتي الجديدة فلم أنتبه إلى كل تلك العلامات الرائعة  
ابتسم ساخراً من نفسه وهو يُعقِب على حديثه مُتابعاً:

- الطبيب قال لي انما كانت في منتهى الذكاء عندما كتبت لي في  
غاية وصيتها

• أحذر غصني " كانت تخشى على الفتاتين مني فكتبتها على سيل  
التحذير وهي موقنة بأنني سأتوقف عندها كثيرا، تصور يا دكتور بلال،  
أن بالفعل صدقت أن روحها عادت لتسقط مني ومن زوجتي ووالدتي .  
نسم بلال بدوره مستندا إلى ظهر الأريكة مكتنفا ذراعيه فوق صدره  
وقال:

- ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الإنسان عندما يموت  
وتنفض نفسه تصعد بها ملائكة الموت إلى السماء ولا تقيط بها إلا  
عندما يدخل جسده القبر . فضاء روحه إلى جسده بكيفية لا  
يعلمها إلا الله . وتجلس الملائكة لتسأل عن عمله ودينه ونبيه . لو  
كان خيرا فستصبح روحه فرحة . وتلك الروح الطيبة المنعملة لا  
تعود لتسقط يا هشام . بل أكثر ما تستطيعه هو أن تأتي في منام  
مستبشرة تشر أحبابها بالخير . أما إذا كانت روح فاسق والعباد  
بالله أو عاصي فروحه مضطربة في شغل بعدائها . كما هو السجين  
المُعذب لا يستطيع فكائها . والاشنان في عالم البرزخ حتى قيام  
الساعة . وما نسمعه من حكايا حول رؤية روح أو شيخ فلان  
الذي مات فهو إما أن يكون مجرد تخیلات أو أن الجن تشكل في  
صورة ذلك الشخص لأي سبب كان . وهذا الأخير حله بسيط

للاغاية، سورة البقرة وينتهى كل شيء، لكن لابد أن تؤمن بذلك لا  
أن نفعلها على سبيل التجربة .

غلف حديثهما الهادىء المتأمل انسياب زقزقة العصافير المتناغمة  
بينهما وقد سطعت أشعة الشمس فى ذلك اليوم بالرغم من برودته التى  
تُعلن عن رحيل فصل المطر بكل ما فيه من شجن ووجع، تاركًا ذكريات  
دافئة لا يمكن محوها .

تنفس هشام بعمق قبل أن يُحرك رأسه مؤكدًا وهو يتذكر حديث  
صديقه عادل عن سورة البقرة، أدرك الآن لماذا لم يكن يحصد ثمارها،  
لأن كل ما كانت تراه رؤى هو محض عقلها فقط !، تغضنت زوايا عينيه  
عن ابتسامة حزينة وهو يتذكر كل الليالي التى جافاه النوم بها وهو يشعر  
بها حوله، وينسب لها كل فعل غامض مر به، حتى المرأة العجوز فى  
المتجر، تبا للوهم !

- ألم تخش على نفسك يا دكتور ونحن نقف على باب الشقة  
ونفتحها؟

التفت إليه بلال بابتسامة مُتعبجًا من سؤاله المتأخر جدًا، رفع  
حاجبيه بدهشة وهو يجيبه ملوحًا بيده ببساطة:

- ألم تسمعى ونحن فى السيارة قبل المغرب وأنا أهمهم بأذكار المساء  
كاملة وآية الكرسي؟!، ثم أننا كنا على وضوء وقد صلينا المغرب  
فى المسجد فممن أخشى إذن؟!

تتحجج هشام بخرج وهو لا يعلم بماذا نجيب. لقد كان وفيها في عدة  
آخر بحارب مخاوفه وقلقه من كل شيء. فنهض واقفا ليروح فعضده.  
وعندما عرض عليه بلال أن يقله إلى حيث يشاء بسيارته. رفض شاكرا  
إياه فهو يريد أن يسير وحده قليلا. ليحاسب نفسه ويضع يده على  
مواطن الزلل فيها.

سار بطيئا وهو يتأمل الطريق المعبد أمامه وكلمات الطبيب الأخيرة  
تخلج ثوابت ذكرياته عن زوجته وتغفل به في انسافة أخرى لم يكن  
يعلم عنها كل شيء. كيف يمكن لامرأة أن تكره جزء من شخصيتها؟!.  
الجزء الذي حظى بحب والدها وكرهته والدتها. ثم حظى بحب هشام  
وتقبل والدته فلم لا تكرهه هالة؟ لا بد وأنها كرهته ولا بد وأنها تريد  
الانتقام مثل والدتها ثامنا. حداثيل تلك انتزعت كل شيء وسرقته من  
رؤى ثم من هالة فلا بد وأن تحبى. أو ربما تموت!. هكذا قالت للطبيب  
وهي تعاني إحدى الثوبات بينما هو يستدرجها. وهكذا حاول الطبيب  
شرح حالة رؤى له بكل ما يستطيع تبسيطه من معلومات عما يعمل  
بوجدانها. لن يدفن رأسه في الرمال كالسابق. سيكشف بجوارها حتى تُشفى  
وتخرج من المصححة وقد تصالحت مع نفسها قبل أن تتصالح مع من  
حولها. ولكن هذا لا يكفي. لا بد وأن يقوم بالفعل ولو لمرة واحدة. لا أن  
تكون كل تصرفاته مجرد. ردود أفعال!.

بضعة أشهر أخرى حصلت زوى خلاف للعلاج الدوائى والجلسات  
 المكثفة مع عنها الطبيب الزيارات التحلى ذهيبا من كل الصعوبات  
 متحطة من الممكن أن تعرض لها إذا رأت هشام لديها ، في  
 الجلسات بمرحلة خفيفة أو مجرد حكايات فيفى في الأصل لم تكن تعرف  
 بأنها مريضة وبأن كل ما عالته مع ذلك بعد الموت كان هلاوس  
 وحالات. وان كل ما رآه في طبها المنهجية كان من صنع عقلها  
 رفضت وقاومت ورفضت الخدم بل ورفضت أن تفتح عينها ليد  
 الجلسات وازدادت وثيرة القوي. لذلك أصغر الطبيب على طاقته في  
 المصلحة وعدم حرجها حتى بدأ تعرف على مرضها ، فلو أدركه على  
 حقيقته خلط خطوة كبيرة في طريق علاجه. وكانت الأشهر الماضية  
 كقيلة بذلك. استطاعت أن تلهم مائة مريضا. طمعه وطريقة التعامل  
 مع نوباته وهلاوسه. لارالت لذكر الصلعة التي سقطت على وجهها  
 عندما كانت بنقبتها وسمعت الباب الخارجى يفتح. وفيها كانت ترى  
 هالة تغذب جدائل. ولكن الآن أدركت أن تلك الصلعة كانت من يدها  
 هى. وقد سقطت على وجهها هى أيضا. وعندما بدأت ترى الأمور من  
 منظور مختلف سمح الطبيب لها بالزيارة. وكان أول زائر لها هو هشام.  
 كان يعمل لها مفاجاتان. اختار أن يمنحها إياها في نهاية الزيارة لتكون  
 خاتمتها سعيدة لها .

استقبلته ببرود في حديقة المصححة الصغيرة، حتى أنها لم تبسم لعينه وهو يقبل عليها بلهفة وشوق، كتفت يديها فوق صدرها بينما يعد هو يده ليصافحها، تجاهلت يده ونظرت في الاتجاه الآخر وهي تقول بخفاء:

- لماذا لم تحضر معك جنى و لجين، لقد اشتقت إليهما

جلس على مسافة غير قريبة منها كما نبهه طبيبها من قبل وقال باهتمام:

- وهما أيضًا اشتاقا لك للغاية. سترينهما في الزيارة القادمة بإذن الله

صننا ولكن الكون لم يسكت، النساء الباردة كانت تحوم حولهما تلمس دفء أنفاسهما، وأصوات قريبة مختلطة تنكسر أمواجهما في المساحة الشاغرة بينهما بدوى صامت كصمتها الظاهري فقط، بينما هو لا يجزؤ على الخطو فوقه أو تجاوزه، حتى استطاع إجبار نفسه على الخروج من خلف ذلك الصمت السائر الذي يحتمي به، والذي تشقت لشرته الخارجية وصار يتهاوى بعد أن قال لها بخفوت:

- سامحيني، أنا لم أشعر بك كغاية

التفت إليه دفعة واحدة بحركة حادة وصدرها يكم أنفاسه رغمًا عنها بينما تتكلم من بين أسنانها بغضب خافت، يكاد يصل إلى الهمس:

- أسامحك !. ومن أنا لأسامحك، أنا حية، أعيش، أنفسي، لي إرادة القبول والرفض، أما من تستحق طلب السماح الحقيقي منها،



ميتة، لا إرادة لها، تحت التراب، فلا هي تملك ان تُساعك  
وترتاح، ولا هي تملك أن ترفضك وتُحيل حياتك إلى جحيم،  
ذهبت إلى ربها بألمها ووجعها الذي كنت أنت السبب فيه، بينما  
أنت تعيش حياتك وتتزوج وتُحب وتسعد، وتنساها .

رفعت يدها وهي تُشير إلى صدرها هامسة بحقد لا تعلم إلى من هو  
موجه في تلك اللحظة لنفسها أم له أم للآخرين معاً:

- تتزوج من أخرى، تُحبها كما لم تحب هالة، تقول لها ما لم تقله يوماً  
لهالة، تحميها وتُساعدُها وتُسعدُها وتفهمها كما لم تفعل مع هالة،  
أخرى سارقة، تُحب دوماً أن تأخذ ما ليس لها، تنعم به بأنانية بينما  
من تستحقه تصرخ وتصرخ وتصرخ ولا أحد يسمعها .

الكلمات الأخيرة خرجت عن حدود الهمس، خرجت من حلقها  
بصراخ متألم يتلوى كعواء حيوان يحتضر، صراخها لفت الأنظار ولاحظ  
هشام الطبيب مُقدماً عليهما بخطوات سريعة وقد كان يُراقب الوضع من  
قريب، وعندما وقف بجوارها قال لها مُعائباً:

- ألم نتفق على أن نكون هادئين اليوم

شردت قليلاً قبل تقول بخفوت وهي تحيد بنظراتها عنهما:

- أريد أن أصعد لغرفتي

كاد هشام أن يناديها بجدايل وهي تستدير لتصرف ولكنه تذكر ما قاله الطبيب بأن لا يفعل، ليس قبل أن تتصالح مع ذلك الاسم مُجدداً، فنادها على الفور قبل أن تبعد وهو بحث الخطوط نحوها

- رؤى، لا زال هناك شيئاً هاماً أود قوله لك

حدثها الطبيب على النظر إليه وعندما التفت عيناها قال بحماس:

- لقد راسلت الأستاذ عبد الخالق مروان وهو وافق على مقابلتي. التقينا منذ أيام وتحدثنا عنك

نظرت له بتحفظ ثم تبادلت النظرات مع طبيبتها قبل أن تقول بترقب:

- عني أنا؟!

أوما برأسه والخماس لا يزال يشوب نظراته ونبرة صوته وهو يجيبها:

- الرجل كان في الأصل يبحث عن عنوانك أو شيء يتواصل به معك. وعندما علم بأنني زوجك رحب بمقابلتي جداً. هو فعجب جداً بأسلوبك في الكتابة إليه ويقول بأنك موهوبة ويريد التحدث معك شخصياً. فهل تسمحين له بأن يرأسلك؟

اختلط الترقب الذي كان يكسو ملامحها بشك وتكذيب لكل كلمة قلها فالتفت الطبيب نحوها وقال مؤكداً لحديث هشام:

- حقيقي يا رؤى، والأستاذ عبد الخالق هاتفى ليظمن على حالتك وهو سعيد جدًا بتقدمك فى العلاج ويريد أن يرأسك على بريدك الإلكتروني

رفعت كتفها حائرة ولازال الشك يعث بها وقالت بنظرات تائهة:

- ولكنى لا أملك واحدًا !

أشار لها هشام بيده أن تنتظر لثوانٍ، عاد سريعًا إلى الأريكة الخشبية حيث كانا يجلسان منذ قليل، حمل الحقيبة الجلدية التى تركها هناك ثم عاد إليها وقدمها لها وعيناه تترجأها لأن تقبلها قائلاً:

- هذا حاسوب محمول تستطيعين مراسلته عن طريقه،

ثم تابع بمرح بالظهور جليًا فى حركة عينيه التى انخفضت قليلًا للأسفل ويديه التى لم تعد ممتدة باستقامة نحوها:

- صحيح هو مُستعمل، وليس به إمكانيات كبيرة، ولكنه يفى بالغرض

أشار الطبيب للمرضة أن تأتى لتصحبها ولكنها غادرت بخطوات مترددة دون أن تلتفت، أطرق هشام رأسه أرضًا بإحباط وقد كان يتوقع رد فعل مختلف على ما قاله لها، ولو حتى ابتسامة صغيرة تبثه الأمل، وضع الطبيب راحته على كتفه وسار إلى جواره بخطوات قبل أن يقول بتفهم:



- ما رأيته حاليًا هو أفضل بكثير مما كنت أتخيل، كنت أعتقد أنها  
لن تنظر إليك بالمرّة ولن تنفوه بكلمة معك وستجاهلك كليًا،  
ولكن التفاعل الذى حدث منها أيا كان هو علامة مباشرة للغاية  
على تقبلها لك بحياتها، بل وتلومك أيضًا، وهو مؤشر قوى  
لبداية تسامح بقلبها تجاهك، اصبر قليلاً والتزم بما اتفقنا عليه ل  
كل زيارة قادمة ولا تتعجل خروجها من هنا .

\*\*\*

كان يعلم جيدًا إلى أين تأخذه خطواته ذاك النهار، حيث الهدوء  
والصمت اللانهائى، حيث الماضى الذى يحن إلى أيامه، ويتمنى أن يمرق  
شيئًا منه إلى حاضره، الماضى الذى مر من بين أصابعه وهو عالق فى  
التمنى، مُنتظر أن تُحل مشاكله تلقائيًا دون تدخل منه !، تلك المشاكل  
التي تلوى حلقه الآن بمرارتها حيث اللا أسف، ألا رجوع، حيث لا مفر  
من الوقوف امام قبرها بخشوع، والدعاء المفروط من عقد الدموع،  
مُحاولًا بجهد سحب أخطاءه من فوق قمم جبالها، تحريرها من عقابها، ربما  
من بين ندباتها تظهر حلولها .

وقف أمام القبر لا يدري ماذا يقول، إلتصقت الكلمات بحلقه، منذ  
متى وهو يفكر قبل أن يتحدث إليها، أليس الحديث إليها سهلاً  
الآن؟!، فلماذا يهاب، لم يعد الآن وجود للحد الفاصل بينهما، الحد  
الوهمى الذى اكتشف أنه كان يبنيه بنفسه ويحرص عليه، ابتسم ساخرًا

من نفسه وهو يهمس مُعترفًا بذاك لنفسه قبلها ويهبط على ركبته أمام  
حروف اسمها المنقوشة فوق شاهده:

- دومًا ما كنتُ أراك أفضل بكثير، بكثير مما كنت أبوح به أمامك.  
كنتُ أشعر بأنك تستحقين شخصًا أفضل، بأنك زائرة في بيتي،  
حبك لي كان أقوى من أن أستوعبه، من أن أتعامل معه بما  
يستحق، كنتُ أرى نفسي أقل بكثير من أن تمنحيني كل شيء كما  
كنتُ تفعلين، منحيتني كلك وضننتُ عليك ببعضي، لا لبخل  
مني، ولكن لخوفي من أن يكون هذا البعض لا يليق بك، وبدلًا  
من أن أبذل الجهد لتحطيم هذا الحد الوهمي، أستسلمت لسلبيني  
وتركتك تعانين متصورة بأنني لا أحبك .

مال بزاوية حادة يجذعه نحو الجزء المرتفع من القبر، حتى تغير طرف  
أنفه بترابه هامسًا بأذنه كما لم يفعل يومًا مع من تسكن وحشته، متوهما  
سماعه لحفقات قلبها:

- صدقيني أحبتك يا هالة، الآن أمنح عمري لأي وسيلة مُستحيلة  
تجعلك تُصدقين، بينما كانت الوسائل كثيرة أمامي من قبل وأنتِ  
على قيد الحياة فلم أعرها اهتمامًا يليق بك، أزاح موتك رداء  
صمتي وظهر خذلاني المتكرر لك بوضوح يُعزيني ويكشف  
مساوئي، أنا أطلب الصفح منك، متأخرًا جدًا أعرف، ولكن أن  
آتي متأخرًا خيرًا من لا آتي أبدًا .



سقطت دمعاته الصامته فوق التراب الجاف أسفل وجهه، فتركته  
ندياً، بينما جذب بصره للأعلى أشعة الشمس التي بدأت تعلو من فوقه  
وتبعته راحة دافئة في قلبه، أعاد نظراته المحملة بروحه إلى القبر من  
جديد وهو يستقيم قليلاً هامساً:

- حبيبي، علمتُ بأن الدموع والخسرة والندم لن تُفيدك، فأرجو ان  
يتقبل الله مني ما سأفعله لك من صدقات جارية، وهذا أقل ما  
أقدمه لك بعد أن فشلت بتقديم أبسط ما تتمنين في دنياك،  
أبشرك بأن بناتك تحسنتا كثيراً وأصبحتا تقاربا في حديثهما غيرها  
من الأطفال، والعام القادم إن شاء الله ستكونان في صفهما الأول  
في المدرسة، أوقاتي التي كنتُ أبخل عليهما بما أمنحها لهما الآن  
بكل حب، سأحفر اسمك بقلبيهما إن شاء الله حتى لا تسجد  
إحدهما سجدة في يوم من الأيام دون أن تتضرع إلى الله بالدعاء  
لك.

شعر بخطوات تتقدم نحوه يتبعها كف ثقيلة استراحت على كتفه من  
الحلف، وبرد فعل تلقائي أخرجه من حالة الطوف التي كان يدور قلبه  
بها في التو، انتفض ناهضاً ملتفتاً خلفه، فوجد امرأة عجوز سمينة تتوشح  
بالسواد وتغطي به نصف وجهها قائلة برجاء:

- رحمة ونور يا بيه

\*\*\*

لم تستطع رؤى أن تُنكر أن رسالته الأولى إليها والذي كان يرد بها على رسالة منها لتعرفه بنفسها على استحياء رفعت من معوياتها إلى قسم الثقة التي لم تزورها يوماً، وكأنها منطقة ضبابية موضوع عليها للأبد لافتة ممنوع الاقتراب، خطراً، توقفت عينها كثيراً على كلماته عن إيمانه بموهبتها وقدرتها على تحمل مسؤولية عامود كبدية لها ضمن عواميد التواصل مع القراء بالجملة، وعندما سألته عن مدى توافق ما يقوله مع حالتها العقلية وهل سيثق القراء بما أم لا؟، قال لها حروفاً نقشتها في قلبها بعد أن منحتها الشعور بالاختلاف الجيد، " الفرق بين الجنون والإبداع شعرة واحدة، العبقرى مجنون بطبعه إلا أنه يُدرك ذلك ويقوم بتوجيهه داخل إطار إبداعي، وهذا هو الاختلاف " .

بعد تلك الكلمات قررت الموافقة على عرضه بالكتابة الحرة في عامود خاص بما في المجلة التي يكتب بها، وستكون كتاباتها تحت عنوان " قالت لي "، وعندما ناقشت الأمر مع طبيبها قال مُشجعاً:

- اسمعيني جيداً يا رؤى، أنتِ الآن تخطيت مرحلة كبيرة في طريق العلاج، تعرفين مرضك وتعرفين كيف تواجهيه بمقاومة تلك الهلاوس، لو اخترت الطريق السهل معك والذي يتبعه معظم الأطباء العرب بل والكثير من غير العرب أيضاً، لكنك منحتك الأدوية وتركتك تخرجين بعد أيام تصل بحد أقصى إلى الشهر من المصححة على مسئولية عائلتك وينتهي دورى بعد أن أنهى على

عائلتك بأنك لو توقفتى عن تناول الدواء فسبعود المرض أقوى من  
كان. وتطلين طيلة حياتك أسيرة تلك العقاقير التى لم تسجن  
سوى البرودة مع زوجك وكثرة النوم والهدوء الخمدج لأنه  
بالمخدر، إلا أننى أستخدام معك الطرق الأصعب للعلاج ولكنى  
الأنفع لك فيما يخص حالة الفصام تلك. أنا أعتمد على قوتك و  
الرغبة بالشفاء الكامل وقد توقفتا تدريجياً عن الأدوية ومستمرين  
بالجلسات، وستطلين هنا فى المصححة حتى إذا أدى الأمر لعام أو  
الثنين. حتى تتغلبن عن اضطراب المضلالات التى تعزبك  
وترفضينها بإرادتك وليس بتلك العقاقير. عندما تحدثت إلى  
الأستاذ عبد الخالق مروان لبحثت له أن ما يدور بذهنك سيظل  
لامعاً متوهجاً مادام أنى غطيت فقط. أما لو خرج على الورق، بل  
وتفاعل معه الناس وحدث خلاف ونقاش، سينطفىء من تلقاء  
نفسه ويذبل. نعم ربما لا ينتهى تماماً ولكنه سيأخذ مساحته  
الخيالية التى توجد لديها حبيفاً مع الفروق الفردية طبعا ولكنه فى  
كل الأحوال لن يعبدها، وافقتى بأرؤى واكتفى وتحدثنى إلى الناس  
بما تربنه حتى لو كان هذياناً !

حديث الطبيب، وإيمان الأستاذ عبد الخالق مروان بما ألهم حماسها،  
إلا أنه لم يمنع ذلك الخوف الدفين من الفشل، الفشل الذى كان يتجسد  
فى المضلالات الكثيرة التى تنتابها باستمرار والتى تنجسد لها بوالدها  
وهى تقول بأذنيها " أنت فاشلة "، والحزى والأسف الذى تراه متجسداً



في وجه هالة التي تأتيها من عقلها لتهمس لها " هل ستسعين بنجاحك  
بينما كنت أنا أتعذب "، ثم يأتي والدها ليلاً بدماءه التي تقطر من  
حنجرته ليصيح بها زاجراً " كيف تفعلين أمراً دون موافقتي "، وفي كل  
يوم تهمس لنفسها بأنهم ليسوا حقيقيون !

مع الوقت تعلمت بالطريقة الصعبة أن تتجاهل تلك الحيات  
والأصوات، لأنها أدركت ببساطة أنها تتبع من عقلها فقط، ليست  
حقيقية، وكان اللحظة الفارقة بعمرنا هي تلك التي نتوقف خلالها عن  
تنفس الزيف وفتح نافذة جديدة نُحملُ هواءها بريح التغيير، فوافقت  
وأرسلت له بريداً إلكترونياً تُعلن فيه موافقتها، فأجابها بسعادة أنه  
سيقدمها بنفسه للقراء في عدد المجلة القادم وهو يضمن لها بيقين أن  
طباعات المجلة ستنفذ من أجلها، من أجل تلك الكاتبة الغامضة التي  
كانت الأموات ترأسله عن طريقها !

\*\*\*

لأول مرة تغمرها سعادة خالية من تأنيب الضمير على مدى سنوات  
عمرها وهي تُمسك بالمجلة بين يديها وتقرأ ما كتبه عنها بفخر، وهو  
يحكي قصة صمودها رغم كل ما عانته، وبعد قراءه بكاتبة صحفية ذات  
طراز فريد، قلمها لن يتقيد بقيود المنطق أو الواقع، وستعامل مع  
رسائلهم على أن كل ما حوّاها حقيقي جداً، مهما كان خيالياً جداً !،  
بل وستجيبهم على تساؤلاتهم بخيال يفوق خيالهم بكثير .

وترفرق الدمع بعينها عندما وصلت لأخر كلماته وهو يحتم مقادير  
كانت:

- وأعرف أنها من النفوس الطيبة التي تغفر ميثما قست عليهم  
الحياة وتنتظر الخير العميم الذي تدخره لها الأقدار .

عندها غمضت من فوق الأريكة الخشبية في طريقها لغرفتها حيث  
الحاسوب المحمول وقد نسيت ثامنا هشام الجالس بجوارها والذي أحضر  
لها المجلة اليوم ومنحها إياها بابسامة فشحمة. ولكنها توقفت فجأة قبل  
أن تخط أول درجة من السلم الخجري القصير الذي يعلو أرض الحديقة  
اخضراء الندية. أصوات لعب جنى و لجين هي ما جعلها تتوقف  
وتستدير نحوهما، حتى هذه اللحظة لا تصدق بأحسا قد تغيرا ثامنا وكان  
الحياة الطقولية الصاخبة قد نبتت بسا من جديد. فرت دمعة رغما عنها  
من سجن جفنيها وهي برأيهما وحيتها شغرت بأنامل هشام تمسحها  
خلفة نسي بوقوفه قريبا جدا بجوارها. أسبلت جفنيها وهي تدفع عقلها  
بالنظر إلى الماضي نظرة محايدة تحضه هو وهالة، ثم رفعت عينها بإدارة  
لم تصدر منها نحوه إلا اليوم وقالت بهدوء:

- امنحني بعض الوقت

ابسم وهو ينظر إلى عينها نظرة متوهجة مفعمة بسطوع مفاجيء  
لأشعة الأمل بمقلبه فرفعت حاجبيها وغممت بدهشة:

- أنا لم أقل شيئا. يستحق كل هذا.

قاطعها على الفور بشغف وليد للتو حاول التحكم به، مانعاً قدميه من الاقتراب تلك الخطوة الأخيرة والوحيدة الفاصلة بينهما:

- ليس لكلماتك فقط، بل لأن عينيك الشتوية قررتا أخيراً العفو عني وأنت خصامها الطويل لعيني .

ظلت تنظر إليه لثوانٍ محدقة به وكأنها لا تستوعب ما قاله، شعر هو بأن تلك الثوان دهوراً طويلة منتظراً أحد ردود الأفعال الإنفعالية على كلماته، ولكنه وجدها أخيراً تُرفرف بأهدابها سريعاً ثم تُطرق أرضاً وتلون وتجتأ منذ أشهر بعد هجر طويل خلف الشحوب وقد أدركت للتو ما حدث من تقارب بينهما، وغمغمت بشيء ما فهمه هو على أنها تستأذن للانصراف وهي تخطو خطوات سريعة هابطة الدرجات القليلة، قاطعة الحديقة بسرعة يغلفها الارتباك وتقرب إلى العدو مما جعله يبتسم وهو يستنشق الهواء بقوة ويملاً به صدره بتفاؤل لم يشعر به منذ شهور مضت، رفع وجهه للأعلى وقد بدأت قطرات المطر الخفيفة تهفت إلى جبينه فأعاد رأسه للوراء أكثر ساعماً لها بمحو ثقل أخطائه المحفورة عن أرض ماضيه المتخنة بالجراح .

أما رؤى فقدت أغلقت خلفها باب حجرتها التي تتشارك فيها مع مريضة أخرى، تلك المريضة الغامضة التي تُثير بداخلها الفضول لمعرفة حكايتها، وفي يوم ما ستكتب عنها. جلست أمام الحاسوب وبدأت تسطر أول كلماتها:



" أكتب إليكم أول كلماتي وأنا ما زلت نزيله المصححة النفسية أتلقى  
الجلسات، ليس الشعور بالتعافي هو فقط ما يمنحني القوة الآن  
لمواجهتكم، بل ربما الجزء المريض هو الذي يفعل، فالتعقل الشديد هو  
الذي يجعلنا نَجْبُن أحياناً ! .

سأحكي لكم في كل مرة بعضاً من خيالاتي، منها ما هو حدث  
بالفعل، ومنها ما لستُ مُتيقنة حتى الآن هل هو حقيقي أم لا وسأنتظر  
تعليقاتكم عليها، بحكايات مُشابهة، حكايات ومشاكل مطمورة تخشون  
البوح بها، فالكثير من البشر يقات على الخشية!، يعيش بها، ويموت لو  
هُدد بكشف غطاءها .

حدثيني عنه وما تتمنين منه، وما تكرهين فيه، هو نصفك الآخر

حدثني عنها، أزفر بما يعتمل بصدرك لها، هي عالمك الآخر

أما ما سأكتبه الآن لكم فهي حكايتي أنا، قد تعتقدون أنها مجرد  
حكاية، وقد ترونها دعوة لفهم العالم الآخر" .

.. تمت بحمد الله ..

## صدر للكاتبة :

أولا : الروايات الورقية :

١. ايمانجو ..... رواية
٢. اكتشفت زوجي ..... رواية

ثانيا : الروايات الإلكترونية :

١. اغتصاب .. لكن تحت سقف واحد ..... رواية
٢. مع وقف التنفيذ ..... رواية
٣. ولا في الأحلام ..... رواية

# وَقَالَتْ لِي!

تفحص الكاتب الصحفي عبدالخالق مروان الظروف بين يديه مندهشاً، ثم بدأ في فتحه وفحص الأوراق منه وقراءة ما بين سطورها بفضول، حينها علم بأنه أمام حالة فريدة من نوعها تحتاج إلى تأمل وتمهل لفك أحجيتها والغازها قبل الحكم عليها، وقد تيقن من ذلك عندما وصلت عيناه لآخر سطور مقدمة الأوراق وقد كتبت له الرسالة فيها: "وسأظل أرسل لك تفاصيل زياراتها لي في شقتي المهجورة، وفي كل ظرف سأرسله لك ستجد عليه عنواناً يتوسطه من الخارج وهو نفس العنوان الذي كتبتك على الظرف الذي بين يديك الآن، (وقالت لي)، لا أريد منك تصديقي، أريد فقط أن تنشر شكواها، لعل روحها تهدأ قليلاً وينقطع شبحها عن زيارتي".!



غلاف: إسلام مجاهد  
الغلاف الخلفي: م. ماطمة الجندى

مصير  
لكتب